

تاريخ العراق في العصر السلجوقي

القسم الاول

الدكتور
حسين امين



تاريخ العراق
في العصر السلجوقي



دار الشؤون الثقافية العامة
حقوق الطبع محفوظة
تعنون جميع المراسلات الى
المدير العام ورئيس مجلس الادارة
السيد فاروق خضر الدليمي
العنوان:

العراق - بغداد - اعظمية

ص. ب. ١٠٢٢ فاكس ٤٤٤٨٧٦٠ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

البريد الالكتروني dar - iraqculture@yahoo.com

تاريخ العراق في العصر السلجوقي

القسم الاول

الدكتور حسين امين

الطبعة الثانية — بغداد — ٢٠٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

العراق، وادي الرافدين، مهد الحضارات القديمة ، وعلى ربوعه بزغت شمس المدنية في أول أدوار التاريخ الانساني، ومرت بالعراق أدوار وعصور كان خلالها مرة يعطو ويستقل ويسود، واخرى، يكون تحت رحمة الفاتحين والمستعمرين، والمتنفذين الطامعين، وكان للعراق نصيب عظيم في بناء الحضارة الانسانية قديمها وحديثها، خاصة في عصوره الاسلامية الزاهرة.

وقامت في العراق الدولة العباسية، واصبحت بغداد قبلة العالم الاسلامي، وترعرعت فيها الآداب والعلوم والفنون، كما شيدت فيها المساجد والمدارس، ودور العلم والمكتبات والمستشفيات، وشيدت فيها القصور والدور، وازدهرت فيها الحدايق والبساتين.

وسرعان ما تدخل الغرباء في الجهاز الحكومي العباسي وتسلموا المناصب الكبيرة واخذوا يعملون على ان يستحوذوا على السلطة ويجردوا الخلافة من امتيازاتها وخصائصها، فوقت الخلافة تحت وطأة النفوذ التركي بعد خلافة المعتصم الذي اعتمد على الاتراك وادخلهم في الجيش العباسي وبعد أن تمادى الاتراك في ازدرائهم للخلفاء وفي استهتارهم في الحكم واغلالهم في العمل على اضعاف الدولة، برزت قوة البويهيين في المشرق وتقدمت جحافلهم الى العراق في زمن الخليفة العباسي المستكفي بالله، وكان دخول البويهيين بغداد نقطة تحول كبير في سياسة الدولة

العباسية فقد وقعت الخلافة تحت وطأة النفوذ البويهى والحكم واستمر حكم البويهيين للعراق من سنة ٣٣٤ هـ - ٤٤٧ هـ وبعدها دخل السلاجقة بغداد وازالوا الحكم البويهى سنة ٤٤٧ هـ ١٠٥٥ م.

إن المرحلة التي حكم فيها السلاجقة العراق مرحلة غامضة يشوب اخبارها التاريخية الاضطراب، كما ان هذه الحقبة ذاتها لم ينبر لدراستها شخص عربي ليقدم للمكتبة التاريخية العربية دراسة موضوعية مفصلة عن العراق في هذا الدور من حياته التاريخية.

واني قد وجدت لزاما علي أن أقوم بدراسة هذا العصر المضطرب من تاريخ بلادي جامعا الحقائق التاريخية من مصادرها الاصلية العربية والفارسية وغيرهما من المراجع الاجنبية.

واتشرف بتقديم هذا المجهود العلمي الذي هو حصيلة استقصاء وبحث سنين عديدة، يشرفني ان اقدمه الى القارئ العربي، دراسة موضوعية جديدة لحقبة من تاريخ العراق - مهد الحضارة والمدنية.

وارجو ان أكون قد وفقت في بحثي هذا ، فان اصبت فواجب هداني الله الى انجازه واتمامه وان وقعت في بعض الخطأ والسهو، فما انا الا انسان لم يعصمني الله عز وجل من النقص والتقصير، اسأله تعالى ان يوفقنا في بحثنا ويبعدنا عن الهوى وزلل اتباعه، ولي ثقة بحسن الظن وسعة الصدر، ما يطمئني بطلب العفو ان بان مني تقصير اوظهر في بحثي قصور.

والله ولي التوفيق

حسين امين

بغداد ١٩٦٥

حالة الخلافة العباسية قبل دخول السلاجقة العراق

تحديد معنى العراق. الاديان السائدة. العناصر المستوطنة في بلاد وادي النهرين . قيام الدولة العباسية. التدخل التركي ظهور التقطع في الدولة العباسية. ضياع هيبة الخلافة. الاضطراب في أواخر العصر التركي. ظهور بني بويه. اصلهم ونسبهم. بداية الهجمات البويهية على املاك الدولة العباسية. حاكم واسط يكاتب البويهيين. دخول البويهيين بغداد. الخليفة يخلع على احمد بن بويه ويلقبه معز الدولة. اهانة البويهيين للخليفة العباسي. تفكير البويهيين في نقل الخلافة الى العلويين. تنصيب الطائع الخليفة العباسي لعدة بيد البويهيين. السلطان البويهي يسلب سلطات الخليفة. أسباب العداء بين الخلفاء والبويهيين سياسة البويهيين أمام الجمهور. اصلاحات البويهيين. الاقطاعات البويهية ونتائجها السيئة. افلاس الخزانة. ادخال البويهيين للعناصر التركية. السياسة العنصرية والطائفية ومضارها. سوء الاوضاع. ظهور العيارين حركة العيارين. حركة وليدة الظروف الاجتماعية. مبادئ العيارين. صلة الفتوة بحركة العيارين. معنى لفظ عيار. أعمال العيارين التخريبية. درجات العيارين. استعانة الدولة بالعيارين انسلاخ بعض البلاد من جسم الدولة. أعمال عضد الدولة البويهي. المارستان العضدي. دار العلم استبداد. الامراء البويهيين. الرشاوى في تقليد الوظائف. ضعف الخلافة. الاسباب التي أدت الى عدول البويهيين عن نقل الخلافة الى الفاطميين. المجتمع في بغداد. النزاع بين السنة والشيعة.

افول نجم بني بويه. ظهور دولة السلاجقة.

العراق من المواطن الحضارية، بزغت في ربوعه شمس المدنية، منذ أقدم العصور. وجدير بنا قبل ان نخوض في موضوع البحث وهو العصر السلجوقي في العراق، أن نتعرف على معنى كلمة العراق والعناصر البشرية التي كانت نقطته واهم الديانات السائدة بين السكان.

تكاد تجمع معاجم اللغة العربية على أن معنى "العراق" شاطئ البحر، جاء في تاج العروس: العراق جمع عراق، بالكسر: لشاطئ البحر على طوله. نقله الليث وهو ككتاب وكتب. وقال: وبه سمي العراق عراقا... والعراق شاطئ الماء أو شاطئ البحر خاصة ازيد الليث طولاً، أي على طول البحر.... قال ابو زيد: كل ما اتصل بالبحر من مرعى فهو عراق.. لأن العراق بين الريف والبر أو لأنه على عراق دجلة والفرات، أي شاطئيهما^(١). وجاء في معجم البلدان^(٢): قال قطرب: اتما سمي العراق عراقا. لأنه دنا من البحر وفيه سباخ وشجر^(٣) وقال الخليل: - العراق شاطئ البحر وسمي العراق عراقا لأنه على شاطئ دجلة والفرات مدا حتى يتصل بالبحر على طوله قال الاصمعي: هو معرب عن ايران شهر وفيه بعد عن لفظه، وان كانت العرب تتغفل في التعريب بما هو مثل ذلك، وقال ابو عمرو: سميت العراق عراقا لقربها من البحر، قال واهل الحجاز يسمون كل ما كان قريبا من البحر عراقا.

(١) الزبيدي: تاج العروس ج ٧ ص ٩

(٢) ياقوت: معجم البلدان (مادة عراق).

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج ١ ص ٢٤، بيدوان ياقوت الحموي اعتمد في هذا التفسير على ما ذكره الخطيب.

ويعتقد الباحث هرسفد: أن العراق معرب لفظ ايراك الايراني ومعناه البلاد السفلى أو الجنوب، وكانت انحاء واسط الى الخليج العربي عائدة الى هذا القسم من ديار الدولة الساسانية، وفي مفاتيح العلوم للخوارزمي وتاريخ حمزة الاصفهاني، ايران العراق ولا جرم أنها غلط والصواب — ايراكك — (بالكاف الفارسية) — ولكنهم لم يعرفوا معنى ايراك والفتوا لفظة ايران، فصحفوا ايراك بايران، كما أن ابدال الهمزة من العين أمر شائع وجاء في نص الافستا كلمة "ايرانستان" وهو اسم كورة واقعة بين فيروزباد والخليج العربي وكان يجب أن تقرأ ايراكستان بالكاف الفارسية وما ايراكستان الاالعراق^(٤).

هذه خلاصة الآراء التي قدمت في هذا الموضوع، فضلا عن وجود رأي آخر يقول: إن أصل كلمة العراق انما مأخوذ من ارك المدينة السومرية القديمة. الا أنني في الحقيقة أرجح الآراء الاولى، أي تفاسير المعاجم العربية لأصل الكلمة، لصحة معناها ومبناها اللغوي وانطباقه على وضع العراق الجغرافي، وأرجح ايضا ان العرب الذين أطلقوا هذا الاسم على العراق لاتطبق ما تعنيه هذه اللفظة على صفة العراق الطبيعية أما رأي الاستاذ هرسفد فاعتقد أنه بعيد عن الحقيقة، وكان على الاستاذ هرسفد أن يتتبع كلمة العراق ومتى اطلقت على هذا الاقليم فان المصادر القديمة كلها لم يرد فيها لفظ العراق ولم يرد ايضا كلمة ايراكستان التي يعتقد هرسفد ان المقصود بها العراق، جاءت ليقصد بها العراق، وان أكثر

(٤) مجلة لغة العرب: جـ ٤ ص ٤٤١ — ٤٤٣ مقال للاستاذ الباحثة هرسفد.

الرحالة والمؤرخين اطلقوا على العراق "بلاد ما بين النهرين" وارض بابل، وبلاد اشور. فالتتبع التاريخي لتدوال الكلمة أمر مهم في تحقيق انتشار اللفظ، وعليه فان كلمة العراق على ما أرجحه كلمة عربية بحتة، انتشرت بانتشار العرب في العراق وأصبحت متداولة بشكل واضح في العصور الاسلامية. أما الرأي الاخير وهو أن أصل كلمة العراق من ارك أو الوركاء السومرية فهذا مالم تثبته الحقائق بعد، ولا أدري لماذا اختار الناس كلمة "ارك" لتطلق على العراق علما أن هناك مدنا أقدم من ارك وأشهر منها، فمن حيث الشهرة اشتهرت بابل ونيوى وآشور وأور وغيرها من المدن العراقية القديمة، ويخيل إلي ان وجود التشابه بين كلمة العراق وكلمة ارك القديمة هو الذي جعل بعض الباحثين يعتقد بالصلة هذه^(٥).

أما من حيث تحديد العراق في العصر الذي نحن بصدد دراسته فان الجغرافيين المسلمين وغيرهم كانوا يلتقون بعض الشيء في التحديد ويختلفون في بعض النقاط. والطبيعة قسمت سهل ما بين النهرين الذي اتخذ الفرات ودجلة فيه مجرييهما على قسمين: الشمالي و (هو مملكة آشور القديمة) ومعظمه مراعى تغطي سهلا حجري الاصل. والجنوبي و (هو بلاد بابل القديمة) وأرضه رسوبية خصبة يكثر فيها النخيل وتسقيها أنهار الري. وقد سمى العرب ما بين النهرين الشمالي بالجزيرة والجنوبي بالعراق^(٦).

(٥) انظر لفظ عرق في معجم البلدان فان له مدلولاً جغرافياً في التضاريس الصحراوية.

(٦) لستراخ: بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٠

وكانت لفظة كلمة "السواد" قرينة لكلمة العراق، قال الخطيب البغدادي: وإنما سمي السواد سواداً لأن المسلمين قدموا يفتحون الكوفة فلما أبصروا النخل قالوا ما هذا السواد^(٧)، فكلمة سواد أصبحت مدلولاً على الأراضي الزراعية التي تشمل الأراضي الخصبة المكونة من جراء ترسبات مياه دجلة والفرات، وأصبح يراد بها إقليم بابل جميعه ويجمع الجغرافيون على أن السواد يمتد من العث^(٨) وحربي^(٩) شمالاً إلى الخليج العربي جنوباً ومن حلوان^(١٠)، شرقاً إلى العذيب^(١١). بجوار القادسية غرباً^(١٢). أما حدود العراق فاتها تكاد تكون منطبقة لحدود السواد مع اختلاف الجغرافيين المسلمين في تحديد الحد الشمالي له، فمنهم من يرى أن حدود العراق هي حدود

(٧) الخطيب البغدادي: ج ١ ص ٢٤

(٨) العث: بلدة في الجانب الغربي لدجلة فوق مدينة عكبرا

(٩) حربي: بلدة إلى غرب عكبرا يمر فيها نهر الدجيل وأقام المستنصر عليها قنطرة عرفت في التاريخ بقنطرة حربي ولا تزال آثارها قائمة حتى هذه اللحظة، وتمتاز هذه القنطرة بالشريط الكتابي الذي يبين تاريخ تشييد هذه القنطرة وهو سنة ٦٢٩ هـ.

(١٠) حلوان: مدينة تبين حدود العراق الشرقية قال عنها الاصطخري: مدينة عامرة أكبر منها وأكثر ثمارها التين، وهي بقرب الجبل وليس بالعراق مدينة بقرب الجبل غيرها (المسالك والممالك ص ٦١).

(١١) العذيب: العذيب تصغير العذب، مكان ماء عن يمين القادسية لبني تميم، بينه وبين القادسية أربعة أميال (مراصد الاطلاع).

(١٢) الاصطخري: ص ٥٦ - ٦١، المسعودي: التنبيه والاشراف ص ٣٨، ابن حوقل: المسالك

والممالك ص ٢٣٤، ابن رسته: الاعلاق النفيسة ص ١٠١ - ١٠٥.

السواد^(١٣) بينما يرى الاصطخري أن حدود العراق هي: في الطول من حد تكريت الى حد عبادان على بحر فارس وفي العرض عند بغداد في قادسية الكوفة الى حلوان وعرضه بواسط — من واسط الى قريب الطيب، وعرضه بالبصرة — من البصرة الى حدود جبي^(١٤). أما الخطيب البغدادي فانه يحدد العراق: من بلد الى عبادان وعرضه من العذيب الى جبل حلوان^(١٥) ومدينة بلد التي يقصدها الخطيب هي الموضع المعروف اليوم بأسكى موصل — وتعرف بأسم بلط أيضا — وتقع على بعد ٤٠ كم شمال غربي الموصل على ضفة دجلة اليمنى.

ولكننا في سياق الحوادث التاريخية في العصور الاسلامية خاصة في العصر العباسي نجد أن العباسيين يستمرون على سياسة عد الموصل مركزا لبلاد الجزيرة بعد أن كانت مدينة تابعة للكوفة^(١٦) فكانوا يعينون عليها الولاة الاكفاء، وكانت مستقلة عن بغداد في ادارتها، وكانت تعد من أعمال الجزيرة. فالتحديد الذي قدمه الجغرافيون والذي يلخص بأن حدود العراق من تكريت شمالا الى الخليج العربي جنوبا ومن حلوان شرقا الى القادسية غربا^(١٧)، وهو التحديد المناسب الذي ينطبق على مجريات التاريخ

(١٣) المسعودي: التنبيه والاشراف ص ٣٨.

(١٤) الاصطخري: المسالك والممالك ص ٥٦.

(١٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج ١ ص ٢٤.

(١٦) سعيد ديوه جي: الموصل ص ١٠ نقلا عن تاريخ الازدي: تاريخ الموصل: مخطوط.

(١٧) الاصطخري: المسالك والممالك ص ٥٦ — ابن حوقل: المسالك والممالك ص ٢٣١.

المقدسي: أحسن التقاسيم ص ١٣٤.

ويتفق وطبيعة التكوين الطبيعي للأرض وللغالبية التي تسكن هذه المنطقة. أما الجزيرة فيمكن تحديدها بخط يمر من شمالي الأنبار الى تكريت ثم يصعد شمالا الى السن^(١٨) والحديثة والموصل وجزيرة ابن عمر وآمد ثم يتجه غربا الى سميساط ويستمر حتى يصل الفرات الذي يكون الحد الغربي للجزيرة^(١٩).

فالعراق في سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥ م يمكن أن نحدده من تكريت شمالا الى الخليج العربي ومن حلوان الى القادسية غربا، وجنوب العراق حقا هو الخليج الذي يعرف اليوم الخليج العربي أو خليج البصرة. ومن اشهر مدنه البصرة والكوفة وواسط، أما الموصل فقد ملكها بنو حمدان سنة ٢٩٣-٣٦٧ هـ / ٩٠٥ - ٩٩٧ م، ثم سيطر عليها العقيليون من سنة ٣٦٨-٤٨٦ هـ / ٩٧٨-١٠٩٣ م - ومن الجدير بالذكر أن هذا التحديد للعراق لم يكن الا اصطلاحا جغرافيا وتحديدا اقليميا، فالعراق جزء من الامة العربية كما أنه برغم ضعفه وانهيار الحالة السياسية فيه، مركز العالم الاسلامي ، فالسلطان السلجوقي كما سنرى سعى دائما الى ارضاء الخليفة وكسب وده ليمنحه الاعتراف بحكم سلطنته الشرعية، كما احتفظ الخليفة بنفوذه الديني الذي كان له الاثر الكبير في استرداد هيبة الخلافة واستقلالها.

(١٨) السن: بلدة على بعد ميل تحت ملتقى الزاب الاسفل بدجلة، معظم أهلها من النصارى وفيها بيع لهم.

(١٩) الاضطخري: الممالك والممالك ص ٥٢ - ابن حوقل: ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

وتاريخ السلاجقة العظام يشمل المشرق كله والعراق والشام، وتاريخ سلاجقة العراق يشمل اقليم الجبل (العراق العجمي) واقليم اذربيجان واقليم فارس (عاصمته شيراز).

وعراق العصر السلجوقي يزيد شيئا وينقص شيئا عن العراق الحالي. الشى الزائد هو منطقة الموصل، والشى الناقص هو العراق العجمي واذربيجان وفارس. ويهنا هنا في هذا الموضوع، العراق بحدوده المقابلة تقريبا لحدود العراق الحالي خاصة، ومن الجدير بالذكر أن العراق لم يعش وحده يومئذ وانما عاش في وحدة سياسية أكثر تشمل كل ايران الحالية تقريبا، والعراق اليوم وحدة جغرافية يحده من الشمال تركيا ومن الشرق بلاد ايران ومن الجنوب الخليج العربي ومن المغرب المملكة السعودية والاردن وسوريا.

أما أهم العناصر التي سكنت العراق فهم العرب وهم الأكثرية الكاثرة في العراق ومن أشهر القبائل العربية التي كان لها النفوذ في القرنين الرابع والخامس الهجريين، قبائل خفاجة وقد انتشروا في الجنوب الغربي من الفرات بين الكوفة والبصرة^(٢٠) وقبائل بني اسد قرب الكوفة وعين التمر، وكانت تسكن في الكوفة قبائل أخرى مثل خزاعة وبكر وبجيلة وذهل وقضاة وتميم وحنظلة ومذحج وعبد قيس^(٢١)، وسكنت في البصرة قبيلة

(٢٠) الصابي: تحفة الوزراء ص ٤٧٢.

(٢١) الدينوري: الاخبار الطوال ص ١٨٢.

ربيعة^(٢٢)، وقبيلة مضر^(٢٣) وسكنت بنو تميم في البادية غربي البصرة^(٢٤). واستوطنت الموصل قبائل الخزرج والازد وبنو تميم وبنو وائل من بكر وتغلب كما نزلتها بنو قيس وهم من قبائل مضر.

ومن العناصر التي سكنت العراق، الديالمة وهم الذين كانوا يسكنون جنوبي شرقي بحر قزوين وقد جاء بعضهم قبل دخول البويهيين الى العراق^(٢٥). ثم ازداد عددهم خلال العصر البويهي وأصبح لهم نفوذ كبير في العراق. كما سكن في العراق بعض الفرس والذين كان لهم أثر في حقل الثقافة والسياسة. ومن العناصر القوية التي لعبت دورا خطيرا في السياسة، العنصر التركي الذي أخذ يزداد خطره منذ أن استخدمهم الخليفة المعتصم العباسي، كما سكن في العراق بقايا النبط الذين كانوا يتكلمون الآرامية، أما الاكراد فكانوا يسكنون في القسم الاعلى من الجزيرة وفي الجهات الشرقية والشمالية الشرقية منها.

أما أشهر الاديان التي كانت سائدة في العراق، فالدين الاسلامي لأنه دين الدولة الرسمي ومعظم سكان العراق يدينون به على اختلاف المذاهب الشيعية والسنة، ومن الاديان السائدة الدين المسيحي واليهودي، وهناك معتقدات أخرى منتشرة لم يكن لها من أهمية في الحقبة التي نحن بصدددها.

(٢٢) الذهبي: تاريخ الاسلام مخطوط ورقة ١١٢.

(٢٣) ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٢٢٦.

(٢٤) الاصطخري: ص ٢١.

(٢٥) مسكويه ج ٢ ص ٤١.

يضاف الى ذلك الخلافات المذهبية التي كانت تفرق بين الناس في العاصمة وفي كثير من المدن الاخرى وتؤدي الى اضطرابات عنيفة.

هذه توطئة لبيان موقع العراق وحدوده وتسميته واهم الاقوام التي سكنت فيه والاديان السائدة في ربوعه، ولا يفوتنا أن نذكر أن العراق بلد المياه والاراضي الخصبة ذات الخيرات الوفيرة كانت منذ أقدم العصور مطمحا لكثير من الاقوام والجماعات، كما أن العراق في هذه المدة ذاتها، تولت أموره حكومة ضعيفة فكانت احواله غير مستقرة، وانها مركز الخلافة ومن يسيطر على العراق كان له النفوذ الكبير في تصريف وتوجيه سياسته العالم الاسلامي السني بشكل خاص، كون الخلافة في مصر كانت في هذا الوقت شيعية ولها نفوذ وتأثير كبيران في أصحاب المذهب الشيعي في العالم الاسلامي.

قامت الدولة العباسية في العراق سنة ١٣٢ هـ/ ٧٤٩ م فتية قوية، وكان جل اعتمادها على العنصر العربي الذي امدها بالحيوية والنشاط^(٢١) الى جانب اعتمادها على العنصر الفارسي في المشرق خاصة، وبلغت حدا كبيرا من التقدم السياسي والاجتماعي والثقافي والعمراني، وأصبحت بغداد قبلة العالم الاسلامي ومحط انظار السياسيين والعلماء

^(٢١) حاول الكثير من المؤرخين أن يصبغوا الدعوة العباسية وقيامها بالصبغة الفارسية ولكن من الثابت تاريخيا ان العباسيين كان جل اعتمادهم على العنصر العربي. فقد جعل العباسيون اثني عشر نقيبا من أجل الدعوة لهم، ثمانية من العرب وأربعة من الفرس، وكان معظم القواد الذين اعتمدت عليهم الثورة والدولة العباسية في أول تكوينها من العرب، مثل قحطبة بن شبيب الطائي وولده الحسن وعبد الله بن علي وغيرهم من القواد العرب، كما نلاحظ في سياسة أبي العباس والمنصور وهم من المؤسسين الاوائل لهذه الدولة، اعتمادهم على العنصر العربي واسنادهم له ومقاومتهم للتنفذ الفارسي. راجع: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ص ١٣٥٨.

— مجهول: الدولة العباسية — مخطوط بمكتبة الاوقاف ببغداد.

والفقهاء وبلغت درجة كبيرة من الرقي والاتساع. الا ان المعتصم العباسي اعتمد في حكمه على عنصر غريب، هو العنصر التركي الذي أخذ بمرور الزمن يترقى في المناصب ويتولى المراكز الحساسة في الدولة، صار هذا العنصر يتدخل في شؤون الخلافة مستغلا ضعف الخلفاء في العصر الثاني العباسي، وفقدت الخلافة في هذا العصر هيبتها وعناصر قوتها كما فقدت الدولة العباسية الكثير من ممتلكاتها من الناحية الفعلية مع بقاء الوحدة من الناحية القانونية فقد استقل المتنفذون والطامعون، واصبحوا يحصلون على تفويض تام بتدبير أمور اقاليمهم، فقامت الدولة الصفارية ٢٥٤ - ٢٩٠ / ٢٦٨ - ٩٠٢ م، والدولة السامانية ٢٦٦ - ٣٨٩ هـ / ٨٧٤ - ٩٩٩ م في ايران، كما قامت الدولة الطولونية ٢٥٤ - ٢٩٢ هـ / ٨٦٨ - ٩٠٥ م والدولة الاخشيدية ٣٢٣ - ٣٥٨ هـ / ٩٣٤ - ٩٦٨ م في مصر والدولة الحمدانية في الموصل وحلب ٣١٧ - ٣٩٤ هـ / ٢٢٩ - ١٠٠٣ م.

في هذا العصر أصبح الخليفة لعبة بيد الاتراك وساءت أحوال الدولة وتولى في هذه الحقبة خلفاء ضعفاء لا قوة لهم وانصرف معظمهم الى اللهو والتبذير، فقد بدد المقتدر مثلا كل ما جمعه أبوه وأخوه^(٢٧)، كما كان كثير الانهماك في الشرب^(٢٨)، واضطربت أمور الدولة في عهد المقتدر خاصة بعد استقالة الوزير علي بن عيسى، اذ أصاب الخزنة عجز كبير ولم تعد قابلة لأي اصلاح فاضطر الوزير سليمان بن الحسن سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م

(٢٧) ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية ص ١٩٢

. - مسكويه: تجارب الامم ج ١ ص ٢٣٨، جاء فيه: ان المقتدر اتلف نيفا وسبعين الف الف

دينار

(٢٨) التتوخي:نشوار المحاضرة ج ١ ص ١٤٤

الى بيع الضياع السلطانية التي هي المورد الاول لسد النفقات ولكن هذا المورد لم يكف لسد العجز^(٢١). واستمرت الأحوال مضطربة في عهد المقتدر وضاعت هيبة الثغور على حدود الدولة، واخذ البيزنطيون يشنون الغارات المتصلة على الحدود المتاخمة لهم بعد ان ضعف الدفاع عنها^(٢٢). وقد قتل هذا الخليفة سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٢ م واستبد بالامور مؤنس الخادم الملقب بالمظفر أمير الجيوش، واجلس القاهرة خليفة^(٢٣)، وهذا هو الآخر قبض عليه الوزير ابن مقلّة وسجنه^(٢٤)، وولي الخلافة، الراضي، سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٣ م وفي عهده لم يبق للخليفة غير بغداد وأعمالها، والحكم في جميعها لابن رائق وليس للخليفة حكم^(٢٥)، واما باقي الاطراف فكانت البصرة في يد ابن رائق، وخوزستان في يد البريدي، وفارس في يد عماد الدولة بن بويه، وكرمان في يد ابي علي محمد بن الياس، والري واصبهان والجبل في يد ركن الدولة بن بويه والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في يد بني حمدان ومصر والشام في يد محمد بن طغج وافريقية في يد ابي القاسم القائم بامر الله بن المهدي العلوي والاندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن احمد

^(٢١) Bowen: The life and times of Ali b. Isap. 299

^(٢٢) Muir: The caliphate, p. 567

^(٢٣) مسكويه: تجارب الامم ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٤٢. أبو الفدا: تاريخ ابي الفدا ج ٢ ص ٧٨.

— عريب بن سعد: صلة تاريخ الطبري ١٧٤ - ١٨٠.

^(٢٤) ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية ص 329 Bowen, p. 29٠٥

^(٢٥) ابن الاثير: الكامل ج ٦ ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

الساماني وطبرستان وجرجان في يد الديلم، والبحرين واليمامة في يد أبي طاهر القرمطي^(٣٤). وفي هذه الحقبة ظهر على المسرح السياسي بنو بويه، وهم الذين سيلعبون دورا مهما في حياة الدولة العباسية. ونفضل ان تطول وقفنا قليلا أمام العصر البويهى لأنه المدخل للعصر السلجوقي، وفيه ظهرت معظم العناصر التي استمرت تؤثر في ذلك العصر.

والبويهيون أصلهم من الديلم، وبلاد الديلم الأصلية هي المنطقة الواقعة بين طبرستان والجلال وجيلان وبحر الخزر، ومن جهة الغرب شئ من أذربيجان وبلاد الران^(٣٥)، وقد اختلف الباحثون في نسبهم فمنهم من يرى أن نسبهم يرتفع الى واحد من ملوك الفرس^(٣٦)، ومنهم من يرى انهم من العرب ويرجعون الى بني ضبة^(٣٧) وقد يكون هذا الرأي تعبيراً رمزياً عن مدى التقارب الذي حدث بين العرب والديلم. ويرجح أن البويهيين من الديلم ولا صلة لهم بالعرب. واشتهر من بنى بويه الاخوة علي واحمد والحسن، وأبوهم بويه، كان صيادا فقيرا على بحر قزوين^(٣٨).

(٣٤) الكامل: ج٦ ص ٢٥٥.

أبي طاهر القرمطي: الكامل ج٦ ص ٢٥٥.

(٣٥) الاضطخري: المسالك والممالك ص ١٢١ طبع سنة ١٩٦١

— المقدسي: أحسن التقاسيم ص ٣٥٣.

(٣٦) ابن الطقطقي: الفخري ص ٢١٥.

(٣٧) ابن حسون: تفضيل الأتراك ص ٣٥.

Bowen, P.339/-Ency. Of Islam, vol. I, P. 801.

(٣٨) ابن الجوزي ج٦ ص ٢٦٩.

واشتغل هؤلاء الاخوة في خدمة مرداويج بن زيار، الذي اسس الدولة الزيارية، وقد أظهر علي بن بويه كفاية ومقدرة، وصار يترقى في مناصب الدولة حتى ولاه مرداويج ولاية الكرج ويبدو أنه أصاب نجاحا في حكمه وصار أهل الولاية يظهرون له الحب، الامر الذي أثار شكوك مرداويج وأحس بخطرته في المستقبل، وبدأت المنافسة بين بني بويه ومرداويج، ولكن البويهيين تنفسوا الصعداء بعد مقتل مرداويج سنة ٣٢٣هـ / ٩٣٤ م، فاعتنم الاخوة الفرصة فاستولى الحسن على أصفهان والري وهمدان^(٣٩)، وشيراز، كما نازع احمد بن بويه، علي بن العباس على ولاية كرمان وانتصر عليه^(٤٠)، كما أخذ البويهيون يهاجمون أملاك الخليفة العباسي في العراق، ففي سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٣ م هاجم احمد بن بويه، مدينة واسط ولكن توزون الذي كان أمير الأمراء صد هجوم احمد بن بويه وتمكن من إيقاع الهزيمة بجيشه^(٤١).

ونحن اذا صرفنا النظر عن الحوادث الجارية وما تحمل من اتفاقات ومصادفات، وجدنا الوضع يتلخص في أن نظام امرة الأمراء كان يزداد كل يوم عجزا عن ضبط امور العراق بينما كان ملوك بني بويه يزدادون كل يوم ضبطا وقوة وصيتا، حتى تطلعت النفوس الى احلال بني بويه محل امراء الأمراء. وفي سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤ م توفي امير الأمراء توزون

(٣٩) مسكويه: تجارب الامم ج ١ ص 302 . E.l.voi.l.p 807

(٤٠) ابن خلكان: وفيات الاعيان ج ٢ ص ٣٦٤ .

(٤١) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٠٧ - ٢٠٨

واصبح شيرزاد أمير الأمراء^(١٢)، وكان معز الدولة (احمد بن بويه) في الاهواز، وكان شيرزاد قد استعمل على واسط ينال كوشه الذي كاتب معز الدولة بن بويه واستقدمه^(١٣)، ويبدو ان ينال كوشه كان قد أحس بقوة البويهيين واتساع نفوذهم في وقت كانت الخلافة العباسية قد دب فيها الضعف والانهيار وسادت الفوضى مختلف مدن العراق خاصة بغداد حيث انتشر اللصوص الذين نشروا الرعب وتسلبوا على أموال الناس الى حد هرب فيه التجار من بغداد وعاد هذا الفعل بالخراب وفساد الأمر^(١٤). كما ارجح أن ينال كوشه حاكم واسط كان يحس بمطامع احمد بن بويه ويعلم أنه هاجم العراق قبل هذا عدة مرات بقصد الاستيلاء عليه، فزأى من مصلحته مداراة القوة الجديدة ضمانا لمستقبله فتقرب الى البويهيين وكاتبهم وظهر الاخلاص والمعاونة لهم.

والواقع، ان نظام امرة الأمراء مني بفشل ذريع، وعجز عن حل الازمة المستحكمة وعن استرداد هيبة الخلافة في نظر أصحاب الاطراف فتطلعت النفوس الى نظام جديد غير نظام امرة الأمراء، وفعلا استدعى الخليفة، الحمدانيون مرة ضد آل البريدي وضد امراء الامراء، فهب الحمدانيون وحاربوا ابا عبد الله البريدي وانصاره الاتراك، ولكن على

(١٢) ابوالفدا: ج ٢ ص ٩٩.

(١٣) مسكويه: تجارب الامم ج ٢ ص ٨٤.

— ابن الاثير: ج ٦ ص ٣١٤.

(١٤) مسكويه: تجارب الامم ج ٢ ص ٨٣.

الرغم من ذلك فقد ظل الوضع مضطرباً الى ان دخل البويهيون العراق^(٤٥). تحرك احمد بن بويه من الاهواز ودخل العراق فاضطرب الناس ببغداد، فلما وصل الى باجسرى زاد اضطراب الناس واختفى الخليفة المستكفي بالله وابن شيرزاد (أمير الأمراء) فلما علم الاتراك باختفاء الخليفة وابن شيرزاد عبروا الى الجانب الغربي وساروا الى الموصل. فلما سار الاتراك ظهر المستكفي بالله وعاد الى دار الخلافة^(٤٦)، واجتمع الحسن بن محمد المهلبى صاحب معز الدولة بالخليفة المستكفي وابن شيرزاد، وأظهر الخليفة السرور بقدوم احمد بن بويه وأعلمه انه انما استتر خوفاً من الاتراك فلما ساروا عن بغداد ظهر^(٤٧).

وفي الحادي عشر من جمادي الآخرة نزل احمد بن بويه في معسكره بباب الشماسية ووصل الى الخليفة المستكفي بالله ووقف بين يديه طويلاً، واخذت عليه البيعة للمستكفي بالله واستحلف له بأغلظ الايمان، وأقسم الامير البويهى اليمين، وخلع الخليفة عليه الخلع ولقبه معز الدولة ولقب

(٤٥) الكامل ج ٦ ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٤٦) مسكويه: ج ٢ ص ٨٤.

— ابن الاثير: الكامل ج ٦ ص ٣١٤.

(٤٧) مسكويه: ج ٢ ص ٨٤ - ٨٥.

— ابن الاثير: ص ٦ ص ٣١٤.

— ابوالفدا: ج ٢ ص ٨٥.

ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢١٢.

أخاه عليا بعماد الدولة كما لقب أخاه الحسن بركن الدولة وأمر أن تضرب القابهم وكناهم على الدنانير والدراهم^(٤٨).

واحتاج النظام الجديد الى أن يدعم أسسه وأن يقبض على زمام الامور وأن يقتلع أسباب الفتنة وأن يكف طمع الطامعين وفي سبيل اتمام هذا الهدف لم يتحرج النظام البويهى من التكتيل بأنصار النظام القديم ومن عزل الخليفة ومن اهانتة.

ولم تمض الا ايام معدودات حتى انقلب الأمير البويهى معز الدولة على الخليفة المستكفي بالله، فأهانة اهانة كبيرة فقد سحب من مكاته واقتيد الى دار معز الدولة واعتقل فيها، ونهبت دار الخلافة^(٤٩)، اما سبب ذلك فقد قيل: ان "علما" قهرمانة الخليفة دعت دعوة عظيمة حضرها جماعة من قواد الديلم فاتهمها الامير معز الدولة انها فعلت ذلك لتأخذ عليهم البيعة للمستكفي بالله وأن ينقضوا رئاسة معز الدولة عليهم ويطيعوه دونه فساء ظنه لذلك.

وكان المستكفي بالله قد قبض على الشافعي رئيس الشيعة، فشفع فيه اصفه دوست فلم يشفعه فأحفظه ذلك وذهب الى معز الدولة فقال: قد راسلني الخليفة في ان ألقاه متكررا في خف وازار^(٥٠)، وأرى أن هناك سببا آخر

(٤٨) مسكويه: ج٢ ص ٨٥.

— ابن الاثير: ج٦ ص ٣١٤ Ency.of Islam, vol.I, p.807

(٤٩) مسكويه: ج٢ ص ٨٦

(٥٠) مسكويه: ج٢ ص ٨٦

— ابن الاثير: ج٦ ص ٣١٤ - ٣١٥.

قديضاف الى هذين السابقين، ذلك أن الأمير البويهى انما دخل بغداد بقصد السيطرة والاحتلال ولتثبيت الفكرة الشيعة التي هو يؤمن بها، فالأساس في الخلاف هو الصراع المذهبي بين السنة والشيعة، وكان الأمير البويهى يقصد اضعاف الخلافة واذلالها بل الاطاحة بها، كما سندلل على هذا بالمحاولة التي حاولها معز الدولة، فقد حاول القضاء على الخلافة العباسية واقامة خلافة علوية، وأنه أشخص في نواحي فارس أحد كبار العلويين مشتهراً بالديانة وحسن السيرة والصيانة^(٥١)، واقترح معز الدولة عليه أن يسلمه الملك والخلافة اعتقاداً منه بأحقية آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم بتولية أمور المسلمين، ولكن هذا العلوي شكر للأمير واعتذر عن قبول ذلك العرض ونصحه بالعدول عن هذه الفكرة لأن عامة الناس في الاقطار والامصار قد اعتادوا الدعوة العباسية ودانوا بدولتهم واطاعوهم كطاعة الله ورسوله ورأوهم أولي الامر^(٥٢)، وقيل أن الصيمري^(٥٣) منع الأمير البويهى من تنفيذ تلك الفكرة وقال له: اذا بايعته استنفر عليك اهل خراسان وعوام البلدان واطاعه الديلم ورفضوك وقبلوا امره فيك وبنو العباس قوم منصورون تعتل دولتهم مرة وتصح مراراً وتمرض تارة

..

(٥١) البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر ص ٢٢ - ٢٣.

— مسكويه: جم ٢ ص ٧٨ في الحاشية: ان العلوي اسمه أبو الحسن محمد بن يحيى الزيدي

(٥٢) البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر ص ٢٣.

(٥٣) الصيمري — أبو جعفر محمد بن احمد الصيمري وزير معز الدولة البويهى. توفي ٣٣٩هـ.

وتستقل أطواراً لأن أصلها ثابت وبنياتها راسخ^(٥٤)، فاستبعد معز الدولة الفكرة وعدل عن تنفيذها.

ونصب معز الدولة البويهى، أبا القاسم الفضل بن المعز خليفة ولقبه المطيع لله سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م^(٥٥)، ولم يكن الخليفة المستكفي بالله هو الوحيد من الخلفاء العباسيين الذي تعرض للاعتداء في هذا العصر، ففي سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ م اعتدى البويهيون على الخليفة الطائع لله وسبب الاعتداء أن الأمير البويهى قتل عنده الاموال، فكثر شغب الجند فقبض على وزيره سابور^(٥٦). فلم يغن ذلك عنه شيئاً، وكان أبو الحسن بن المعلم قد غلب على بهاء الدولة وحكم في مملكته فحسن له القبض على الطائع وأطمعه في أمواله وذخائره وهون عليه ذلك وسهله^(٥٧)، فتقدم أصحاب الأمير البويهى، وجذبوا الخليفة بحمائل سيفه من سريره فلف بكساء وحمل الى بعض الزبازب وخلع من الخلافة^(٥٨).

..

^(٥٤) مسكويه: جـ ٢ ص ٨٧ جاء في الهامش: ان العلوي اسمه ابوحسن محمد بن يحيى الزيدي.

^(٥٥) مسكويه: تجارب الامم جـ ٢ ص ٨٧.

— ابن الجوزي: المنتظم جـ ٦ ص ٣٤٣.

— ابن الاثير: الكامل جـ ٦ ص ٣١٥.

— ابن الطقطقي: الفخري ص ٢١٢.

^(٥٦) سابور: أبو نصر سابور بن أردشير وزير بني بويه في عهد شرف الدولة بن عضد الدولة توفي سنة ٤١٦ هـ (المنتظم جـ ٨ ص ٢٢).

^(٥٧) ذيل كتاب تجارب الامم: ص ٢٠١.

ابن الاثير: ج ٧ ص ١٤٧.

^(٥٨) مسكويه: جـ ٢ ص ١٠٢.

— ابن الجوزي: جـ ٧ ص ١٥٦.

وهكذا ساءت حال الخلافة - واصبح الخليفة لعبة بيد البويهيين،
ينصبونه ويعزلونه، ويلحقون به الاذى والاعتداء، واصبح الخليفة العباسي
اشبه ما يكون بالموظف يخصص له الامير البويهي راتباً، وكانوا يتصرفون
حسب مشيئتهم في تخصيص تلك الرواتب، فقد جعل معز الدولة للخليفة
المستكفي خمسة آلاف درهم في اليوم^(٩٩)، ثم خفض ذلك المرتب الى ألفي
درهم يومياً عندما عين المطيع^(١٠٠). وكان للخليفة العباسي وزير وللأمير
كاتب الامر انعكس في العهد البويهي^(١٠١)، وتلقب الحكام البويهيون بلقب
امير، وانهم استخلفوا وظيفة امير الأمراء، وتلقبوا بألقاب مختلفة. فقد منح
عضد الدولة لقب تاج الملة^(١٠٢)، وفي سنة ٣٨١هـ لقب القادر الأمير
البويهي بهاء الدولة بلقب غياث الامة^(١٠٣)، وفي سنة ٤٢٩هـ زيد في
ألقاب جلال الدولة (شاهنشاه الأعظم أي ملك الملوك) وخطب له بذلك،
وفي سنة ٤٣٠هـ منح جلال الدولة لقب الملك الوزير^(١٠٤).

(٩٩) ابن الاثير: الكامل ج٦ ص ٣١٤.

- السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٢٦٣.

(١٠٠) مسكويه: ج٢ ص ٧٨.

(١٠١) ابن الاثير: ج٦ ص ٣١٥.

(١٠٢) ابن الجوزي: المنتظم ج٧ ص ٧٨.

(١٠٣) المرجع السابق ج٧ ص ١٦٣.

(١٠٤) المرجع السابق ج٨ ص ٩٧.

(١٠٥) ابن الجوزي: المنتظم ج٨ ص ٩٩.

والحقيقة ان سلطات الامير البويهى كانت واسعة جدا وانهم لم يكتفوا بتلك السلطات، بل عملوا على سلب امتيازات الخليفة ومشاركته فى اختصاصاته، فقد كانت الخطبة فى المساجد رمز سيادة الخليفة، وفى سنة ٣٦٩ هـ أمر عضد الدولة البويهى ان يذكر اسمه مع اسم الخليفة الطائع فى خطبة الجمعة^(١١) والاعجب من هذا ان عضد الدولة اختلف مع الخليفة الطائع فامر الامير البويهى بحذف اسم الخليفة من الخطبة مدة شهرين^(١٢) كما شارك البويهيون الخليفة العباسى فى نقش اسمهم على النقود بل تجرأوا على حذف لقب امير المؤمنين من الخليفة العباسى وذكروا اسمه فقط، بينما ذكر الامير البويهى مع لقبه وكنيته^(١٣)، فيذكر مثلاً لقب الامير عضد الدولة (تاج الملة) وكنيته (ابوشجاع). وكانت الطبول تضرب على أبواب الخلافة فى اوقات الصلوات الخمس، وصارت الطبول تضرب على أبواب الامير عضد الدولة ثلاث مرات فى اليوم (الغداة والمغرب والعشاء)^(١٤)، ثم أخذت الطبول تضرب على أبواب الامراء ابى شجاع سلطان الدولة، وابى كاليجار صمصام الدولة، وأبى طاهر جلال الدولة خمس مرات يومياً^(١٥).

(١١) مسكويه: تجارب الامم ج ٢ ص ٣٩٦.

(١٢) ابن الجوزى: المنتظم ج ٧ ص ٧٥.

(١٣) مسكويه: ج ٢ ص ٨٥.

(١٤) المرجع السابق ج ٢ ص ٣٩٦.

ابن الجوزى: المنتظم ج ٧ ص ٩٢.

(١٥) ابن الجوزى: المنتظم ج ٨ ص ٣٠.

وبدا الضعف ظاهرا في خلفاء بني العباس أيام البويهيين، كما أن العداء المستمر بين الخلفاء العباسيين والامراء البويهيين يرجع سببه كما قلنا سابقا الى كون البويهيين من الشيعة الزيدية ويعتقدون ان الخلفاء العباسيين انما هم في الحقيقة مغتصبون للخلافة، وقد أبقى البويهيون الخلفاء العباسيين تمويها على الرعية وتيسرا للامور، ولم يبق للخليفة العباسي من الحكم الا تعيين القضاة وأصحاب الصلاة والخطباء وقوام المساجد، وهذا هو الذي حفظ للخليفة نفوذه الديني، فصار يؤكد ويسعى الى تثبيت مركزه به، وقد ساعده ذلك على استرجاع سلطته في دور ضعفهم، كما حافظ للخليفة ايضا على احترام الرأي العام وتأييده، وهو ما جعل البويهيين يحسبون للخلافة حسابها حتى في دور قوتهم، وفعلا انتعشت الخلافة العباسية في أواخر حكم البويهيين، ففي عهد القادر، تراءى وقار للدولة العباسية ونما رونقها واخذت أمورها في القوة^(٧١).

وكان الامراء البويهيون يترضون الخلفاء ويظهرون لهم الطاعة ارضاء للجمهور وطعما في أن يمنح الخليفة لهم الالقاب التي كان يهواها امراء بني بويه، وقد شعر البويهيون بنفوذ الخليفة الديني في الاوساط الشعبية، فكانوا يتظاهرون في المناسبات باظهار الشعور الكريم والطاعة الكلية لمقام الخليفة، ففي عقد حفلة العهد الى عضد الدولة سنة ٣٦٩ هـ / ٩٧٩ م جلس الطائع على السرير وحوله مئة بالسيوف والزينة وبين يديه مصحف عثمان وعلى كتفه البردة وبيده القضيب وهو متقلد سيف النبي صلى الله عليه وسلم. وضربت ستارة بعثها عضد الدولة ونسأل ان

(٧١) ابن الطفطقي: الفخرى ص ٢١٤.

تكون حجابا للطائع حتى لا تقع عليه عين أحد من الجند قبله، ودخل
الأتراك والديلم وليس على أحد منهم حديد، ووقف الاشراف وأصحاب
المراتب من الجانبين، ثم أذن لعضد الدولة فدخل، ثم رفعت الستارة، فقبل
عضد الدولة الارض، فارتاع زياد القائد لذلك وقال: ما هذا أيها الملك؟ أهذا
هو الله عز وجل؟ فالتفت الى عبد العزيز بن يوسف وقال له: فهمه فقبل
له: هذا خليفة الله في الارض. ثم استمر يمشى ويقبل الارض سبع مرات،
فالتفت الطائع الى خالص الخادم، فقال: استدنه — فصعد عضد الدولة فقبل
الارض دفعتين فقال له: ادن الى ادن الى، فدنا، وقبل رجله وثنى الطائع
يمينه عليه وأمره فجلس على كرسي بعد أن كرر عليه:

اجلس. وهو يستعفى فقال له: أقسمت لتجلس — فقبل الكرسي
وجلس^(٧٢). هذه صورة جليلة للتناقض الكبير في معاملة الخلفاء، فالامراء
البويهيون يتظاهرون بالولاء والخضوع للخليفة العباسي امام الناس وفي
المناسبات ليكسبوا رضا الجمهور العام ولكي يقال أن الامير البويهى يحترم
الخليفة فبذلك يبعدوا عنهم سخط العامة ومعارضتهم، بينما كانوا في
خصوصياتهم يقتلون على الخليفة العباسي في مطالبهم ويسعون الى تجريد
الخلافة من مظاهرها وخصائصها وعوامل قوتها.

وخلاصة ما تقدم في علاقة بنى بويه بالخلافة ان السلطنة الحقيقية
انتقلت من يد الخلفاء الى يد بنى بويه. ومن الطبيعي أن يتوقع الناس
يؤمنذ من بنى بويه ان يصلحوا أمورهم.

(٧٢) مسكويه: ج ٢ ص ٤١٧.

— ابن الجوزى: المنتظم ج ٧ ص ٩٨.

ومما لاشك فيه أن بعض الامراء البويهيين قاموا باصلاحات فى العراق من ناحية اصلاح نظام الرى وتحسين شؤون الزراعة خاصة فى عهدى معز الدولة وعضد الدولة وكانت لتلك الاصلاحات آثار طيبة فى تقدم الزراعة ورفاهية السكان، ولكن الدولة كانت فى حاجة بشكل عام الى الاموال وخزانتها كانت لاتسد ولا تكفى نفقات العمران الزراعى والتنظيم العسكرى، فقد كان الجيش فى حاجة كبيرة الى الاموال، ويبدو أن البويهيين لم يكونوا من ذوى الخبرة فى التنظيم الاقتصادى، لذا نراهم يتبعون سياسة زراعية عادت على البلاد بخسائر فادحة كما أدت الى خراب اراضى السواد، فان معز الدولة أعطى الاقطاعات لجنده دون حساب^(٧٣) كما تطرف عضد الدولة وصار يمنح الجند اقطاعات من اراضى الوقف^(٧٤) ان هؤلاء الجند تحكموا فى اراضيهم الزراعية التى اقطعوا اياها كما تحكموا بزراعتها حسبما شاؤوا^(٧٥)، وان هؤلاء الجند لم يكونوا ليدفعوا شيئا يذكر لخزانة الدولة^(٧٦).

ان الاقطاعات التى أقطعها معز الدولة للقواد وكبار الموظفين والجند، انه انما اراد بذلك ربط هؤلاء خاصة الجند بالارض ، لاسترضائهم وتقوية جانبهم، ولكنه من جهة أخرى أدى الى فعل معاكس، أدى ذلك الى أن

(٧٣) مسكويه: جـ ٢ ص ٩٧

(٧٤) ابو شجاع: نيل مسكويه ص ٧١

(٧٥) مسكويه: جـ ٢ ص ٩٨ - ٩٩.

(٧٦) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٩٨.

يحرص القواد على جمع الاموال وحيازة الارباح والتماس الحطائط^(٧٧)، وبذلك فقد فشلت محاولات معز الدولة في اصلاح نظام الرى والزراعة، فقد أدت الى ارهاق الخزانة بالاموال لتضاؤل مواردها كما كان معز الدولة كثير النفقة على جنده مما أدى الى افلاس الخزانة والى ذلك أشار مسكويه: فتعذر عليه أن يدخر لنوائبه أو أن يستفضل شيئا من ارتفاع ولم تزل مؤنثته تزيد وموارده تنقص حتى حصل عليه عجز لم يكن واقفا على حد منه بل يتضاعف تضاعفا متفاقما^(٧٨) كما أن الامراء البويهيين الذين حكموا بعد معز الدولة عدا عضد الدولة كتوا على بعد من الفهم السياسى والحزم الادارى مما عجل في ارباك أمور الدولة والاسراع في سقوطها، فقد اشغل "بختيار" نفسه باللهو واللعب ومعاشرة المساخر والمغنين والنساء^(٧٩)، وكان لاينظر في دخل ولا خرج وانما يلزم وزيره تمشييه الامور من حيث لايعينه ولا ينصره ولا يمنع أحدا من جنده شيئا فاذا وقفت أموره قبض على وزيره واستبدل به فلا يلبث الامر أن يعود من الالتياث والاحلال الى أسوأ ما كان^(٨٠). وقد أساء بعض المسؤولين البويهيين التصرفات التى أدت الى ارباك الحالة الاقتصادية واغلاق حياة الناس

(٧٧) الحطائط: التخفيف في مقدار الضمان، أي مقدار المبلغ المفروض دفعه لخزانة الدولة.

(٧٨) مسكويه: ج ٢ ص ٩٩.

(٧٩) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٣٤.

(٨٠) مسكويه: ج ٢ ص ٣٠٧. الإعياء: والتريد: التاث فلان في عمله: أى أبطأ

وتردد.

التجارية والمعاشية حتى "بطلت الاسواق وانقطعت المعاش" ^(٨١) ومما زاد في الوضع سوءا المنازعات التي قامت بين الامراء البويهيين وبالطبع أدى ذلك الى تدهور الحالة السياسية والاقتصادية وأثر تأثيرا كبيرا في حياة الناس المعيشية.

ان البويهيين ارتكبوا خطأ كبيرا في اكثرهم للعناصر الاجنبية التركية في جيشهم، فكان ضعف ادارة الامير منهم سببا في ظهور مطامع الطامعين من مماليكهم الاتراك وبث الشقاق بين الناس والخراب والفساد في البلاد، وقد ظهر الخلاف والنزاع بين الاتراك والديالمة كما دب التنافس بين الفريقين للحصول على الامتيازات والمخصصات، ولجأ البويهيون الى السياسة الهدامة تلك هي محاولة تفضيل فريق على فريق او تقرب عنصر على حساب العنصر الاخر، هذه السياسة التي اتبعتها البويهيون والتي كانوا يتوخون من تطبيقها عدم افساح المجال لتوفيق الفريقين ضدهم ولكن النتيجة انت بخطر جسيم: اضعاف الجيش البويهي بشكل عام كما أحدثت انقساماً خطيراً في صفوفه، وادى الى أمر أخطر من هذا، ذلك ان الديالمة والاتراك فقدوا الثقة بالامير، ولم تعد له تلك الثقة وذلك الاحترام مكانا في نفوسهم، وأصبحت ازالة النزاع القائم بين الديلم والاتراك غير ممكنة. وقد حاول بختيار ان يقوم بمثل هذه المحاولة ولكنه فشل في مسعاه سنة ٣٦٠ هـ / ٩٦٩ م ^(٨٢). وفي سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م أفلست الخزانة العامة

(٨١) المرجع السابق جـ ٢ ص ٣٠٨.

(٨٢) المرجع السابق: جـ ٢ ص ٢٨٢.

فحاول الامير البويهى بختيار ان يقوم بحركة ولكنها في الحقيقة كانت غير موفقة، فقد حاول ان يضع يده في اقطاع سبكتكين قائد الاتراك، فثار الاتراك في بغداد واستولوا على المدينة وأخرجوا بختيار منها وحدثت في بغداد اضطرابات شديدة، فقد نزل الاتراك في دور الديلم وتتبعوا أموالهم وأخذوها، وثارَت العامة من أهل السنة ينصرون سبكتكين لانه كان يتسنن فخلع عليهم وجعل لهم العرفاء والقواد فتاروا بالشيعَة وحاربوهم وسفكت بينهم الدماء واحرقت الكرخ حريقاً ثانياً^(٨٣) وظهرت السنة عليهم^(٨٤). واستنجد بختيار بركن الدولة وبعض الدولة^(٨٥) وسار عضد الدولة الى بغداد واعاد النظام الى بغداد^(٨٦).

وكانت السياسة البويهية في العراق بشكل عام غير مرضية فالبويهيون اتبعوا سياسة مذهبية تقوم على مناصرة المذهب الشيعي، وهذا بالطبع ادى الى احداث الفرقة في صفوف الشعب الواحد، وكان أثره عظيماً في تدمير الروح الوطنية وتمزق الصف الوطني، كما ادت تلك الفرقة الى احداث القلاقل والاضطرابات والفتن، كما أن سوء الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية أدى الى ظهور العيارين وانتشارهم في بغداد واستغلال الكثير منهم الفرص للسلب والنهب.

(٨٣) الحريق الاول حصل سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م راجع ابن الاثير

(٨٤) ابن الاثير: الكامل جـ ٧ ص ٥٣.

(٨٥) المرجع السابق جـ ٧ ص ٥٦.

(٨٦) المرجع السابق جـ ٧ ص ٥٩ - ٦٠.

وحركة العيارين التي برزت في هذا العصر لم تكن الا وليدة الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية القائمة وقتذاك، والمؤرخون يصمون العيارين بأنهم لصوص وأن حركتهم لم تقم الا لاكتثار الفوضى والفساد، ولكننا بأمكاننا أن نتلمس في بعض أعمال كبار العيارين صفات الانسانية والرجولة. ويبدو ان لحركة الفتوة صلة بحركة العيارين، فالعيارون يسمون طريقتهم الفتوة وربما حلف أحدهم بحق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب^(٨٧). ومن مبادئهم ان الفتى لا يزني ولا يكذب ويحفظ الحرم ولا يهتك ستر امرأة^(٨٨)، وقال الجنيد البغدادي: الفتوة كف الاذى وبذل الندى^(٨٩)، وللعيارين مبادئ سامية انسانية جديرة بالتفحص والدراسة، واشتهر في هذا العصر البرجمي العيار الذي استبد ببغداد من سنة ٤٢١ - ٤٢٥ هـ / ١٠٣٠ - ١٠٣٣ م وبلغ من عجز السلطة تجاهه ان العامة ثاروا بالخطيب في صلاة الجمعة وقالوا له أما أن تخطب للبرجمي والا فلا تخطب لسلطان ولا غيره^(٩٠). وكان البرجمي قد تعهد سنة ٤٢٥ هـ / ١٠٣٣ م بحفظ الامن وكان يجبي الضرائب في الاسواق وارتفاع المواخير والقيان لنفسه^(٩١).

(٨٧) ابن الجوزي: تلبيس ابليس ص ٣٩٢.

(٨٨) ابن الجوزي: تلبيس ابليس ص ٣٩٢.

(٨٩) القشيري: الرسالة القشيرية ص ١١٣.

(٩٠) ابن الاثير: ج ٨ ص ٧.

(٩١) ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ٧٨.

ويقول عنه ابن الاثير: وكان مع هذا فيه فتوة وله مروءة لم يعرض الى امرأة ولا الى من يستسلم اليه^(٩٢).

ولفظه العيار لغة، الكثير المجيئ والذهاب في الارض^(٩٣)، وقيل هو الذكى الكثير التطواف^(٩٤)، وحكى الفراء: رجل عيار اذا كان كثير التطواف والحركة ذكيا^(٩٥). وقال ابن الاعرابي: والعرب تمدح بالعيار وتذم به، يقال غلام عيار نشيط في المعاصي، وغلام عيار نشيط في طاعة الله عز وجل^(٩٦). وقد ركز العيارون هجماتهم على بيوت الاغنياء وكبار التجار وأصحاب الشرط والمتنفذين فالعيار المعروف بعزيز ظهر في باب البصرة من محلات بغداد، التحق به كثير من الذعار وطرح النار في المحال، وطلب أصحاب الشرط ثم صالح أهل الكرخ وقصد سوق التمارين وطالب بضرائب الامتعة وجبى ارتفاع الاسواق الباقية وكاشف السلطان وأصحابه ونادى فيهم وكان ينزل الى السقى فيطالب بالضرائب واصحاب السلطان يرونه من الجانب الآخر^(٩٧) ويبدو ان العيارين كانوا من السنة والشيعه ففي سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م زاد أمر العيارين والفساد ببغداد وكان فيهم من هو

(٩٢) ابن الاثير: ج ٨ ص ٧.

(٩٣) ابن منظور: لسان العرب ج ٥ ص ٣٠١.

(٩٤) الزبيدي: تاج العروس ج ٣ ص ٤٣٤.

(٩٥) ابن منظور: لسان العرب ج ٥ ص ٣٠١.

(٩٦) الزبيدي: تاج العروس ج ٣ ص ٤٣٤.

(٩٧) المنتظم ج ٧ ص ١٧٤ (الذعار: الذين يبثون الخوف بين الناس)

عباسي وعلوي^(٩٨) فواصلوا العملات واخذوا الاموال وقتلوا، واشراف الناس معهم^(٩٩). وكانت للعيارين تنظيمات خاصة بهم، وتميزوا بدرجات معلومة في السلم الرئاسي، ومن درجاتهم، المتقدم، وكان البرجمي على ما يظهر يحمل لقب "متقدم"^(١٠٠)، ودرجة القائد^(١٠١)، ودرجة الرئيس، فقد كان لكل محله رئيس وقد يجتمع فيها عدة رؤساء^(١٠٢)، وفي أواخر العصر البويهى أخذت الدولة تستعين بالعيارين ففي سنة ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م، تقلد أبو محمد النسوى النظر في المعونة ولقب الناصح واستحجب وخلع عليه، واستدعى جماعة العيارين فأقامهم أعوانا واصحاب مسالح^(١٠٣). وانتشر العياريون بكثرة في بغداد بشكل خاص ومع وجود بعض العيارين من يحمل روح الفتوة ومبادئها السامية ولكن سوء الاوضاع وانهيار الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي جعل الكثير من العاطلين والشقاء ينخرطون في صفوف العيارين، الامر الذى أدى الى ان تصطبغ هذه الحركة بصبغة اللصوصية والعدوان، ومهما يكن فظهور العيارين وانتشارهم واستبدادهم في بعض الاوقات بالامور دليل واضح للتردى الشامل الذى أصاب الدولة العباسية والحكم البويهى في العراق. كان كل المشرق

(٩٨) الصابى: تحفة الامراء ج ٨ ص ٤٦٢ و ص ٤٦٤.

(٩٩) المنتظم ج ٧ ص ٢٢٠ / الصابى: تحفة الامراء ج ٨ ص ٤٦٢.

(١٠٠) المنتظم ج ٨ ص ٤٧

(١٠١) المنتظم ج ٧ ص ٧٥ / مسكويه ج ٢ ص ٣٣٧ الهامش.

(١٠٢) مسكويه: ج ٢ ص ٣٠٥.

(١٠٣) المنتظم ج ٨ ص ٤٩.

الاسلامي الواقع الى شرقي العراق مقسما على السامانيين والغزنويين وعظم أمر الدولة الغزنوية حتى صارت تسيطر على المشرق كله من حدود الهند الى حدود خراسان الشمالية وهي دولة اتخذت من غرنة عاصمة لها، وكان محمود الغزنوي قد استولى على الملك سنة ٣٨٩ هـ / ٩٨٨ م وباستيلاء الاثراك الغزنويين على خراسان وما يجاورها يكون الفرع البويهى قد زال سلطانه في الري وبلاد الجبل، ويقول براون: وانه والي لبني بويه ضرباته التي انتهت باستيلائه على اصبهان^(١٠٤) كما ان محمود الغزنوي قام بحملات واسعة في بلاد الهند وقد نجح في تلك الحملات، حيث كان عاملا مهما في نشر الاسلام في تلك البلاد، ويقول ستانلي لينبول : ان حملات الغزنويين في بلاد الهند واتخاذهم مدينة لاهور مقرا لهم، يمكن عدّ ذلك بدء حكم المسلمين الحقيقي في هذه البلاد^(١٠٥)، وبالطبع كان لنجاح الغزنويين في ايران اثره الكبير في اضعاف الجناح البويهى في العراق.

والى جانب تلك الفوضى التي استعر أوارها في جسم الدولة العباسية والتي كانت عوامل هدم لها، فان البويهيين كانوا قد قاموا ببعض الاصلاحات المهمة، والتاريخ يذكر ان عضد الدولة البويهى كان من أنشط الحكام البويهيين في الاصلاحات العمرانية، فقد شيد المساجد والمستشفيات وغيرها من المباني العلمية، كما أحتضن العلماء وطلبة العلم^(١٠٦) ومن أشهر

(١٠٤) Brown: literary history of persia, vol I p 376

(١٠٥) Lane poole : The muhammadan Dynasties, p.284

(١٠٦) ابو شجاع: ذيل تاريخ مسكويه ج ١ ص ٦٩

أعماله المهمة المارستان الذي عرف في التاريخ بالمارستان العضدي والذي تمت عمارته سنة ٣٧١ هـ / ٩٨١ م وقد أوقف عليه عضد الدولة أوقافا كثيرة^(١٠٧)، وقد وردت اشارات عديدة للمؤرخين والرحالة في وصف بنائه واستمرار العمل فيه^(١٠٨).

كما انشئت في بغداد "دار العلم" التي بناها أبو نصر بن اردشير وزير السلطان بهاء الدولة سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ م في الجانب الغربي من بغداد وقد احتوت من الكتب ما زاد على العشرة آلاف مجلد من الكتب الخطية النفيسة^(١٠٩) وذكر ابن الاثير انها شيدت سنة ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م^(١١٠). وكانت هذه الدار مركز بحث ودراسة، يفد اليها الادباء والعلماء والفلاسفة والحكماء ومن أشهر من قصدها الشاعر الفيلسوف العربي أبو العلاء المعري.

ولا بد لنا من ان نشير الى استبداد الامراء البويهيين وتعسفهم في الحكم واستهتارهم في معاملة الموظفين، حتى وزرائهم، وقد ضاعت هيبة الوزارة وسقطت كرامة الوزراء، وقد ابطال البويهيون رسم الوزارة، وقام

(١٠٧) راجع ابن الجوزي: المنتظم ج ٧ ص ١١٢ - ١١٣.

- بنيامين التطيلي: رحلة بنيامين ص ١٣٥.

- ابن جبير: الرحلة ص ١٧٩.

(١٠٨) ابن الجوزي: المنتظم ج ٧ ص ١٧٢.

العقيلي: مختصر المناقب ص ٢٨.

(١٠٩) ابن الاثير: ج ٢ ص ٧٨.

(١١٠) مسكويه: ج ٢ ص ٧٨.

- المسعودي: التنبيه والاشراف ص ٣٩٩.

كاتب الامير مقام الوزير، وقتلنا ان الوزراء فقدوا نفوذهم القديم وأصبحوا في عصر البويهيين تحت رحمة امرائهم لاحول لهم ولا قوة، ومن امثلة المعاملة السيئة للوزراء ان معز الدولة البويهى ضرب وزيره أبا محمد المهلبى المتوفى سنة ٣٥١ هـ^(١١١)، مئة وخمسين مفرقة، ووكل به في داره ولكنه لم يعزله من وزارته، وشاور معز الدولة من حضرة وقال: هل يجوز ان استنيم الى هذا الرجل وقد لحقه منى هذا الكروه العظيم؟ فقال أحد من استشاره: ان مرداويج قد ضرب وزيره أعظم من هذا الضرب، حتى كان لا يطيق المشى، ولا يقدر على الجلوس لما حل به، ثم خلع عليه ورده الى امره^(١١٢)، ولما تولى بختيار بن معز الدولة السلطنة، استوزر صاحب مطبخه وذلك سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م^(١١٣).

ويبدو ان البويهيين لم يكونوا ليهتموا باختيار العناصر ذات الكفاءة والسمعة الطيبة لمنصب الوزراء، وأخذوا منذ عهد عضد الدولة يختارون شخصيتين لمنصب الوزارة، أحدهما يقيم في فارس والثاني يقيم في بغداد، وكذلك سار على هذا النهج بهاء الدولة فعين وزيرين وجعل أحدهما مديرا لامور العراق^(١١٤)، ولما مات الصاحب بن عباد ٣٨٤ / ٩٩٤ م وقعت مساومة شائنة حول هذا المنصب وذلك ان أحد الولاة أرسل يخطب الوزارة ويضمن ثمانية آلاف درهم فبذل الوزير الذي في الوزارة آنذاك سننة آلاف على اقراره في الوزارة، فأشرك السلطان فخر الدولة بينهما في النظر، ورتب أمورهما على أن يجلسا في دست واحد، ويكون التوقيع لهذا يوما والعلامة للآخر، وكنا يتقارعان على من يخرج لقيادة الجيوش، ثم سعت

^(١١١) مسكويه: ج ٢ ص ١٤٥.

^(١١٢) مسكويه: ج ٢ ص ١٤٥.

^(١١٣) مسكويه: ج ٢ ص ٢٨٥ / ابن الاثير: ج ٧ ص ٣٦٢..

^(١١٤) ابن الاثير: ج ٧ ص ١٤٥.

بينهما السعاة ودبر احدهما للآخر فقتله^(١١٥). فالخلافة وقد بلغت حداً كبيراً من الضعف وبدا التجزؤ فيها واضحاً وجسيماً، واستقلت أطراف مثل الدولة السامانية في خراسان وما وراء النهر، والدولة الغزنوية التي امتدت من خراسان حتى الهند، واستقل الفاطميون بمصر والشام وشبه جزيرة العرب كما استولى البريديون على البصرة والاهواز وواسط، وأصبحت البحرين واليمامة في يد أبي طاهر القرمطي، ولم يبق للخليفة العباسي شأن الا في بغداد والسلطة الفعلية للحاكم البويهي، هذا من الناحية الادارية والسياسية، ولكن كان هناك للخليفة تأثير ديني في كثير من الاقاليم الاسلامية، وفي عهد البويهيين أصبح في العالم الاسلامي ثلاث خلفاء، خليفة عباسي في بغداد، وخليفة أموي في الاندلس، وخليفة فاطمي في القاهرة، وهذا بالطبع من مظاهر ضعف الخلافة العباسية. وبالرغم من أن الخلافة العباسية كانت ضعيفة فانها ظلت تتنازع البقاء طوال العصر البويهي، اذ لولا الاعتبارات الشخصية وخوف البويهيين على نفوذهم من الضياع، لكان بمقدورهم القضاء على الخلافة العباسية، والدعوة للخليفة الفاطمي، يروي ابن الاثير: ان معز الدولة استشار جماعة من خواص أصحابه في اخراج الخلافة من العباسيين والبيعة للمعز لدين الله العلوي أو لغيره من العلويين، فكلهم اشار عليه بذلك، ماعدا بعض خواصه فاته قال: ليس هذا برأى فانك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك انه ليس من أهل الخلافة ولو امرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه، ومتى أجلس بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته فلو أمرهم بقتلك لغطوه. فأعرض عن ذلك^(١١٦).

(١١٥) ياقوت الحموي: ارشاد الاريب ج ١ ص ٧١.

(١١٦) ابن الاثير: ج ٦ ص ٣١٥.

وكان المجتمع في بغداد تسوده الخصومات الطائفية التي اثارها البويهيون ومما زاد في الطين بلة، ان الاتراك الذين استخدمهم البويهيون كانوا يتطرفون للسنة، والديالمة يتطرفون للشيعة، وهذا بالطبع جر على البلاد المصائب، ففي سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧١ م قامت فتنة بالكرخ فارسى الوزير حاجبه لقتال العامة، وكان شديد العصبية للسنة، فألقى النار في اماكن كثيرة، فاحترق الكرخ حريقا عظيما، وكان عدد من احترق فيه سبعة عشر ألف انسان وثلاث مئة دكان وثلاثة وثلاثين مسجدا^(١١٧)، وفي تلك الاحوال التي كانت ماثلة في بغداد يقول ابن الاثير: وفيها كثرت الفتن بين العامة ببغداد وزالت هيبة السلطنة وتكرر الحريق في المحال واستمر الفساد^(١١٨).

واخيرا أقل نجم بنى بويه، واضمحت دولتهم وتقلصت مواردهم المالية حتى أفلست الخزانة، واختلت المملكة أيام جلال الدولة وقطعت عنه المادة حتى أخرج ثيابه وآلاته وباعها في الاسواق، وخلت داره من حاجب وفراش وبواب، وصار اكثر الابواب مغلقا، وانقطع ضرب الطبل له في أكثر الايام لانقطاع الطبالين^(١١٩) وفي سنة ٤٢٣ هـ / ١٠٣١ م نهب الاتراك دار السلطان جلال الدولة وسلبوا الكتاب وارباب الديوان ثيابهم وطلبوا الوزير أبا اسحق السهلي فهرب الى حلة كمال الدولة غريب بن محمد، وقطع الاتراك خطبة السلطان جلال الدولة^(١٢٠). وهكذا فالامر في اواخر العهود البويهية كان ينذر بالخطر كما كان ينبئ باحداث جديدة، وفي هذا

^(١١٧) المنتظم ج ٧ ص ٦٠.

ابن الاثير: ج ٧ ص ٤٩.

^(١١٨) ابن الاثير: ج ٧ ص ١٥٦.

^(١١٩) ابن الاثير: ج ٧ ص ٣٥٦.

^(١٢٠) ابن الاثير: ج ٨ ص ٢.

المنتظم: ج ٨ ص ٦٢

الوقت كان السلاجقة الاتراك يتوسعون في ايران وصار نفوذهم يقوى يوما بعد يوم، ووجد طغرل بك الفرصة سانحة لدخول العراق والقضاء على الدولة البويهية، فسار في المحرم من سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥ م الى همدان وأظهر أنه يريد الحج واصلاح طريق مكة والمسير الى الشام ومصر وازالة المستنصر بالله الخليفة الفاطمي، فأمر عماله في المناطق المجاورة للعراق بجمع الجند، ثم دخل العراق، فأسرع الملك الرحيم آخر أمراء بني بويه الى بغداد، واستقر الرأي بينه وبين الخليفة العباسي القائم بأمر الله على التعاون مع طغرل بك^(١٢١) ودخل طغرل بك بغداد والقي القبض على الملك الرحيم وأرسله اسيرا الى الرى فألقى في السجن حتى توفي عام ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م، وهكذا قضى على الدولة البويهية وزال نفوذها من العراق وايران.

ومن الجدير بالذكر قبل ان ننتقل الى فصل جديد، ان الكثير من مظاهر وملامح الحكم البويهى ستتكرر خلال حكم السلاجقة للعراق، فدخل السلاجقة الى العراق يكاد يكون بالطريقة البويهية نفسها. ونلاحظ ان استبداد ملوك بني بويه كاستبداد سلاطين السلاجقة كما كانت نظرة السلاجقة الى الخليفة نظرة البويهيين نفسها، اذ اعتقد السلطان السلجوقي في نفسه انه الحاكم الاول وصاحب الفضل في حماية الخليفة، كما ان السلاطين السلاجقة اخذوا يتدخلون في شؤون الخلافة كما تدخل ملوك بني بويه في أحوالها والاستحواذ على سلطاتها وخصائصها.

(١٢١) ابن الاثير: ج ٧ ص ٣٥٦.

المنتظم: ج ٨ ص ٦٤.

وعرفنا ان العصر البويهى كان عصرا يموج بالفتن والاضطرابات، التي كانت لها نتائج خطيرة في حياة السكان وامنهم، واستمرت تلك الفتن والاضطرابات في العصر السلجوقي بشكل عنيف أيضا، فكثر الفتن والقلق بين طائفتى السنة والشيعة، وبين الحنابلة والاشاعرة.

وان العيارين الذين قاموا بأعمال عنيفة في العصر البويهى في العراق نراهم يقومون بالدور نفسه فى العصر السلجوقي، خاصة عندما يجدون مجالا لأعمالهم أيام الحروب والمنازعات التي تقع بين الملوك والسلاطين السلاجقة، أو اوقات الحروب والمشاحنات التي تحصل بين الخلفاء العباسيين والسلاجقة.

كما نلاحظ ان الوضع الاقتصادي ساء في الحالتين ، في حالتي الحكم البويهى والحكم السلجوقي، وضج الناس من كثرة مواسم الغلاء واستمرار الازمات الاقتصادية نتيجة الحروب وكثرة المنازعات والفتن.

وأخيرا كان البويهيون قد وزعوا الكثير من الاقطاعات على قوادهم وخواصهم، كذلك اتبع السلاجقة تطبيق ذلك النظام ولكن بشكل أوسع وستكون له نتائج خطيرة في حياة الدولة السلجوقية، والذي سيؤدي الى اضعافها وسقوطها كما سنرى في الفصول التالية.

..

الفصل الثاني

الدولة السلجوقية منذ قيامها الى انفصال سلاجقة العراق

السلاجقة . مناطقهم. اصلهم. سلجوق بن دقاق. أسباب هجرتهم. أولاد سلجوق. اسرائيل بن سلجوق. خوف الغزنويين من السلاجقة. محمود الغزنوي يوقع باسرائيل. عبور السلاجقة الى خراسان. ميكائيل يثبت أقدام السلاجقة في خراسان. طغرل بك وجغرى يوحدان صفوف السلاجقة: اتفاق السلاجقة والسلطان مسعود الغزنوي. أثر الصلح بين السلاجقة والغزنويين. الحروب بين السلاجقة والغزنويين، دخول طغرل نيسابور، ابتداء دولة السلاجقة. موقعة دندانقان. نتائج الموقعة. توسع السلاجقة في ايران. تكتل السلاجقة ووحدة كلمتهم. تقسيم المملكة على الامراء. ارتباط الامراء بالسلطان. اتصال السلاجقة بالخليفة العباسي. الخليفة العباسي يرسل رسولا الى طغرل بك. دخول السلاجقة بغداد. نهاية البويهيين زواج الخليفة العباسي من ارسلان خاتون. ثورة البساسيري. سبب الثورة. المؤيد في الدين واثره في ثورة البساسيري. ابراهيم ينال وخروجه على السلطان. علاقة ابراهيم ينال بالبساسيري. القضاء على ثورة البساسيري. مغادرة السلطان بغداد وتعيين أول شحنة فيها. زواج طغرل بك من ابنة الخليفة. وفاة طغرل بك. سيطرة الب ارسلان على العرش السلجوقي. المشاكل التي واجهت الب ارسلان. الوزير نظام الملك. اتساع الدولة السلجوقية. موقعة ملاذكرد. مقتل الب ارسلان. تولي ملكشاه السلطنة. العلاقات بين الخلافة

والسلاجقة. زيارات ملكشاه لبغداد. وفاة ملكشاه. تولية بركيارق. المشاكل التي واجهت بركيارق. الصراع بين الوزراء السلاجقة. التنافس على السلطنة. وفاة بركيارق. تولية ملكشاه بن بركيارق. منافسة محمد ملكشاه لملكشاه بن بركيارق. بداية الانقسامات وضعف الدولة. استفحال امر الباطنية. السلطان محمد يحارب الباطنية . تأثر الخلافة بالحوادث السائدة. السلطان سنجر. ظهور الدولة القره خا والخوازمية في عصر سنجر. ضعف قوة سنجر سبب كثرة الحروب وفاة سنجر وانقسام المملكة الى دويلات متعددة من ضمنها سلاجقة العراق .

..

السلاجقة فرع من قبائل الغز انسبوا حوالي ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م من سهول التركستان، وسكنوا أول أمرهم في بلاد ما وراء النهر^(١)، واعتنقوا الدين الاسلامي على وفق مبادئ المذهب الحنفي الذي أخذه الترك عن السامانيين حيث ساد في دولتهم^(٢). وقد سمي هذا الفرع بالسلاجقة نسبة الى جدهم الاعلى سلجوق بن دقاق^(٣)، وكان محترماً الجانب بين فرساته^(٤)، شهماً صاحب رأي وتدبير^(٥)، وكلمة دقاق في التركية معناها القوس من الحديد^(٦)، ويبدو ان سلجوق هو الذي تمكن بطموحه وقوة شخصيته من ان يكون لقبيلته كيانا، فعلا شأنها بفضل سعيه ونشاطه .

ان سلجوق بن دقاق قدم مساعدات عسكرية للسامانيين الذين استجدوا به عندما اغار "هرون بن ايلك خان" على بعض ممتلكاتهم، حيث ارسل ولده ارسلان في جماعة من السلاجقة^(٧)، وكان لهذه المساعدات أثرها الطيب في نفوس السامانيين، فأذنوا للسلاجقة بالمرور عبر بلادهم والاستقرار عند شواطئ نهر سيحون حيث اتخذوا مدينة "جند" قاعدة لهم^(٨)، وصاروا يستقرون في بلاد ما وراء النهر بعد ان كملت هجرتهم من

(١) ابن العميد: تاريخ المسلمين ص ٢٦٧ .

(٢) بارتولد: تاريخ الترك ص ١٠٨ .

(٣) Ency of Islam, vol, Iv. P.208 .

- الحسيني: اخبار الدولة السلجوقية ص ٢ .

(٤) الراوندي: راحة الصدور ص ١٤٧ .

(٥) اخبار الدولة السلجوقية ص ١ .

- ابن الاثير ج ٩ ص ١٦٣ .

(٦) ابن الاثير ج ٨ ص ٢٢ .

(٧) ابن الاثير ج ٨ ص ٢٢: ايلك خان من ملوك ما وراء النهر .

(٨) اخبار الدولة السلجوقية ص ٢ .

- ابن الاثير ج ٨ ص ٢٢ .

- الفخري ص ٢١٥ .

التركستان^(٩). وكانت هجرة السلاجقة من التركستان كما يراها بعض المؤرخين نتيجة ازدهار ديارهم وضيق مراعيهم^(١٠). وكان لسلجوق بن دقاق أربعة أولاد هم: اسرائيل (بيغو ارسلان) وموسى بيغو ويونس وميكائيل^(١١)، وخلف اسرائيل ولدا اسمه قتلмыш والذي هو رأس سلاجقة الروم وخلف ميكائيل ولدين، طغرل بك وجغري. وقاد اسرائيل قومه بعد وفاة والده سلجوق، وكانت الدولة السامانية قد انهارت سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٨ م وكانت أراضي السلاجقة قد ضاقت بهم فآخذوا ينتقلون ما بين (نور بخاري) في الشتاء وفي (سغد سمرقند) في الصيف^(١٢)، ومن الطبيعي ان هذا من حالات حياة التنقل التي تعودها السلاجقة، ولا يفوتنا ان السلاجقة من الاقوام التي اصطبغت بالصبغة القبلية، وعاشوا عيشة التنقل من مكان الى آخر طلبا للرزق وهم بهذا يختلفون عن الساميين^(١٣)، الذين كانوا يمتازون بالاستقرار وبتعرفهم على الحياة الحضارية.

ان ظهور السلاجقة كقوة جديدة، أصبح يحسب لها الآخرون حسابا في تقدير الموقف الخطير الذي سيطر في هذه المنطقة من جراء توسع

(٩) حمد الله المستوفي: كزيدة ص ٤٣٤.

(١٠) الراوندي: راحة الصدور ص ١٤٥.

(١١) الحسيني: اخبار الدولة السلجوقية ص ٢.

- الراوندي: راحة الصدور ص ١٤٥ - ١٤٦.

اليزدي: العراضة في الحكاية السلجوقية ص ١٧.

(١٢) راحة الصدور ص ١٤٥.

(١٣) العروضي السمرقندي: جهاز مقاله ص ٢٣.

القوى السلجوقية، فأخذ الغزنويون يتوجسون خيفة من ذلك، لذا دبر محمود الغزنوي حيلة للقبض على اسرائيل، فarsل رسالة الى السلاجقة جاء فيها: "انني لفي عجب من تدبيركم وعقلكم، ولكنكم حتى الآن وبحكم الجوار لم تطلبوا منا طلباً أو تلتمسوا ملتسماً، واني لشديد الرغبة في مصادقتكم واستمداد المعونة منكم ولست في غنى على الاطلاق عن معاونتكم، فاذا لم يستطع جميع الاخوة الحضور الي فليختاروا واحدا منهم يفد الى مقرى. ولقد اتخذت مقامي على شاطئ النهر حتى تقصر المسافة بيني وبينكم، فاذا جاءني واحد منكم عقدت معه العهد ووثقت معه الموائيق^(١٤) .

ووصلت رسالة محمود الى السلاجقة، واختاروا أن يرسلوا اليه اسرائيل وكان المقدم المحترم بينهم^(١٥)، ويذكر اليزدي: ان الاخوة اقترحوا فوقعت القرعة على اسرائيل^(١٦)، فسار اسرائيل الى محمود الغزنوي مع جيش كبير، ولكن محموداً عمد الى الحيلة، فأرسل اليه رسولا يستقبله ويقول له: لسنا الآن في حاجة الى الاستمداد بجيشك وانما جملة مقصودنا ان ننعم برويتك والا ستظاهر بك، فاترك الجيش مكانه وتعال أنت مع خواصك وأعيان رجالك^(١٧)، فترك اسرائيل جيشه وذهب الى مقابلة السلطان

(١٤) الراوندي: راحة الصدور ص ١٤٧ - ١٤٨ .

- اليزدي: العراضة في الحكاية السلجوقية ص ٢١ - ٢٢ .

(١٥) الراوندي: راحة الصدور ص ١٤٨ .

(١٦) اليزدي: العراضة في الحكاية السلجوقية ص ٢١ .

(١٧) الراوندي: راحة الصدور ص ١٤٨ .

- اليزدي: العراضة والحكاية السلجوقية ص ٢٢ .

محمود مع أشخاص معدودين من رجاله، فأكرم محمود وقادته ورحب به، ودارت بين محمود الغزنوي واسرائيل محادثة فهم منها السلطان محمود الغزنوي بقوة السلاجقة وكثرة جيوشهم، فرأى من الاصبوب حسب رأيه، ان يحتجز اسرائيل عنده^(١٨)، وبذلك خالف ونقض العهد لقيامه بعمل يخالف العرف والتقليد الاسلاميين. وحمل السلطان محمود الغزنوي، اسرائيل بن سلجوق الى الهند وحبسه في قلعة كالنجر^(١٩)، وبقي في تلك القلعة مدة سبع سنوات، ثم حاول السلاجقة انقاذه من سجنه ولكن حراس القلعة اكتشفوا الامر فشددوا القيود عليه وظل سجيناً حتى مات^(٢٠).

كانت لتلك الحادثة أثرها المؤلم في نفوس السلاجقة الذين صمموا على الثأر كما ازدادوا حذراً وحيطاً، وتولى قيادتهم ميكائيل وقد نجح في نقلهم الى اقليم خراسان^(٢١) وذلك أن السلاجقة أرسلوا الى السلطان محمود الغزنوي رسالة جاء فيها: ان مقامنا اصبح يضيق بنا، وان مراعيينا اصبحت لا تفي بحاجة مواشيننا، فاذن لنا ان نعبر النهر وان نجعل مقامنا بين "تسا" و "باورد"^(٢٢)، وتقدم حاكم طوس المدعو "ارسلان الجاذب"

(١٨) الراوندي: راحة الصدور ص ١٤٩ .

(١٩) المرجع السابق ص ١٥٠ .

(٢٠) المرجع السابق ص ١٥١ .

(٢١) البنداري: آل سلجوق ص ٥ .

(٢٢) الراوندي: راحة الصدور ص ١٥٣ .

-اليزدي: العراضة في الحكاية السلجوقية ص ٢٩ .

- كرديزي: زين الاخبار ص ٦٧ .

بنصيحة للسلطان محمود: أن ليس من الصواب أن تسمح لهم بالعبور الى خراسان، فاتهم كثيرون يملكون العدة والعتاد، واتي أخشى ان يكونوا سببا في متاعب لا يمكن تلافيها وتداركها^(٢٣).

ووافق السلطان محمود الغزنوي على عبور السلاجقة النهر وكان ذلك في حدود سنة ٤١٦ هـ / ١٠٢٥ م^(٢٤)، وقد نشأ لميكايل ولدان احدهما "جفري بك" والآخر "أبو طالب طغرل بك محمد"^(٢٥). وقد تمكن ميكايل من ترسيخ أقدام السلاجقة في اقليم خراسان وتوحيد صفوفهم ولكن الظروف في خراسان كانت غير مواتية لميكايل، فان أهل بعض المدن في هذا الاقليم مثل أهل نسا وبادرد، اشتكوا السلطان محمود الغزنوي سنة ٤١٨ هـ / ١٠٢٧ م وطلبوا منه ابعاد السلاجقة من جوارهم، فأمر السلطان محمود الغزنوي والى مدينة طوس باجلاتهم فهاجمهم، ودافع السلاجقة دفاعا مجيدا ودارت معارك عنيفة انتصر فيها السلاجقة الا ان حضور السلطان محمود مع نجدات كبيرة، أحال ذلك النصر الى هزيمة نكراء للسلاجقة^(٢٦).

(٢٣) الراوندي: راحة الصدور ص ١٥٣- اليزدي: العراضة ص ٢٩ - الحسيني: اخبار الدولة

السلجوقية ص ٣: ذكر ان ارسلان طلب من السلطان محمود ان يقطع ابهام كل واحد من السلاجقة ليأمن شرهم فامتنع محمود الغزنوي عن قبول هذا الرأي .

- ابن الاثير: ذكر الحادثة كما ذكرها صاحب اخبار الدولة السلجوقية ج ٨ ص ٢٢ .

(٢٤) حمد الله المستوفي: تاريخ كزيدة ص ٤٣٥ .

(٢٥) راحة الصدور : ص ١٥٤ .

(٢٦) كرديزي: زين الاخبار ص ٧٠ - ٧١ .

وفي سنة ٤٢١ هـ / ١٠٣٠م توفي السلطان محمود الغزنوي، فانتهز ابنا ميكائيل جغري وطغرلبك، اللذان جمعا السلاجقة ووحدا صفوفهم، فحاولا الاخذ بالنار من الغزنويين، وصارا يوسعان رقعة أراضيهم ثم اصطدما بوالي نيسابور (سوري بن المعتر)^(٢٧) الذي وقف امام السلاجقة سنة ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤م ولكنهم انتصروا عليه بالرغم من مساعدات السلطان مسعود بن السلطان محمود الغزنوي، وأوقع السلاجقة خسائر فادحة في جيش مسعود واستولوا على ما قيمته عشرة ملايين من الدنانير من الالبسة والأمتعة والدواب^(٢٨). واضطر السلطان مسعود الى ترك ميدان حرب السلاجقة والتوجه الى الهند وعقد الصلح معهم، ويبدو ان السلطان مسعود الغزنوي قد واثته رسل السلاجقة يحملون رسالة أمرائهم وكانت تلك الرسالة^(٢٩) تتم عن سياسة حكيمة وبعد نظر من السلاجقة برغم

(٢٧) الراوندي: راحة الصدور ص ١٥٤ .

(٢٨) الراوندي: راحة الصدور ص ١٥٦

(٢٩) نص الرسالة:- "وقد اخطأنا في اختيار سوري للوساطة والشفاعة عند السلطان فاته متهور ولا يرعى المصلحة في عواقب الامور وانتهى الامر الى ان سير السلطان اليينا جيشا، ومعاذ الله ماكننا نجروا على امتشاق الحسام في وجه الجيش المنصور، لولا انهم انقضوا على نورنا كما تنقض الذئاب على الحملان واعتدوا على نساننا واطفالنا، مع اننا كنا حاصلين على الامان، فلم نجد بدا من ان ندافع عن أنفسنا، والنفس عزيزة، وانا نؤكد ما ذكرنا اول الامر، وكل ما حدث لم يكن الا من قبيل عين حاسدة أصابت الجيش المنصور على الرغم منا. ولما كان للاستاذ الرئيس سابقة معرفتنا في خوارزم، اثناء حكم خوارزمشاه التونتاش، وله بنا صلة أكل الخبز والملح معا فجدبر به ان يتفضل بالوساطة والشفاعة لنا عند السلطان، فيستعطف قلبه ليحنو علينا، ويقبل اعدارنا، ويعيد رسولنا موفقا مكرما لتطمئن بذلك قلوبنا، وافضل من هذا ان يوفد الاستاذ الرئيس اليينا احد ثقاته مع هذا الرسول ليسمع أقوالنا ويتأكد من عيوديتنا واخلاصنا وبأنا لا تبغى غير السلم".

راجع: البيهقي: تاريخ البيهقي ص ٥٢٥ - ٥٢٦ .

انتصارهم وارى ان السلاجقة فكروا بعيدا في موضوع طلب المصالحة والعفو من السلطان لكي يركنوا الى الراحة والاستقرار وليكسبوا شيئا من البلاد فيه اعتراف السلطان بحقهم في ذلك الشئ وفعلوا وبعد مجادئات ومفاوضات بين رسل السلاجقة والسلطان ومستشاريه تم الاتفاق على ما يلي :

- ١- تعطي الى بيغو وطغرل وداود ولايات نساو فراوة ودهستان .
 - ٢- تعطي لكل واحد من هؤلاء خلعة ومنشور ولواء .
 - ٣- ان يذهب القاضي أبو نصر الصيني ويسلمهم الخلع بنفسه .
 - ٤- ان يأخذ القاضي أبو نصر الصيني عليهم الميثاق بالوفاء بالعهد مع السلطان .
 - ٥- أن يقتصر هؤلاء على هذه الولايات الثلاث .
 - ٦- ان يأتي أحد هؤلاء الثلاثة الى الدركاه^(٢٠) ليكون في خدمة السلطان.
- وقد نظمت هذه الاتفاقية، وكتبت دهستان باسم داود نسا باسم طغرل وفراوة باسم بيغو، ثم وقعها السلطان ووجهت اليهم رسائل منه، بلقب الدهقان وأعدت لهم ثلاث خلع كما هو الرسم في خلع الولاة، تشتمل الواحدة على قلنسوة ذات ركنين ولواء وحلة مطرزة وجواد وسرج وكمر من ذهب برسم التركمان وثلاثين ثوبا غير مخيطة لكل واحد منهم^(٢١).
- لقد كان لهذا الصلح اثره الكبير في بعث القوة والاستقرار للسلاجقة، وصار أمرهم يعلو في نطاق الدهاقين الولاة بمرور الايام وأخذوا في توسيع

(٢٠) الدركاه: البلاط .

(٢١) البيهقي: تاريخ البيهقي ص ٥٢٨ .

رقعة أراضيهم التي ضاقت بهم، وعاد مسعود الغزنوي من بلاد الهند الى غزنة سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م، وعلم بارتفاع شأن السلاجقة وابعادهم عن خراسان^(٢٢)، ولكن أمير خراسان أجابه برسالة قال فيها: ان أمر السلاجقة قد علا بحيث لا أستطيع أنا ولا غيري ان نقاومهم^(٢٣). ولكن السلطان مسعود ألح على أمير خراسان بضرورة الحرب والقيام لها، فانصاع هذا الامير الى أمر السلطان واستعد للحرب، وما ان اصطدم بالسلاجقة الا وكان الفشل حليف أمير خراسان^(٢٤)، الذي انهزم في ميدان المعركة^(٢٥)، ودخل طغرلبيك الى نيسابور فجلس على عرش مسعود^(٢٦)، ولقب طغرلبيك السلطان المعظم ركن الدنيا والدين (أبو طالب)^(٢٧).

كان دخول طغرلبيك مدينة نيسابور واعتلاؤه العرش أول سلطان للسلاجقة سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م وهذا التاريخ هو بدء السلاجقة، بوصفها تحمل الصفات العامة، فقد أصبح للسلاجقة كيان سياسي ورقعة

(٢٢) الراوندي: راحة الصدور ص ١٥٧ .

(٢٣) الراوندي: راحة الصدور ص ١٥٧ .

(٢٤) الراوندي: راحة الصدور ص ١٥٨ .

- الحسيني أخبار الدولة السلجوقية ص ٩ .

(٢٥) ابن الاثير : الكامل: ج ٨ ص ١٥ .

(٢٦) الراوندي: ص ١٥٨ .

- ابن الاثير : ج ٨ ص ١٥ .

- البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق ص ٧ .

(٢٧) الحسيني: اخبار الدولة السلجوقية ص ٩ .

- عبد النعيم حسنين: سلاجقة ايران ص ٢٨ .

كبيرة من الارض وحاكم له الزعامة التي منحها اياه رعاياه، ومنذ هذا التاريخ تبدأ صفحة جديدة من صفحات النشاط السياسي والعسكري في هذه المنطقة، ومن الطبيعي ان وجود السلاجقة قوة كبيرة متركزة في اقليم خراسان، حالة خطرة بالنسبة للدولة الغزنوية، التي أخذ الضعف يدب في جسمها وصار جيشها يصاب بالنكسات والهزائم، ولكن مسعود الغزنوي، أراد ان يخوض معركة انتحارية مع السلاجقة، فسار في جيش كبير، متجها نحو مرو ولكن جيش الغزنويين واجه أزمة شديدة في المؤن حتى وصف ذلك البيهقي: وركب السلطان وسلك طريق مرو فسار الجند وراءه متخاذلين كأنهم حقاً يقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى، وكان اليوم شديد القيظ، والمؤن قليلة والعلف لا وجود له والدواب هزيلة والناس صيام^(٣٨). وفي الوقت ذاته كانت قوى السلاجقة مستعدة كل الاستعداد، ووقف السلاجقة في الصحراء الواقعة بين سرخس ومرو في مكان يعرف (دندانقان) وكانت في هذه الصحراء جملة من الآبار فاستنزف السلاجقة ماءها ثم طموها^(٣٩).

تعد معركة دندانقان التي وقعت في الثاني من رمضان سنة ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م من المعارك الفاصلة في تاريخ الغزنويين والسلاجقة، وانها انتهت الصراع بين هاتين القوتين، في هذه المعركة حمل السلاجقة حملة شعواء على جيش السلطان مسعود، يقول البيهقي: "واختلط الحابل بالنابل واختل النظام من كل جانب وولى رجالنا جميعا الادبار"^(٤٠).

(٣٨) البيهقي: ص ٦٨٠ وقعت المعركة في الايام الاولى من شهر رمضان .

(٣٩) راحة الصدور: ص ١٦٣ .

(٤٠) البيهقي: ص ٦٨٨ .

واختل نظام الميمنة والميسرة وكان كل رجل يقول نفسي نفسي^(٤١) ويقول البيهقي : وثبت أن موقعة دندانقان انتهت بهزيمة حاسمة، وإن السلاجقة قد غنموا ما لا حصر له من الذهب والفضة والملابس والدواب^(٤٢) .

رجع بعد تلك الهزيمة السلطان مسعود الى غزنة، ثم سار الى الهند ليشتوا بها على عادة والده وأخذ معه أخاه محمدا، واستصحب الخزائن وكان عازما على الاستنجاد بالهنود لمحاربة السلاجقة ثقة بعهودهم^(٤٣) ولما عبر سيحون وعبر بعض الخزائن، اجتمع انوشتكين البلخي وجمع بعض الغلمان ونهبوا ما تخلف من الخزائن، ونصبوا أخاه محمدا، وأصبح جيش مسعود قسمين، والقي الطرفان المتنافسان في عراق شديد وقتل السلطان مسعود بعد ان اعتقل في قلعة كيكي^(٤٤) .

وأخذ طغرلبيك بالتوسع. ففي سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١م ضم طغرلبيك الى أقاليمه مدينة جرجان وطبرستان^(٤٥)، وتقدم نحو خوارزم وامتلكها، وامتلك ابراهيم ينال مدينة همذان وسيطر على البلاد المجاورة لها^(٤٦). ومن ثم التقى طغرلبيك وابراهيم ينال وسارا سوياً الى كرمان وحاربا أهلها

(٤١) المرجع السابق: ص ٦٨٩.

(٤٢) ابن الاثير: ج ٩ ص ١٦٧ .

(٤٣) المرجع السابق: ص ٦٩٥.

(٤٤) اخبار الدولة السلجوقية ص ١٤ ذكر القلعة باسم كيري في الهند .

- ابن العبري: ص ٣١٥ - ٣٢٠ .

- ابن الاثير: ج ٨ ص ٢٦ ذكرها باسم كيكي.

(٤٥) المرجع السابق: ج ٨ ص ٣٠ .

(٤٦) المرجع السابق: ج ٨ ص ٣٤ .

ولكن الملك أبا كالجبار سير الجيوش الكثيفة لصد السلاجقة، وترك طغرل بك كرمان لشدة المقاومة^(٤٧). ونحن ندرك منذ هذه اللحظة ان مجال النشاط السلجوقي اتسع حتى غطى كل الاقاليم الايرانية في بحر قزوين الى المحيط الهندي، فان قوة كرمان لم تكن قادرة على طول المدى على أن تقف بين السلاجقة وبين الوصول الى المحيط الهندي. وفي سنة ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م استوزر السلطان طغرل بك وزيره أبا القاسم علي بن عبد الله إيجويني وهو أول وزير في الدولة السلجوقية^(٤٨). وابتدأ بذلك دور تنظيم الدولة السلجوقية واستقرارها الاداري على يدي أعوان من الفرس ذوي خبرة بالتقاليد الاسلامية .

من المهم ان نلاحظ ان السلاجقة في هذه المرحلة من بدء تكوينهم السياسي، كانوا يتكتلون ويتحدون من أجل توحيد الصف السلجوقي في هذا الظرف الدقيق من حياتهم، فقد اجتمع طغرل بك وأخوه جغري بك مع عمهما موسى بن سلجوق ومع أبناء أعمامهم وكبار قومهم وقواد جنودهم وتعاهدوا على الاتحاد والتعاون فيما بينهم^(٤٩)، واقتسموا المملكة، فاتخذ جغري بك وكان أكبر اخوته مدينة مرو دارا الملكة واختص بأكثر خراسان، وتنصب موسى على ولاية بست وهرات وسجستان وما يجاور ذلك من

(٤٧) المرجع السابق: ج ٨ ص ٣٥ - ٣٦ .

(٤٨) الراوندي: راحة الصدور ص ١٥٩ .

- ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٤٠ .

(٤٩) الراوندي: راحة الصدور ص ١٦٥ .

النواحي التي يستطيع فتحها، وتنصب قاورد وهو أكبر أولاد جفري بك على ولاية الطبيين ونواحي كرمان^(٥٠) ولابراهيم ينال وهو أخو السلطان طغرلبيك من الام، قهستان وجرجان، ولابي علي الحسن بن موسى ابن سلجوق، هراة وبوشنبج وسجستان وبلاد الغور وهي ولاية متداخلة في ولاية أبيه موسى، وكان هذا سنة ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م^(٥١) واتخذ طغرلبيك مدينة الري دار ملكه^(٥٢)، ويبدو ان السلاجقة كانوا يحترمون طغرلبيك ويرون فيه المقدرة والكفاية وحسن التدبير، وكانوا يخضعون لرئاسته، وقد نجح طغرلبيك في بناء كيان قوي للغز السلاجقة الذين سيصبح لهم تأثير عظيم في سياسة المشرق الاسلامي وامتداده الى البحر الابيض المتوسط في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وهذا التقسيم يحدد على وجه التقريب المجال الذي وصل السلاجقة الى اشغاله، ولم يبق حتى هذا الوقت للدولة التي أنشأها السلاجقة الا أن تستكمل آخر عنصر من مقوماتها وهو الحصول على اعتراف الخليفة العباسي بقيام دولتهم فان مثل هذا الاعتراف وحده بحكم نظم هذا العصر هو الذي يكسب الدولة شرعيتها بحكم المناطق التي يسيطرون عليها .

بدأ السلاجقة الاتصال بالخليفة العباسي، وكان قصدهم على ما ارجحه تعريف الخليفة بحالهم وكسب عطفه، وليحصلوا على اعترافه بشرعية

(٥٠) المرجع السابق: ص ١٦٧ .

(٥١) الحسيني: اخبار الدولة السلجوقية ص ١٧ .

(٥٢) الراوندي: راحة الصدور ص ١٧٧ .

حكمهم، فكتبوا الى الخليفة القائم بأمر الله كتابا هذا نصه:- اننا معشر آل سلجوق قوم أطعنا دائما الحضرة النبوية المقدسة واحبينها من صميم قلوبنا ولقد اجتهدنا دائما في غزو الكفار واعلان الجهاد وداومنا على زيارة الكعبة المقدسة وكان لنا عم مقدم محترم بيننا اسمه اسرائيل بن سلجوق، قبض عليه يمين الدولة محمود بن سبكتكين بغير جرم أو جنائية، وأرسله الى قلعة "كائنجر" ببلاد الهند، فبقى في أسره سبع سنوات حتى مات، واحتجز كذلك في القلاع الاخرى كثيرا من أهلنا وأقاربنا. فلما مات محمود وجلس في مكانه ابنه مسعود لم يقم على مصالح الرعية واشتغل باللهو والطرب. فلا جرم اذا طلب منا أعيان خراسان ومشاهيرها أن نقوم على حمايتهم ولكن مسعودا وجه الينا جيشه فوقعت بيننا وبينه معارك تناوبناها بين كر وفر وهزيمة وظفر، حتى ابتسم لنا الحظ الحسن فانحاز الينا آخر عون لمسعود ومعه جيش جرار وظفرنا بالغلبة بمعونة الله عز وجل بفضل اقبالنا على الحضرة النبوية المقدسة المطهرة وانكسر مسعود واصبح ذليلا، وانكفأ علمه وولى الالباب تاركا لنا الدولة والاقبال .

وشكرا لله على ما أفاء علينا من فتح ونصر، فنشرنا عدلنا وانصافنا على العباد وابتعدنا عن طريق الظلم والجور والفساد، ونحن نرجو أن نكون في هذا الامر قد نهجنا وفقا لتعاليم الدين ولامر أمير المؤمنين^(٥٣) .

(٥٣) الراوندي: راحة الصدور ص ١٦٦ - ١٦٧ .

-- البنداري الاصفهاني: زبدة النصرة ص ٧ - ٨ .

- الجوزجاني: طبقات ناصري ص ١٣٢ .

وقد أرسلت هذه الرسالة الى الخليفة القائم بأمر الله على يد المعتمد أبي اسحاق الفقاعي^(٥٤)، وكان في ذلك الوقت وزير السلاجقة ومدير امورهم هو الوزير أبو القاسم الكوباني^(٥٥).

على أننا اذ نلاحظ هذا التقدم والتوسع الكبير والنشاط والحيوية في جانب السلاجقة، نرى الاضطرابات تعم بغداد ولم يكن للخليفة القائم بأمر الله ولا للملك البويهى جلال الدولة أي سلطان، وكان الجنود الترك في ثورات متصلة، وكان البدو والعيارون يهاجمون المدن والاسواق، والفرق المذهبية تضرب بعضها بعضا، وبالطبع فان الخليفة العباسي كان يحس بهذا التفكك والاحلال ويدرك ما للقوة الجديدة المنطلقة من الشرق من أثر وخطر في المستقبل، فلما وصلت رسالة السلاجقة إلى دار الخلافة، بذل الخليفة بايفاد رسول الى طغرلبيك في مدينته الري، وكان مع الرسول هبة الله بن محمد المأمون وزوده بالرسائل الطيبة، وكان الخليفة يختص هبة الله بوده واخلاصه، فأمره بأن يتقرب من طغرلبيك حتى يحضر الى بغداد لتتشرف دار الخلافة بحضوره^(٥٦).

(٥٤) راحة الصدور: ص ١٦٧ .

- البنداري الاصبهاني: زبدة النصره ص ٨ .

(٥٥) عباس اقبال: الوزارة في عهد السلاطين السلاجقة العظام ص ٣٩ .

- راحة الصدور ص ١٦٧ .

(٥٦) راحة الصدور ص ١٦٨ - ١٦٩ .

- حمد الله المستوفى: تاريخ كزيدة ص ٣٥٤ .

ويبدو أن رسول الخليفة عند وصوله الى الري وجد طغرل بك مشغولا في الحروب المستمرة، لذا اضطر الرسول الى الاقامة ثلاث سنوات بسبب ذلك^(٥٧)، وفي أثنائها خاض طغرل بك حروبا وسيطر على ايران كلها وعلى انزليجان سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م وامتد نفوذه الى بعض أجزاء بلاد الروم في آسيا الصغرى، ثم رجع بعد ذلك الى عاصمته الري^(٥٨).

وفي سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م وهي السنة الفاصلة في تاريخ الدولة البويهية، أعد طغرل بك العدة من أجل القضاء على تلك الدولة، فأخبر قواده باعداد الجنود والتهيؤ لدخول العراق، وأعلن أنه يريد التوجه الى مكة بقصد الحج واصلاح طريق مكة والمسير الى الشام ومصر وازالة المستنصر العلوي صاحبها^(٥٩). وذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٤٤٧ هـ حركة قام بها أحد القواد من الديلم يدعى "فولاذ" حيث استولى هذا على شيراز وقطع خطبة السلطان طغرل بك وخطب فيها للملك الرحيم آخر ملوك البويهيين^(٦٠)، ولعل هذه الحادثة هي التي حفزت طغرل بك الى قطنع دابر البويهيين من اقليم فارس وعاصمتهم شيراز ومن العراق فهي حادثة تدل على تمرد من جانب البويهيين قد يكون خطرا على المملكة السلجوقية في ايران فصمم على ازالة ذلك الخطر، مغتتما سوء الاوضاع وتردي الاحوال

(٥٧) راحة الصدور: ص ١٦٩ .

(٥٨) ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٦٧ .

(٥٩) ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٧٠ - ٧١ .

- محمد كامل حسين: سيرة المؤيد في الدين ص ٢٢ ذكر ما يخالف قول ابن الاثير .

(٦٠) ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٦٩ .

التي لمسناها خصوصا في أواخر العصر البويهيين، ومن يدري فمن الجائز أن يكون الرسول الذي أوفده الخليفة الى طغرلبيك، كان يحمل معه من معاني الترحيب لو دخل طغرلبيك بغداد، أو أن الرسول الموفد طلب رسميا نيابة عن الخليفة التوجه نحو بغداد واتخاذ العراق من حالته البائسة^(١١) .

وفي المحرم سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م كانت جيوش السلاجقة على أتم استعداد لدخول العراق، واتجهت تلك الجيوش بقيادة طغرلبيك عن طريق حلوان^(١٢) وهو الطريق الذي يطرقة التجار من العراق الى بلاد فارس وبالعكس منذ أقدم العصور الى الآن، ويبدو ان هذا الطريق الذي استخدم لغزو ايران أو غزو العراق، هو الطريق السهل الذي يوصل بشكل سريع الى قلب ايران وقلب العراق، وانتشر خبر دخول السلاجقة بين الناس فوق ذلك وقع الصاعقة على البويهيين، وقد حاول الملك الرحيم آخر حكام بني بويه الهروب مع البساسيري القائد البويعي الذي سيسبب بعض المتاعب للخلافة والسلاجقة في بغداد خاصة والعراق عامة، لكن الخليفة القائم بأمر الله كتب الى الملك الرحيم الذي كان في واسط يعلمه أن البساسيري خلع الطاعة وكاتب الاعداء يعني المصريين وان الخليفة له على الملك عهد وله على الخليفة مثلها، فان أثره فقد قطع ما بينهما وأن أبعده واصعد الى بغداد تولى الديوان تدبير أمره. فقال الملك الرحيم ومن معه: "نحن لاوامر الديوان متبعون وعنه منفصلون"^(١٣) أي عن البساسيري .

(١١) انظر ص ٥٤ .

(١٢) ابن الاثير: ج ٨ ص ٧١ .

- ابن الوردي: تنمة المختصر ج ١ ص ٣٥٥ .

(١٣) ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٧١ .

والظاهر انه قد جرى اتفاق بين الخليفة القائم بأمر الله والملك الرحيم على وجوب التعاون مع طغرل بك، فأعلن الخليفة ان يذكر اسم طغرل بك في الخطبة وأن يكون لقبه السلطان ركن الدولة (أبو طالب) طغرل بك محمد ابن ميكائيل يمين أمير المؤمنين، على أن يذكر بعد اسمه اسم الملك الرحيم أبو نصر بن ابي كاليجار سلطان الدولة البويهية^(١٤) ومعنى هذا ان الدولة البويهية رضيت أن تكون دولة تابعة للسلاجقة، آملة بذلك ان يتاح لها نوع من البقاء، ووصل طغرل بك وجنوده الى النهروان^(١٥)، وارسل الى الخليفة يستأذنه في دخول بغداد، فأذن له، وخرج الوزير رئيس الرؤساء الى لقائه في موكب عظيم من القضاة والنقباء والاشراف والشهود والخدم وأعيان الدولة وصحبه اعيان الامراء ووزيره أبا نصر الكندري فلما وصل رئيس الرؤساء الى السلطان ابغى رسالة الخليفة واستحلفه للخليفة وللملك الرحيم وأمراء الاجناد، وسار طغرل بك ودخل بغداد يوم الاثنين لخمس بقين من شهر رمضان ونزل بباب الشماسية، ووصل اليه قریش بن بدران صاحب الموصل وكان في طاعته^(١٦)، وتدل هذه التفاصيل على ان دخول السلاجقة الى العراق انما اتخذ شكل حملة حربية من ناحية الشكل، بينما كان في الحقيقة عبارة عن موكب مهيب حضره وجوه الناس من الطرفين .

(١٤) الراوندي: راحة الصدور ص ١٦٩ .

(١٥) النهروان: بلدة اندرست وكانت على صدر نهر النهروان جنوبي بغداد (مرصد الاطلاع) .

(١٦) ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٧١ .

اما مصير الملك الرحيم فانه بالرغم من العهود التي اعطاها طغرلبيك بعدم التعرض له وبالرغم من مساندة الخليفة له، ولكن على ما يبدو ان طغرلبيك أراد أن يستأصل رأس البهويهيين ولا يدع منافسا أو قسيما له في الخطبة واللقاب، فألقى القبض على الملك الرحيم وأرسله مقيدا الى قلعة "طبرك" بالري^(٦٧)، وظل هناك حتى توفي سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨^(٦٨).

ويبدو ان بعض الحوادث قد وقعت اثر دخول الجيش السلجوقي بغداد، حيث اصطدم العامة ببعض جيش طغرلبيك، فوقع من جراء ذلك قتلى وجرحى، وقد قام بعض الجنود السلجوقية بنهب الاسواق والبيوت وأحدثوا جرائم كثيرة، الامر الذي حمل الخليفة القائم بأمر الله ان يرسل الى السلطان من يبلغه استيائه من هذه الافعال، وصار الخليفة يهدد السلطان بأن هذه الأفعال ان استمرت فانه سيغادر بغداد، ويقول له: - انما اخترتك واستدعيتك اعتقادا من ان تعظيم الاوامر الشريفة تزداد وحرمة الحريم تعظم وأرى الامر بالضد^(٦٩).

ووقعت في بغداد حوادث اضطرابات وهي نتيجة طبيعية لمثل تلك الحالة التي فيها تدخل جيوش أجنبية أي بلد كان، وحصل غلاء كبير، كما حدثت فتنة بين الفقهاء الشافعية والحنابلة^(٧٠). وعلى هذا النحو كان موقف

(٦٧) الراوندي: راحة الصدور ص ١٦٩ .

(٦٨) ابن الاثير: ج ٨ ص ٧٢ .

(٦٩) المرجع السابق وصفحته .

(٧٠) ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٧٢ .

- ابو الفدا: المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ١٨٢ .

العامّة من السيادة السلجوقية في العاصمة يختلف عن موقف الخليفة ورجال الدولة الرسميين. وفي سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م أراد السلاجقة توثيق علاقتهم بالخليفة العباسي، وتحقق ذلك بزواج الخليفة القائم بأمر الله من ارسلان خاتون خديجة ابنة داود اخي السلطان طغرل بك^(٧١).

وفي غمرة هذه الانتصارات الرائعة التي حازها طغرل بك ونجاحه في توطيد عرى المصاهرة مع البيت العباسي، أخذت الاتباء تتوالى عن حركات حربية واسعة يقوم بها القائد التركي ابو الحارث البساسيري، والبساسيري هذا هو ارسلان بن عبد الله، ابو الحارث البساسيري، قائد تركي الاصل، كان من ممالك بني بويه، وخدم القائم العباسي فقدمه على جميع الاتراك في بغداد وقتله الامور بأسرها^(٧٢). فالبساسيري اذن مولى من موالى بنسى بويه. فانه ربي على ما ارجح تربية فيها لقن اصول المذهب الشيعي، وأنه لم يكن اصلا من الشيعة فعلى الاغلب انه تشيع بتأثير الوسط الذي عاش وتربى فيه، ويبدو انه كان على درجة كبيرة من قوة الشخصية والكفاية والمقدرة ما جعله يتقدم في مناصب الدولة حتى أصبح قائدها الاول.

(٧١) البنداري: آل سلجوق ص ١٠ - ١١.

- ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٧٤.

- ابو الفداء تاريخ ابو الفدا ج ٢ ص ١٨٣.

- عبد المنعم حسنين: سلاجقة ايران والعراق.

(٧٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢ و ص ٦٤.

- ابن الاثير: اللباب ج ١ ص ١٢١.

- ابن خلكان: وفيات الاعيان ج ١ ص ١٧٢.

ولكن حصل نوع من المجافاة بين البساسيري والخليفة، قيل ان سببها الوزير ابن المسلمة رئيس الرؤساء، ولكنني اعتقد ان الذي حصل بين الخليفة وبين قائده كان سببه الرئيس على ما أرجح هي السياسة التي اتبعها الخليفة حيال السلاجقة، ومن الجائز ان يكون البساسيري كان لا يوافق على موافقة السلاجقة أو الاستسلام لهم، كما انه وهو صاحب القوة العسكرية في البلاد كان يعتقد على ما أرجح، ان بقدم السلاجقة معناه زوال نفوذه وذهاب سيطرته، لذا وقف موقفا مناونا لكل اتصال وقد ظهر ذلك بشكل واضح عندما قدم بغداد سرا صاحبا قريش بن بدران صاحب الموصل والذي هو ممن دخلوا في طاعة طغرل بك فغضب البساسيري ولم يدخل دار الخلافة كعادته، ومما قاله البساسيري في تلك اللحظات: ما اشكو الا من رئيس الرؤساء الذي خرب البلاد واطمع الغز وكاتبهم^(٧٣). يظهر من كلام البساسيري أن رئيس الرؤساء قد اتصل بالسلاجقة لحسابه الخاص ومن وراء ستار، واستمرت العلاقات تسوء بين الوزير والقائد البساسيري وصارت العامة تعتدي على دور البساسيري وانصاره، كما اتهم الوزير، القائد البساسيري بأنه يكتب المستنصر صاحب مصر، وبذلك نجح الوزير بافساد العلاقة بين الخليفة والقائد^(٧٤). وكان في تقدير هذين الرجلين، ان المخرج من الازمة معلق أما بالسلاجقة وأما بالفاطميين، فتشيع كل واحد

(٧٣) ابن الاثير: الكامل — ٨ ص ٦٨ .

(٧٤) المرجع السابق — ٨ ص ٧٠ .

منهما لجهة من هاتين الجهتين غير ان الوضع الاستراتيجي للعراق يجعله دائما تحت رحمة من يملك الجبال الشمالية .

وعند دخول طغرل بك بغداد كان البساسيري في واسط ومنها سار الى الحلة حيث هناك نور الدولة ديبس بن مزيد، وتظهر في هذا الدور شخصية شيعية كان لها الاثر البعيد في تنظيم وتدبير حركة البساسيري، تلك هي شخصية المؤيد في الدين هبة الله بن موسى بن عمران^(٧٥)، الذي ولد بشيراز حوالي سنة ٣٩٠هـ، وانه تدرج في مراتب الدعوة حتى صار حجة بلاد فارس وعرف بنشاطه في الدعوة لمذهبه الى درجة أدت الى نفيه من شيراز سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م وظل هكذا حتى هرب الى مصر سنة ٤٣٨ هـ / ١٠٤٤م، وفي مصر تمكن من توطيد علاقة له مع بعض الوزراء ورجال البلاط، كما تمكن من الاتصال بالخليفة الفاطمي الذي أعجب بأدبه وسعة علمه^(٧٦) .

ان المؤيد في الدين، تحدث في رسائله كيف تمكن من اقناع المسؤولين المصريين بضرورة تقديم العون الى القائد البساسيري الذي خرج على طاعة الخليفة العباسي، ويبدو ان المؤيد في الدين، عرف بما اوتي من الذكاء والفتنة كيف يستغل الظروف لتحقيق أهداف ما يحمل من

^(٧٥) الدكتور محمد كامل حسين: ديوان المؤيد في الدين ص ١٨ ولكن ايفانوف يرجح أن اسم ابيه الحسين .

راجع: Ivanov: the creed of the Fatimide, P. 5:

^(٧٦) الدكتور محمد كامل حسين: سيرة المؤيد في الدين ص ١٤ - ١٦ .

فكرة. وأرسل المؤيد في الدين كتباً إلى البساسيري يطلب منه العمل للخليفة الفاطمي^(٧٧)، كما أعد الفاطميون الأموال والخلع والسلاح التي وعدوا بها البساسيري، وطلبوا من المؤيد في الدين مصاحبة الأموال والخلع، وكاتب المؤيد، دبيس بن مزيد الاسدي صاحب الحلة على اللحاق به كما كاتب غيره من المؤيدين للبساسيري^(٧٨)، وبعد جهد جهيد، تمكن المؤيد في الدين من تنظيم جيش كبير، تحت لواء البساسيري، وسار هذا الجيش إلى الموصل وانتصر في الموقعة التي عرفت بموقعة سنجار^(٧٩)، وانهزم السلاجقة وقريش بن بدران الذي كان في طاعة طغرل بك، وأرسل المؤيد في الدين إلى مصر باخبار النصر، وجرح في هذه الموقعة قريش ابن بدران وأتى إلى دبيس^(٨٠)، وتوسط عند المؤيد في الدين أن يعفو عن قريش بن بدران وأن يخلع عليه^(٨١)، ويذكر ابن الاثير: ان دبيسا اعطى قريش بن بدران خلعة كانت قد نفذت من مصر فلبسها وصار في جملتهم وساروا إلى الموصل وخطبوا لخليفة مصر بها وهو المستنصر بالله وكانوا قد كاتبوا الخليفة المصري بطاعتهم فأرسل إليهم الخلع من مصر للبساسيري ولنور الدولة دبيس بن مزيد ولجابر بن ناشب ولمقبل بن بدران اخي قريش ولابي

(٧٧) الدكتور محمد كامل حسين: ديوان المؤيد في الدين ص ٤٠ .

(٧٨) المرجع السابق ص ٤٢ - ٤٤ .

(٧٩) الدكتور محمد كامل حسين: ديوان المؤيد في الدين .

- ابن الاثير: ج ٨ ص ٧٧ .

(٨٠) ابن الاثير: ج ٨ ص ٧٧ .

(٨١) الدكتور محمد كامل حسين: الديوان ص ٤٥ .

الفتح بن ورام ونصير بن عمرو ابي الحسن بن عبد الرحيم ومحمد بن حماد وانضاف اليهم قريش بن بدران^(٨٢) .

ان المتتبع للتشكيلة التي نظمها المؤيد في الدين للجيش الذي دخل الموصل يرى ان هذا الجيش، غير منسجم ولم يحارب من أجل فكرة معينة، ان غرض اكثرية الزعماء المشاركين كانت مادية لا تدعو عن الحصول على الخلع والاموال، وسرعان ما دب الفساد والانقسام^(٨٣)، فتفرق رؤساء الجيش مع انصارهم، وجهاز طغربك جيشا كبيرا اتجه به نحو الموصل، وانتصر السلطان انتصارات كبيرة انهزم على أثرها البساسيري الى الرحبة وطلب دبيس بن مزيد وقريش بن بدران العفو ودخلا في طاعة طغربك^(٨٤)، وفشلت حركة البساسيري في الموصل، ورجع المؤيد في الدين الى مصر حيث تقلد بعد ذلك منصب داعي الدعاة^(٨٥)، وداعي الدعاة هو الذي نظم الدعوة الفاطمية ويوجهها، وهذه الوظيفة كانت من مفردات الدولة الفاطمية، كما ان داعي الدعاة كان يلي قاضي القضاة في الرتبة ويتزيا بزيه في اللباس وغيره^(٨٦) .

(٨٢) ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٧٨ .

(٨٣) الدكتور محمد كامل حسين: الديوان ص ٤٥ .

(٨٤) ابن الاثير: الكامل: ج ٨ ص ٧٨ .

(٨٥) الدكتور محمد كامل حسين: السيرة ص ١٧ .

(٨٦) المقرئ: الخطط ج ٢ ص ٢١٧ .

- القلقشندي: ج ٣ ص ٤٨٧ .

ترك طغرلبيك الموصل بعد أن عين ابراهيم ينال حاكما عليها وتوجه نحو بغداد^(٨٧)، ولما وصلها خرج لاستقباله الوزير رئيس الرؤساء فلقبه عميد الملك وزير السلطان في جماعة من الامراء، وجاء رئيس الرؤساء الى السلطان فأبلغه سلام الخليفة واستباحشه فقبل الارض وقدم رئيس الرؤساء جاما من ذهب فيه جواهر وألبسه فرجيه^(٨٨)، وطلب السلطان طغرلبيك مقابلة الخليفة ليتخذ من هذه المقابلة، فرصة للانتصار على البساسيري والدعاية الفاطمية، فأذن له في ذلك وجلس الخليفة يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة سنة ٤٤٩ هـ: ١٠٥٩ م جلوسا عاما وبحضور وجوه العسكر واعيان بغداد، ودخل طغرلبيك والخليفة على سرير عال من الارض نحو سبعة أذرع وعليه بردة النبي (ص) وبيده القضيب الخيزران، فقبل السلطان الارض وقبل يده وأجلس على كرسي فقال الخليفة لرئيس الرؤساء: قل له ان أمير المؤمنين شاكر لسعيك حامد لفعلك، مستأنس بقربك، وقد ولاك جميع ما ولاه الله من بلاده، ورد عليك مراعاة

(٨٧) ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٧٩ .

ابو الفداء: تاريخ ابو الفداء ج ٢ ص ١٨٤ .

(٨٨) ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٨٠ / الجام : اناء من فضة .

فرجية: نوع من العباء المسترسل ويصنع اليوم غالبا من الجوخ وله اكمام واسعة طويلة تتعدى

اطراف الاصابع وهي غير مفتوحة او مثقوبة .

ويسمى بعضها فراجية، انها جبة فضفاضة محلاة بالفراء وهي جبة العظماء وملاءة النساء.

(مولانا نظام قارئ): قاموس الالبسة ص (٢٠٢) .

عباده، فاتق الله فيما ولاك، واعرف نعمته عليك في ذلك، واجتهد في نشر العدل، وكف الظلم واصلاح الرعية، فقبل الارض، وأمر الخليفة بافاضة الخلع عليه، فقام الى موضع لبسها فيه وعاد وقبل يد الخليفة ووضعها على عينيه، وخاطبه الخليفة بملك المشرق والمغرب^(٨٩). يدل هذا اللقب ان الخليفة، اعترف لطغرك بك بما صار تحت يديه من بلاد المشرق وانه أذن له في ان يستخلص المغرب الواقع غربي العراق من يد الفاطميين ويدل هذا التلقب أيضا على أن الآمال قد اتسعت وان الدولة الجديدة كانت تأمل ان يمتد سلطانها من بلاد ما وراء النهر الى الحدود المصرية الغربية .

في سنة ٤٥٠ هـ حدثت مشكلة جديدة، تلك هي مفارقة ابراهيم ينال لمدينة الموصل نحو بلاد الجبل^(٩٠)، واعتقد طغرك بك ان رحيل ابراهيم ينال هو من باب العصيان وكتب اليه السلطان يستدعيه وارسل اليه رسولا أيضا بالمعنى نفسه فرجع ابراهيم ينال الى السلطان وهو ببغداد، أما الموصل فظلت على ما يبدو دون حاكم، ترى ما هي الاسباب التي دفعت ابراهيم ينال الى ذلك العمل الخطير؟ هل ان ابراهيم ينال كان يريد السيطرة على الجبل والاستقلال هناك؟ أم انه كان متواطئاً مع البساسيري أن يقوم بالرحيل فينقض البساسيري بعد ذلك على الموصل ويسيطر عليها ؟

(٨٩) الكامل : ج ٨ ص ٨٠ .

- ابو الفداء: تاريخ ابو الفداء ج ٢ ص ١٨٤ - ١٨٥ .

(٩٠) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٨٢ .

يبدو لي من سياق الحوادث التاريخية ان ابراهيم ينال كان طموحا وكان يرغب في السيطرة والاستقلال وهذا ما ستنبته الوقائع التاريخية في محاولته الاستقلال في همدان، أما الجواب على السؤال الثاني، بجواز وجود اتفاق سابق بين البساسيري وابراهيم ينال، فان هناك اشارات وردت في السيرة^(٩١) التي كتبها المؤيد في الدين كما وردت اشارات عابرة في كتابي المنتظم والكامل^(٩٢)، عن وجود مراسلة بين ابراهيم ينال والقائد البساسيري، وخلاصة تلك الاشارات ان البساسيري جاءه رسول من قبل ابراهيم ينال يطلب منه المعونة وانه أي ابراهيم ينال سيملك البلاد باسم الفاطميين^(٩٣).

ولما خلت الموصل من العساكر السلجوقية ولم يبق فيها إلا القليل اغتتم البساسيري وقریش بن بدران الفرصة واستوليا على الموصل، ولما علم السلطان طغرلک بذلك جهز جيشا كبيرا واصطحب معه ابراهيم ينال ولما وصل الموصل كان البساسيري وقریش بن بدران قد فارقاها الى نصيبين، فسار طغرلک لیتتبع آثارهم، في هذه المرحلة فارقه اخوه ابراهيم ينال فسار نحو همدان، قال ابن الاثير: وكان قد قيل ان المصريين كاتبوه والبساسيري قد استماله واطمعه في السلطنة والبلاد^(٩٤).

(٩١) سيرة المؤيد في الدين: ص ١٧٤ - ١٨٤.

(٩٢) ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ١٩٠.

- ابن الاثير: الكامل ج، ٨ ص ٨٣.

(٩٣) سيرة المؤيد في الدين: ص ١٧٤ وما بعدها.

(٩٤) ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٨٣.

الآن وقد تغير مجرى الحوادث ويبدو ان السلطان طغرلبيك غضب على اخيه ابراهيم ينال، وصمم على ان ينزل به ضربة شديدة قبل ان يستقر في همذان ويزداد خطره، فسار السلطان متجها نحو همذان وتاركا الموصل والعراق بأجمعه، ولم يستقر للسلطان بال حتى بلغ ابراهيم ينال وقتله^(٩٥).

اذن كان ابراهيم ينال كما يبدو شخصا طموحا، طامعا في الاستقلال والسلطنة كما تجدر الاشارة هنا، الى ان ابراهيم فضلا عن طموحه واطماعه، كان حاقدا على طغرلبيك منذ مدة طويلة، فمنذ سنة ٤٤١ هـ بدأت حالة جفوة ونفرة بين السلطان طغرلبيك وابراهيم ينال، ذلك ما وجدته السلطان من نشاط وتوسع ابراهيم في بلاد الروم، كما كان ابراهيم نفسه يمتلك همذان وبلاد الجبل فسعى السلطان طغرلبيك الى تقليص ملكه "فطلب منه تسليم همذان والقلاع التي بيده في بلد الجبل فامتنع ابراهيم، فقامت بينهما الحرب انتهت بانتصار طغرلبيك الذي اكرم واحسن الى ابراهيم عندما نزل اليه وخيره ان يقطعه بلادا يسير اليها وبين ان يقيم معه، فاختر المقيم معه"^(٩٦) فقيامه بتلك الحركة من المرجح ان تكون نتيجة للحقد الكامن في نفس ابراهيم ينال، أو انها صورة للتشفي واخذ الثأر. والسلطان طغرلبيك وان استأصل هذا الخطر الذي ظهر في سلطنته، الا انني ارى ان السلطان

^(٩٥) راحة الصدور ص ١٧١ .

- زبدة النصر ص ١٥ - ١٦ .

^(٩٦) ابن الاثير: ج ٨ ص ٥١ - ٥٢ .

لم ينظم الامور بشكل يوفر للعراق الامن والاستقرار، فكان على السلطان قبل ان يفارق الموصل لمحاربة ابراهيم ينال، أن يفكر في خطر البساسيري واطماعه، وكان من الواجب ترك قوة عسكرية كافية في الموصل وبغداد لصد أي اعتداء أو غزو، ذلك لان البساسيري انتهز مسير السلطان الى همدان فهاجم بغداد ومعه دبيس بن علي بن مزيد الاسدي^(٩٧) وقريش بن بدران وحاصروا الخليفة في حرمه وأسروه، وقتلوا الوزير رئيس الرؤساء، ثم ارسلوا الخليفة الى مدينة "عانة" وادعوه لدى شخص عربي اسمه "مهارش بن المجلي" وهو ابن عم قریش بن بدران^(٩٨)، وأصبحت بغداد من جديد بقبضة البساسيري، فخطب للخليفة المستنصر الفاطمي^(٩٩)، وضرب الدنانير وسماها "المستنصرية"، وكان عليها من فرد جانب "لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله علي ولي الله" ومن الجانب الآخر "عبد الله ووليه الامام ابو تميم معد المستنصر بالله أمير المؤمنين"^(١٠٠) واستولى البساسيري في هذه المرحلة ايضا على واسط والبصرة وحاول السيطرة

^(٩٧) البنداري: زبدة النصره ص ١٢ .

^(٩٨) الراوندي: راحة الصدور ص ١٧٢ .

- ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٨٣ - ٨٤ .

- المنتظم ج ٨ ص ١٩١ - ١٩٧ .

^(٩٩) ابن الجوزي: ج ٨ ص ١٩٦ .

- ابن الاثير: ج ٨ ص ٨٣ .

^(١٠٠) المنتظم: ج ٨ ص ١٩٦ .

على الاهواز، لكنه وجد ان طغرلبيك يمد صاحب الاهواز بالعساكر فصالحه^(١٠١).

وصلت الى يد السلطان طغرلبيك، رسالة من الخليفة الذي كان اسيرا في "عانة" جاء فيها: "بحق الله ادرك الاسلام فقد ساد العدو اللعين واخذ ينشر مذهب القرامطة"^(١٠٢)، ولما فرغ السلطان من القضاء على حركة ابراهيم ينال، استعد لمواجهة البساسيري، فسار بجيش كبير نحو العراق، ودخل الاراضي العراقية عن طريق حلوان، فانتشر الخبر في بغداد، فساد المدينة الاضطراب، وحاول البساسيري الهروب ولكنه اضطر الى مقابلة جيش السلاجقة في طريق الكوفة، وكان بنيته الهروب الى الشام، وكان يقود السلاجقة "خمارتكين الطغراني"^(١٠٣) فانتصر السلاجقة وقتل البساسيري وحمل رأسه الى دار الخلافة. وجعل على قناة وظيف به وصلب قبالة باب النوبي^(١٠٤)، وأعيد الخليفة القائم بأمر الله من بلدة عانة الى بغداد، وعظم نفوذ طغرلبيك ولقبه الخليفة بلقب جديد هو "ركن الدين"^(١٠٥)

(١٠١) الكامل: ج ٨ ص ٨٤ - ٨٥ .

(١٠٢) راحة الصدور: ص ١٧٢ .

(١٠٣) ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٨٦ .

(١٠٤) ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ٢١٢ .

- الراوندي: راحة الصدور ص ١٧٥ .

- ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٨٦ .

(١٠٥) راحة الصدور: ص ١٧٥ .

وتخلصت الخلافة العباسية من عنصر كبير للفتنة وعادت الخطبة خالصة للخليفة القائم بأمر الله العباسي .

وفي سنة ٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م انحدر السلطان طغرل بك الى واسط وكانت قد نهبت، فأمر بضمانها الى ابي علي بن فضلان بمئتي ألف دينار، وضمن البصرة أبو سعد سابور بن المظفر، وعبر السلطان الى الجانب الشرقي من دجلة، وسار الى قرب البطائح فنهب العسكر ما بين واسط والبصرة والاهواز واصعد السلطان الى بغداد في صفر سنة اثنتين وخمسين وأربع مئة... واجتمع بالخليفة وتناول معه الطعام^(١٠٦) .

وبعد أن استتب الامر في العراق غادر السلطان طغرل بك متجها الى اذربيجان ونزل بمدينة تبريز، وترك في بغداد وزيره عميد الملك الكندري، وجعل لبغداد شحنة^(١٠٧)، الامير برسق وضمنها أبو الفتح المظفر ابن الحسين ثلاث سنوات بأربع مئة ألف دينار^(١٠٨). وكان السلطان قد رغب في الزواج من ابنة الخليفة العباسي القائم بأمر الله^(١٠٩). والارجح ان السلطان كان يطمع أن يرزق بولد من سيدة عباسية، وان يربط الاسرة السلجوقية بالنسب العباسي، وكلف وزيره بمفاتحة الخليفة بذلك ولكن الخليفة أبدى

(١٠٦) ابن الاثير: ج ٨ ص ٨٩ .

(١٠٧) الشحنة: وظيفة جديدة في العهد السلجوقي، ويشرف صاحبها على ولاية بغداد وله سلطات ادارية وبوليسية واشبه ما يكون بالمتصرف .

(١٠٨) ابن الاثير: ج ٨ ص ٨٩ .

(١٠٩) اخبار الدولة السلجوقية ص ٢١ .

ابن الاثير: ج ٨ ص ٩٢ .

ممانعة في بداية الامر ولكنه اضطر اخيرا الى الموافقة، واتفق أن يكون مهرها اربع مئة درهم من الفضة ودينارا واحدا من الذهب، وهو مهر السيدة فاطمة الزهراء "عليها السلام"^(١١٠) وأجريت مراسيم العقد في تبريز وعقد قاضي بغداد خطبة النكاح، وبعدها خرج السلطان قاصدا الري ليتم الزفاف فيها باعتبارها دار ملكه، ولكن السلطان وقع مريضا وزاد عليه المرض ومات في رمضان سنة خمس وخمسين واربع مئة، وعادت السيدة معها مهرها الى بغداد^(١١١)، وهناك رواية اخرى تشير الى انه عاش بعد زفافه سبعة شهور ثم مات في رمضان سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م^(١١٢).

ألب أرسلان

لم يترك طغرلبيك وريثا له وكان هذا من العوامل التي أدت الى وقوع بعض الحوادث للتشبيث بالاستيلاء على عرش السلاجقة، فالوزير عميد الملك الكندري أجلس على عرش السلطنة سليمان بن داود جفري بك أخي السلطان طغرلبيك، وكان طغرلبيك قد عهد اليه بالملك، وكان الب أرسلان محمد بن داود جفري بك حاكما على خراسان ومعه وزيره المشهور نظام

(١١٠) راحة الصدور: ص ١٧٧ .

(١١١) راحة الصدور: ص ١٧٨ .

- البنداري: زبدة النصر ص ٢٦ .

(١١٢) صدر الدين: زبدة التواريخ/ ورقة ١٤ .

الاصفهاني: زبدة النصرة ص ٢٥ .

الكامل: ج ١٠ ص ٩ .

الملك، أبو علي الحسن بن علي بن اسحق الطوسي، وكان الب أرسلان طامعا في العرش السلجوقي ويلقى تأييدا من أمراء كثيرين، وكان سليمان طفلا صغيرا، ولما وجد الوزير الكندري خطورة الوضع أمر بقراءة الخطبة بالري باسم الب أرسلان^(١١٣)، وأن يكون سليمان وليا لعهد^(١١٤)، وبعد ذلك تمكن نظام الملك بما أوتي من الحيلة وكبير الدهاء من أن يوقع بالوزير الكندري ويحمل السلطان على سجنه ومن ثم إلى قتله^(١١٥)، وبذلك صفا الجو لنظام الملك، وبدأت في الجو حركة جديدة، قام بها شهاب الدولة قتلش بن اسرائيل، وأعلن في حركته انه أحق من ألب أرسلان في سلطنة السلاجقة، ولكن الب أرسلان جهز له جيشا كبيرا توجه به إلى الري ومعه وزيره نظام الملك، وخرج إليه قتلش بجيش كبير أيضا، وقد لعب الوزير نظام الملك في تلك المعركة دورا كبيرا وظهرت فيها حنكته العسكرية، وانتصر السلطان الب أرسلان على قتلش، وانكسر جيشه ووجد قتلش ميتا في ميدان المعركة^(١١٦)، وأصبح الب أرسلان بعد هذه المعركة سيد الموقف لا ينازعه من احد في السلطنة .

(١١٣) الراوندي: راحة الصدور ص ١٨٥ .

(١١٤) ابن الاثير: ج ٨ ص ٩٥ .

(١١٥) راحة الصدور: ص ١٨٧ .

- ابن الاثير ج ٨ ص ٩٦ - ٩٧ .

- اخبار الدولة السلجوقية ص ٢٥ .

(١١٦) ابن الاثير : ج ٨ ص ٩٨ .

والظاهر من تاريخ حكم السلطان الب أرسلان انه انشغل في مشاكل وأحوال الدولة كثيرا ولم تتح له الفرصة لزيارة العراق ولم يدخل بغداد طيلة حكمه ٤٥٥ - ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ - ١٠٧٢ م، والخليفة العباسي لا يزال هو القائم بأمر الله، ونلاحظ في هذه المرحلة قيام التعاون والاحترام بين الخلافة والسلطنة السلجوقية، فالسلاجقة كانوا بشكل عام يكونون التقدير والتبجيل لمقام الخلافة، وكانت مقترحات وأوامر الخليفة لها موضع العناية والتنفيذ، ففي سنة ٤٦٤ هـ / ١٠٧١ م ورد ابتكين السليماني شحنة بغداد^(١١٧) من عند السلطان الى بغداد فقصد دار الخلافة وسأل العفو عنه وأقام اياما فلم يجب الى ذلك، وكان سبب غضب الخليفة عليه، انه كان قد استخلف ابنه عند مسيره الى السلطان وجعله شحنة ببغداد فقتل أحد المماليك الدارية فأنفذ قميصه في الديوان الى السلطان ووقع الخطاب في عزله، وكان نظام الملك يعني بالسليماني، فأضاف الى اقطاعه تكريت، فكتب واليها من ديوان الخلافة بالتوقف عن تسليمها، فلما رأى نظام الملك والسلطان اصرار الخليفة على الاستقالة من ولايته شكنية بغداد، سير سعد الدولة كوهرائين الى بغداد شحنة وعزل السليماني عنها اتباعا لما امر به الخليفة القائم بأمر الله، ولما ورد سعد الدولة خرج الناس لتلقيه وجلس الخليفة^(١١٨).

^(١١٧) ابن الاثير: ج ٨، ص ١١١ .

^(١١٨) الاصفهاني: آل سلجوق ص ٤٢ .

ابن الاثير: ج ٨ ص ١١١ .

يوجد فارق بين السيادة السلجوقية والسيادة البويهية هو ان الدولة السلجوقية كانت دولة العراق العجمي الواقع في صرة المشرق وكان العراق طرفا من اطراف الدولة السلجوقية على حين كان العراق مركزا أساسيا من مراكز الدولة البويهية .

وفي هذا العهد تبودلت الهدايا بين الخلافة والسلطنة، ففي سنة ٤٦٤ هـ / ١٠٧١ م أرسل الخليفة العباسي القائم بأمر الله، عميد الدولة بن جهير ومعه الخلع للسلطان ولولده ملكشاه، وكان السلطان قد أرسل بطلب من الخليفة ان يأذن في أن يجعل ولده ملكشاه ولي عهده، فأذن الخليفة بذلك، وسيرت له الخلع مع عميد الدولة^(١١٩)

وفي هذه السنة أيضا طلب الخليفة من عميد الدولة ان يخطب ابنة السلطان الى رسلان من زوجته سفرى خاتون لولي العهد المقتدى بأمر الله، فلما حضر عند السلطان خطب ابنته فأجيب الى ذلك وعقد النكاح بظاهر نيسابور وكان عميد الدولة الوكيل في قبول النكاح ونظام الملك الوكيل من جهة السلطان في العقد^(١٢٠) .

وتوسعت الدولة السلجوقية في عهد ألب أرسلان توسعا كبيرا وكانت له مع الروم وقائع وحروب، ولعل من اشهرها واهمها موقعة "ملاذ كرد" في سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م ففي هذه السنة خرج الامبراطور رومانوس

^(١١٩) ابن الاثير: ج ٨ ص ١١١ .

^(١٢٠) آل سلجوق: ص ٤٣ .

- ابن الاثير: ج ٨ ص ١١١ .

في جيش عظيم بلغ عدده ٢٠٠ ألف مقاتل، وكان السلاجقة يعدون ١٥ ألف مقاتل وكان الامبراطور البيزنطي يقصد مهاجمة الدولة الاسلامية والاحتفاظ بسيادته على ارمينية بعد ان زرع السلاجقة هذه السيادة وهددوها تهديدا خطيرا، ولارمنية اهمية خاصة في تاريخ الثغور فان امتلاك الروم اياها يكسبهم استراتيجية خاصة ضد الجبهة الاسلامية وكان استيلاء السلاجقة على ارمينيا من شأنه تحقيق الأمن في الحدود الاسلامية. واصطدمت الجيوش البيزنطية مع جيش السلاجقة في "ملاذ كرد" من اعمال "الخلاط" في مدخل آسيا الصغرى، وانتصر الب أرسلان في تلك الوقعة انتصارا ساحقا واسر في تلك الوقعة امبراطور الروم رومانوس ديوجين^(١٢١)، وكان لهذا الانتصار صدهاء الكبير في العالم الاسلامي، وبعث الخليفة العباسي القائم بأمر الله، كتاب تهنئة الى السلطان الب أرسلان بمناسبة نجاحه وفوزه في تلك الوقعة، ومما جاء في الكتاب "الولد السيد الاجل، المؤيد المنصور المظفر، السلطان الاعظم مالك العرب والعجم، سيد ملوك الامم، ضياء الدين، غياث المسلمين، ظهير الايمان، كهف الانام، عضد الدولة

(١٢١) الراوندي: راحة الصدور ص ١٨٩ وذكر ان عدة الروم ستمائة ألف مقاتل .

- ابن الاثير: ج ٨ ص ١٠٩ - ١١٠ .

- ابن القلاص: ذيل تاريخ دمشق ص ٩٩ - ١٠٥ .

- البنداري: زبدة النصرة ص ٣٨ - ٤٤ .

- الحسيني: اخبار الدولة السلجوقية ص ٤٦ .

القاهرة، تاج الملة الباهرة، سلطان ديار المسلمين، برهان امير المؤمنين،
حرس الله تمهيد وجعل من الخيرات مزیده^(١٢٢) .

ولا شك في أن انتصار السلاجقة في ملاذ كرد يعد رمزا لعزم
السلاجقة على الجهاد والمشاركة في حماية الحدود الاسلامية مشاركة فعالة
مجيدة ذات اثر عميق في التاريخ الحربي للشعور الاسلامية .

وفي سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م توجه الب ارسلان الى بلاد ما وراء
النهر بجيش كبير يزيد على منتي ألف جندي للقضاء على الفتن المستعرة
هناك وقد جئ للسلطان الب ارسلان بأحد الثائرين ويدعى يوسف
الخوارزمي وكان شخصا عنيدا فرغب السلطان بقتله بنفسه، فرماه بسهم
فأخطأ الاصابة، واغتم يوسف الفرصة فهجم على السلطان وطعنه بسكين
كان يخفيها، وكان سعد الدولة كوهرائين واقفا فأصيب هو الآخر بجرح
ولكنه لم يكن مميتا^(١٢٣) .

وفي عصر الب ارسلان شيدت المدارس النظامية ومن اهمها نظامية
بغداد، شيد تلك المدارس الوزير السلجوقي نظام الملك، فقد بدأ ببنائها

(١٢٢) اخبار الدولة السلجوقية ص ٥٣ .

(١٢٣) راحة الصدور : ص ١٩١ .

- اخبار الدولة السلجوقية ص ٥٤ .

- آل سلجوق: ص ٤٤ .

- حمد الله المستوفي: كزيدة ص ٤٤٢ .

- ابن الاثير: ج ٨ ص ١١٢ .

سنة ٤٥٧ هـ / ١٠٦٤ م كما أنشأ شرف الملك أبو سعد المتوفى مدرسة للحنفية في مشهد أبي حنيفة في السنة نفسها^(١٢٤) . انظر شكل : (٢)

ملكشاه

تولى سلطنة السلاجقة ملكشاه، وأرسل ملكشاه الى بغداد يطلب الخطبة فخطب له على منابرها^(١٢٥). وقد واجهت ملكشاه في أول حكمه ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م مشكلة الا انه تمكن من تذليلها بسرعة، اذ طمع عمه "قارود" في الملك فتحرك ملكشاه بسرعة على رأس جيش جرار من خراسان والتقى بجيش عمه عند باب الكرج فدامت المعركة بينهما ثلاثة أيام بليليتها، وانتهى بهزيمة "قارود"^(١٢٦) .

وفي سنة ٤٦٦ هـ / ١٠٧٣ م ورد سعد الدولة كوهرائين الى بغداد من عسكر السلطان وجلس له الخليفة القائم بأمر الله ووقف على رأسه ولي العهد المقتدى بأمر الله، وسلم الخليفة القائم بأمر الله ووقف على رأسه

(١٢٤) ابن الاثير: ج ٨ ص ١٠٥ .

- آل سلجوق: ص ٣١ .

- اخبار الدولة السلجوقية: ص ٦٨ - ٦٩ .

(١٢٥) ابن الاثير: ج ٨ ص ١١٣ .

(١٢٦) البنداري: زبدة النصره ص ٤٨ .

- حمد الله المتوفى: كزيدة ص ٤٤٣ .

- محمد ابراهيم: تاريخ سلاجقة كرمان ص ١٣ .

- ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ١١٤ .

ولي العهد المقتدى بأمر الله، وسلم الخليفة الى كوهرائين عهد السلطان ملكشاه بالسلطنة وقرأ الوزير اوله وسلم اليه ايضا لواء عقده الخليفة بيده^(١٢٧).

واستمرت علاقة السلاجقة مع الخلافة العباسية حسنة طيبة، وفي سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م ارسل الخليفة وزيره فخر الدولة أبا نصر بن جهير الى السلطان يخطب ابنته لنفسه فسار فخر الدولة الى اصبهان لمواجهة السلطان يخطب ابنته، فأمر نظام الملك ان يمضي معه الى خاتون زوجة السلطان في المعنى فمضيا اليها فخطباها فقالت: ان ملك غزنة وملكوك الخانية بما وراء النهر طلبوها وخطبوها لاولادهم وبذلوا اربع مئة ألف دينار، فان حمل الخليفة هذا المال فهو أحق منهم، فعرفتھا ارسلان خاتون التي كانت زوجة القائم بأمر الله ما يحصل لها من الشرف بالاتصال بالخليفة، وان هؤلاء كلهم عبيده وخدمه ومثل الخليفة لا يطلب منه المال فأجابت الى ذلك واشترطت ان يكون الحمل المعجل خمسين ألف دينار وانه لا يبقى له سرية ولا زوجة غيرها ولا يكون مبيته الا عندها فأجيب الى ذلك، فأعطى السلطان يده وعاد فخر الدولة الى بغداد^(١٢٨).

وفي سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م دخل السلطان ملكشاه بغداد بعد فتح حلب والجزيرة ونزل بدار المملكة وركب من الغد الى الحلبة ولعب بالجوكان

^(١٢٧) ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ١١٩ .

- آل سلجوق: ص ٤٧ .

^(١٢٨) ابن الاثير: ج ٨ ص ١٢٩ - ١٣٠ .

والكرة وأرسل الى الخليفة هدايا كثيرة فقبلها وزار السلطان ونظام الملك
مشهد موسى بن جعفر وقبر معروف واحمد بن حنبل ومشهد أبي
حنيفة^(١٢٩).

وفي سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م اتجه سعد الدولة كوهرائين الى واسط
لمحاربة مهتدي الدولة بن أبي الجبر صاحب البطايح، وما ان ابتعد عن
بغداد الا وظهرت فيها الفتن والاضطرابات^(١٣٠). ووقعت فتنة في بغداد بين
أهل الكرخ وباب البصرة ولكن شحنة بغداد سعد الدولة تمكن من اخماد
الفتنة^(١٣١).

واستمرت الفتن في بغداد وتعددت ويبدو ان السلاجقة كانوا يخدموها
بالقوة والبطش، وقد أدت تلك الفتن بالطبع الى اقلال الامن والنظام وضعف
مركز الدولة كما سيؤدي حتما الى احداث نفرة وعدم انسجام بين العامة من
الشيعية والمسؤولين .

وفي سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م زار السلطان ملكشاه بغداد للمرة الثانية
ومعه نظام الملك ونزل بدار المملكة وامر ببناء جامع السلطان^(١٣٢) وفي

(١٢٩) المرجع السابق ج ٨ ص ١٤٣ .

(١٣٠) المرجع السابق: ج ٨ ص ١٤٦ .

(١٣١) ابن الجوزي: المنتظم حوادث سنة ٤٨٠ ج ٩ ص ٣٨ .

- ابن الاثير : ج ٨ ص ١٤٧ .

(١٣٢) ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ١٥٩ .

- ابن الجوزي: المنتظم ج ٩ ص ٥٧ الا انه ذكر بناء جامع السلطان في سنة ٤٨٥ ج

٩ ص ٦٠ .

أواخر أيام الخليفة المقتدى بأمر الله بن القائم بأمر الله كانت العلاقة بين السلطان ملكشاه السلجوقي والخليفة على غير ما يرام وسبب ذلك، ان الخليفة المقتدى كان قد تزوج من ابنة ملكشاه ورزق منها ولدا اسماه أبا الفضل جعفر، وكان ملكشاه يريد ان يكون جعفر هو الولي للعهد بينما كان للخليفة ولد اكبر من جعفر هو المستنصر وكان يريد ولاية العهد له، وساءت العلاقة بين الخليفة والسلطان، وفي سنة ٨٥ هـ / ١٠٩٢ م قصد السلطان ملكشاه بغداد فوصلها وكان على ما يبدو يريد بالخليفة شرا، فأرسل ملكشاه الى الخليفة يقول له، تخرج من بغداد وتسكن أي بلد شئت، فأتزعج الخليفة من ذلك وطلب منه ان يمهله شهرا، فقال ملكشاه: ولا ساعة واحدة. وترددت الرسل بينهما ثم استقر الحال بواسطة تاج الملك أبي الغنائم، وزير ملكشاه ان يؤخره عشرة أيام، فوافق السلطان على ذلك، وأصيب السلطان بمرض مفاجئ فتوفي في نصف شوال سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م وتخلص الخليفة المقتدى من تلك المحنة^(١٣٣). وقد اهتم ملكشاه بحفر القنوات واقامة الاسوار والقلاع، كما كان كثير التشجيع للعلماء والادباء^(١٣٤).

افول نجم السلاجقة العظام من عهد بركيارق الى وفاة سنجر واختار السلاجقة بركيارق سلطانا عليهم وقدم الى بغداد وأرسل الى الخليفة المقتدى بأمر الله يطلب الخطبة، فأجيب الى ذلك وخطب له ولقب ركن

(١٣٣) ابن الطقطقي: الفخري ص ٢١٧ .

- ابن الجوزي: المنتظم ج ٩ ص ٦٢ و ٦٩ .

(١٣٤) - Nicholson: Aliterary History of the Arabs, P. 276 .

الدين^(١٣٥). وفي الخامس عشر من محرم سنة ٤٨٧ هـ / ٦٠٩٤ م توفي الخليفة المقتدى بأمر الله فجأة وبويع لولده المستظهر بالله وله من العمر ست عشرة سنة وبايعه السلطان بركيارق والامراء والقواد^(١٣٦).

في الحقيقة ان السلاجقة فقدوا بوفاة ملكشاه ومقتل نظام الملك شخصيتين قويتين لهما من الحنكة السياسية والخبرة الادارية والعسكرية ما ساعد على قوة الدولة السلجوقية وتنظيمها وتذليل الصعوبات التي وقفت أمام عجلة الدولة، ولكننا نلاحظ ان الدولة السلجوقية بعد عصر ملكشاه أخذت الضعف ينخر في كيانها ويوهنها الانقسام والتنازع على السلطنة، فالمشاكل التي واجهت بركيارق في أول حكمه كانت عوامل ضعف للدولة السلجوقية، فبدلاً من التوسع والسيطرة على أراضي جديدة كما فعل طغرلبيك والاب أرسلان وملكشاه نجد بركيارق ينشغل في اخماد الفتن والحركات التي قامت ضده، من قبل أم محمود "تركان خاتون" زوجة ملكشاه المحبوبة، التي تمكنت من الحصول على اعتراف الخليفة بسلطنة ولدها، ونجحت في سجن بركيارق ولكن أنصار نظام الملك تمكنوا من انقاذ بركيارق ونصبه سلطاناً، فأصبح في العالم السلجوقي سلطانان وبدأت الحرب بين تركان خاتون وبركيارق، وقد انتهت تلك الحرب بانتصار بركيارق. ثم نشب نزاع جديد حول العرش وأعلن تاج الدولة "تنش" الذي كان والياً على دمشق، انه أحق بالسلطنة، واحتل مناطق عديدة وهدد بركيارق، واصطدم بركيارق مع عمه تنش فانتصر بركيارق وانهزم تنش الى الشام، ثم قامت مشكلة أخرى قام بها خال بركيارق، اسماعيل ابن ياقوتي وكان اميراً على أذربيجان ولكن هذا خسر المعركة في النهاية، وأخيراً ظهر في ميدان التنازع عمه تنش من جديد وفي هذه المرة كان تنش قوياً ومستعداً ولكنه خسر المعركة مع

(١٣٥) ابن الأثير: ج ٨ ص ١٧٠ .

(١٣٦) المرجع السابق .

بركيارق قرب الري سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م كما انه قتل في المعركة^(١٣٧)، هذه الحركات والفتن كما نرى سببت تصدعا في وحدة الصفوف وأدت الى تفرقة السلاجقة وأخذت دولتهم تسير نحو الانحلال والتفكك .

وأهم ما برز من مشاكل في عهد السلطان بركيارق وهدد دولة السلاجقة هو الصراع الذي نشأ بين الوزراء، كل وزير يريد ان تكون له الاهمية وان يكون له النفوذ، فقد تمكن فخر الملك بن نظام الملك من التوصل الى منصب الوزارة على حساب أخيه مؤيد الملك^(١٣٨)، وكان فخر الملك هو الابن الاكبر لنظام الملك ولكن كانت وزارته في الحقيقة اسمية ولم تكن له سلطات مهمة اذ كان زميله مجد الملك الوزير السلجوقي لديوان الاستيفاء قد استحوذ على معظم السلطات وبسط نفوذه على جميع مرافق الدولة، وبدأ التنافس بين مجد الملك وفخر الملك، وكان مؤيد الملك وأخوه عماد الملك قد اتصلا بأعداء بركيارق وصارا من المساعدين لمحمد بن ملكشاه أخي بركيارق، الذي كان واليا على اقليم اذربيجان من قبل السلطان بركيارق، وفي سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م، اصدر السلطان بركيارق أمرا بخلع فخر الملك من الوزارة^(١٣٩) وظل هذا منزويا في مدينة نيسابور ولكنه بعد مدة قصيرة عينه سنجر حاكم خراسان وزيرا له وبقي في هذا

(١٣٧) ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ١٧٥ .

- البنداري: زبدة النصرة ص ٨٥ والمعركة وقعت عند قرية تعرف (داشيلو) على بعد ١٢ فرسخا من الري .

(١٣٨) الراوندي: راحة الصدور ص ٢٢٠ .

- ابن الاثير: الكامل ج ٢ ص ١٧٨ .

- البنداري: مختصر تاريخ آل سلجوق ص ٧٩ .

(١٣٩) ابن الاثير: ج ٨ ص ٢٣٧ .

المنصب حتى اغتاله أحد الباطنية في العاشر من محرم سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م. أن تخلى السلطان لفخر الملك بن نظام الدولة معناه انه تخلى عن أسرة نظام الملك التي كانت تحظى بتأييد كبير من رجالات الجيش والادارة، وظهرت في الافق السياسي حركات وفتن جديدة اضافت عوامل ضعف وانهيار لتلك العوامل التي أدت الى انحلال السلطنة السلجوقية، فقد ثار في اصفهان الامير "أنر" الذي كان قد اتصل بمؤيد الملك بن نظام الملك وكان الاخير هذا قد رغب اليه الابتعاد عن السلطان بركيارق وخوفه منه^(١٤٠). وأشاروا اليه بمكاتبتة غياث الدين محمد بن ملكشاه وأعلن "أنر" العصيان ولكن أحد رجال الاسماعيلية اغتال الامير "أنر" وبهذا تخلص السلطان بركيارق كما بينا سابقا وصار يشجعه على خلع أخيه بركيارق وتمكن أخيرا من اقناعه وقبول فكرته ومن ثم عينه محمد وزيرا له وأخذ نفوذ محمد بن ملكشاه ينتشر ويقوى حتى ان سعد الدولة كوهرائين شحنة بغداد سابقا سار من بغداد واتصل "بكربوقا" صاحب الموصل و "جكرمش" صاحب الجزيرة و "سرخاب بن بدر" صاحب كنگور^(١٤١) وغيرها فساروا الى السلطان محمد فلقوه بقم فرد سعد الدولة الى بغداد وخلع عليه وسار كربوقا وجكرمش في خدمته الى اصفهان، ولما وصل سعد الدولة كوهرائين الى بغداد خاطب الخليفة في الخطبة للسلطان محمد فأجاب الى ذلك وخطب له يوم الجمعة سابع عشر ذي الحجة ولقب "غياث الدنيا والدين"^(١٤٢)، وبدأ الصراع بين بركيارق وأخيه محمد وصارا قطبين متنافسين في العالم

(١٤٠) الراوندي ص ٢٢٧

- ابن الاثير: ج ٨ ص ١٨٨ .

(١٤١) كنگور: قلعة حصينة قرب جزيرة ابن عمر (مراسد الاطلاع ج ٣ ص ١١٨٢) .

(١٤٢) ابن الاثير: ج ٨ ص ١٩١ .

- ابن الجوزي: ج ٩ ص ١٠٩ .

السلجوقي، وفي خلال عام تقريبا اعيدت الخطبة لبركيارق في بغداد فقد عاد سعد الدولة كوهرائين وكربوقا وغيرهما من السلاجقة الى التخلي عن محمد ووزيره مؤيد الملك وكتبوا لبركيارق وطلبوا مساعدته كما اتهم ابدوا استعدادتهم لخدمته، فقابلهم واعاد لهم امتيازاتهم واستوزر لبركيارق ببغداد أبا المحاسن عبد الجليل بن علي محمد الداهستاني، وخلع الخليفة علي لبركيارق وعادت الخطبة له ببغداد مجددا^(١٤٣)

جهز لبركيارق جيشا كبيرا اتجه به نحو شهرزور بينما اتجه محمد ابن ملكشاه بجيش معه مؤيد الملك نحو همدان وقامت الحرب بين الطرفين وجرت بينهما خمس معارك كانت الغلبة في اربع منها لبركيارق وانتهى الامر بفوز محمد وهزيمة لبركيارق في المعركة الخامسة^(١٤٤)، أن هذه الحروب أنهكت الجانبين كما وجد لبركيارق ضعف السلاجقة وعدم قدرتهم على احرار نجاح كبير، فخاطب أخاه في الصلح واتفق على ان تكون لمحمد البلاد من النهر المعروف "أسبيذروذ" الى باب الابواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام، ويكون له من بلاد العراق بلاد سيف الدولة صدقة^(١٤٥)، وأصبحت لبركيارق الاقاليم الجنوبية وحمل كل منهما لقب السلطنة وظل سنجر حاكما على خراسان .

وتوفي لبركيارق سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م وكان قد عين قبيل وفاته ولده ملكشاه وليا لعهد، كما عين الامير اياز اتابكا عليه، وخطب لملكشاه

^(١٤٣) راحة الصدور : ص ٢٢٨ .

^(١٤٤) ابن الاثير: ج ٨ ص ١٩٦ .

^(١٤٥) المرجع السابق ج ٨ ص ٢٢٠ .

في هذه السنة وذلك بتأثير شحنة بغداد "أيلغازي" الذي كان في مقابلة مع بركيارق والامير أياز ونجح في أن يخطب للملك الجديد في مساجد بغداد وأن يلقب بجلال الدولة، ولكن بعد مدة قصيرة قدم محمد ابن ملكشاه متوجها نحو بغداد، واستعد الامير أياز ومن يؤيده الى اعداد عدة الحرب ومواجهة السلطان محمد بالقوة ولما وصل بأعلى بغداد من الجانب الغربي أخذت مساجد الجانب الغربي تدعو للسلطان محمد بن ملكشاه بينما أخذت مساجد الجانب الشرقي تدعو لملكشاه بن بركيارق^(١٤٦). وهذا يمثل بأصدق تعبير ما كانت تعانيه بغداد نتيجة الحوادث واختلاف السياسة والانقسامات التي حدثت بين الحكام السلاجقة، ولما وجد الامير أياز انقسام وفرقة السلاجقة، وكان من المؤيدين الى المصالحة بين الطرفين المتنازعين، أرسل رسلا من أجل ذلك، فتم الصلح^(١٤٧)، ونجت بغداد من فتنة كبيرة كادت تؤدي بكثير من أرواح أهلها وممتلكاتها .

من الملاحظ ان حالة السلاجقة أخذت في الضعف والانهيار خلال سلطنة بركيارق، بسبب النزاع الذي قام حول العرش، والخصومات التي وقعت بين الوزراء والامراء، كلها عوامل فتكت بالوحدة السلجوقية وافقدتها حيويتها وقوتها، اضاف الى ذلك ان هناك عوامل هدم خطيرة كانت تعمل على تقويض ذلك الكيان بشكله العلني والخفي، فالحروب الصليبية كانت قد اتسعت والصليبيون سيطروا على اراض جديدة،

(١٤٦) ابن الاثير: ج ٨ ص ٢٢٥ .

(١٤٧) المرجع السابق: ج ٨ ص ٢٢٦ .

فسيطروا على اتطاكية سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م وعلى بيت المقدس سنة ٤٩٣ هـ / ١٠٩٨ م^(١٤٨)، وقتلوا خلقا كثيرا من المسلمين، والسلاجقة في عهد بركيارق كانوا منشغلين في منازعاتهم وخصوماتهم، وهناك عامل آخر من العوامل التي كان لها الاثر الكبير في اضعاف السلاجقة في هذا الدور، ذلك هو حركات الباطنية، وقد استغل الباطنية انقسام وتنازع السلاجقة الى اظهار نشاطهم وتوطيد نفوذهم ونشر دعوتهم، كما استطاعوا السيطرة على قلعة "شاهدز" التي تقع بالقرب من اصفهان سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٤ م^(١٤٩)، وهي من القلاع المهمة القوية والتي أنشأها السلطان ملكشاه بن السب ارسلان، وكان لسيطرة الباطنية على هذه القلعة الحصينة أثره الكبير في قوة الاسماعيلية، التي صارت تقضي على من يناوئ دعوتها أو يقف في طريق نشرها، فذهب الكثير من الشخصيات السلجوقية كنظام الملك الوزير السلجوقي الكبير ضحية مؤامرتهم كما افتكوا بولده فخر الملك الذي كان وزيرا لبركيارق ثم لسنجر من بعده وغيرهما من الشخصيات الكبيرة، وقد حاول السلطان محمد بن ملكشاه أن يقضي عليهم وهداه تفكيره بضرورة السيطرة على حصن الاسماعيلية في "الموت" والقضاء على رئيسهم الكبير الحسن الصباح، ولكن الجيش السلجوقي الذي كان بقيادة نظام الملك احمد بن نظام الملك لم يتمكن من تحقيق رغبة السلطان وعجز عن الاستيلاء على حصن الباطنية الحصين، بل ان الباطنية تصدوا للوزير القائد وحاولوا

(١٤٨) ابن الجوزي: ج ٩ ص ١٠٨ .

(١٤٩) الراوندي: راحة الصدور ص ٢٣٩ .

قتله ولكنه نجا من محاولتهم بأعجوبة وأصيب بجروح بليغة في رقبته^(١٥٠)، شفي منها بعد مدة، وظل السلطان محمد يتعقبهم وينازلهم، بل يبدو انه وضع معظم امكانيات الدولة من أجل استئصال شأفتهم ولكن الموت ادركه^(١٥١). ان عمل السلطان محمد ذلك وان أضعف الباطنية وقلل من خطرهم ولكن الدولة السلجوقية تكبدت خسائر فادحة كانت عاملا مهما في انهك قواها المادية والمعنوية. كما أن الباطنية ظلت مستمرة في عدائها للسلاجقة تثير الفتن والاضطرابات ضد تلك الدولة . ..

كانت الخلافة العباسية في بغداد تجاه تلك الحوادث والفتن تتأثر بميزان القوى، فترى الخليفة العباسي يوافق على ذكر اسم احد السلاجقة في الخطبة بعد ان يظهر قوته في الميدان السياسي او الحربي ولكنه أي الخليفة كان على العموم ضعيفا غير قادر على السيطرة، ولكننا نلمس بعد وفاة محمد بن ملكشاه السلجوقي انقساموا واضحا في جسم الدولة السلجوقية فالسلطان محمد اوصى من بعده بالعهد لولده محمود وكان في الرابعة عشرة من عمره ووافق الخليفة المستظهر بالله العباسي على ذلك^(١٥٢)، ولكن عمه سنجر والي خراسان وجد نفسه أفضل من ابن اخيه في سلطنة السلاجقة فأعلن نفسه سلطانا عليهم^(١٥٣)، وأصبح في العالم

(١٥٠) ابن الاثير: ج ٨ ص ٢٥٩ .

(١٥١) ابن الجوزي: المنتظم ج ٩ ص ١٩٦ .

- ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٢٧٧ .

(١٥٢) ابن الاثير: ج ٨ ص ٢٧٧ .

(١٥٣) المرجع السابق ج ٨ ص ٢٨٦ .

السلجوقي سلطانا وقامت بالطبع الحروب بين السلطتين انتهت بانتصار سنجر، واعترف الخليفة له بالسلطنة^(١٥٤)، ويبدو ان سنجر عطف على ابن اخيه فتصالح معه وقدم له هدية وعينه وليا لعهد من بعده وأعلن ذلك للخليفة العباسي ولأمراء الدولة^(١٥٥).

والسلطان سنجر هو آخر السلاطين السلاجقة العظام. خطب له على المنابر بالسلطنة نحو أربعين سنة وكان قبلها يلقب بالملك^(١٥٦)، وأتاب عنه في العراق ابن أخيه محمود ومنحه كل ما قد تركه من رسوم السلطنة وشعائرها. وأعطاه خلعة خاصة، كما منحه قباء مرصعا بالجواهر وجوادا للنوبة مسرجا بسرج احمر، وفيلأ عليه هودج مرصع، وأنعم على أمرائه حسب درجاتهم^(١٥٧). وأصبح نفوذ سنجر يمتد من حد كشغر الى أقصى بلاد اليمن ومكة والطائف ومكران وعمال واذربيجان الى حدود الروم^(١٥٨). وكان سنجر وقد بلغ هذا الحد الكبير من النفوذ الا ان عصره لم يخل من المشاكل التي أودت بدولته وحياته، وكان الخطر عليه مصدره القبائل التركية التي سكنت شمال شرقي ايران والتي تمكنت من تكوين دولة عرفت بالدولة القره خنائية وعاصمتها (بلاساغون)، وقد عظم نفوذ هذه الدولة وأخذت تهاجم المدن الاسلامية التي يعدها سنجر من أملاكه، ولما كثرت

(١٥٤) المرجع السابق ج ٨ ص ٢٨٨ .

(١٥٥) المرجع السابق وصفحته .

(١٥٦) المرجع السابق ج ٩ ص ٥٥ .

(١٥٧) راحة الصدور: ص ٢٥٩ .

(١٥٨) المرجع السابق: ص ٢٦٠ .

تعديات هذه الدولة جهاز سنجر جيشاً لمواجهة هذه القبائل، ولكن القره
خطانية عندما وجدوا ان الخطر قد أحرق بهم، استماتوا في الدفاع عن
بلادهم وأراضيهم في معركة عند (قطوان) بالقرب من سمرقند سنة ٥٣٦ هـ -
١١٤١م وكانت نتيجة تلك المعركة هزيمة نكراء الحقت بسنجر،
ووقعت زوجته أسيرة في أيدي القرخطانية^(١٥٩)، وكان لهذه المعركة أثرها
الكبير في اضعاف سنجر وضياع هيئته، كما ان هذه المعركة شجعت أعداءه
الخوارزميين والذين الحق بهم سنجر هزيمة في "هزار اسب" سنة
٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م الى معاودة العصيان ولكن سنجر تمكن في سنة
٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م من محاصرة علاء الدين أتسز في مدينة
خوارزم^(١٦٠)، وطلب علاء الدين من السلطان العفو عنه بعد ان وجد ان
الحصار حوله صار محكما وشديدا، فعفا عنه السلطان وقام بين الطرفين
صلح وعاد سنجر الى مروي، ولكن القلاقل استمرت من الجانب الخوارزمي،
حتى انتهت تلك الفتن والحروب الى اقرار صلح بين أتسز الخوارزمي
والسلطان سنجر ٥٣٨ هـ / ١١٤٣م وبموجب ذلك الصلح تقرر استقلال
أتسز بخوارزم^(١٦١). وبذلك ظهرت على المسرح السياسي دولة جديدة هي
الدولة الخوارزمية .

(١٥٩) ابن الاثير ج ٩ ص ٤ .

(١٦٠) المرجع السابق: ج ٩ ص ٧ .

(١٦١) المرجع والصفحة انفسهما .

ان قوة سنجر أخذت في الضعف عام ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م حينما نشبت الحرب بينه وبين قبائل الغز التركية، وانه وقع أسيرا في أيدي تلك القبائل^(١٦٢)، وبقي في الاسر ثلاث سنوات، احتال بعدها على الهرب حيث وصل الى مكان عرشه في مرو^(١٦٣)، وعاش بعدها مدة قليلة ومات كمدا، اذ رأى ما حل بدياره من دمار^(١٦٤)، ودفن في المقبرة التي كان قد أسسها من قبل في مرو^(١٦٥)

وهكذا ينتهي عصر السلاجقة العظام بموت السلطان سنجر وقد لاحظنا أثر الضعف العام في المملكة السلجوقية والتنازع المستمر بين الامراء طمعا في السلطة كما لمسنا ظهور الحركات السياسية الخطيرة وباتهاء هذا العصر، سنجد استمرار التنازع بين أولئك الامراء واستمرار ضعف الدولة العام، وبداية صفحة جديدة للدويلات السلجوقية التي كانت من أشهرها دولة سلاجقة العراق ودولة سلاجقة الروم ودولة سلاجقة كرمان وانتشرت الاتابكيات في العالم السلجوقي وكان من أشهرها أتابكية الموصل وأتابكية الشام وأتابكية سنجار وأتابكية الجزيرة .

..

(١٦٣) المرجع السابق: ص ٢٧٧ .

(١٦٤) ميرخوند: روضة الصفا: ص ٥٤ .

(١٦٥) راحة الصدور: ص ٢٧٨ .

الفصل الثالث

سلاجقة العراق

جلوس محمود على العرش. نزاعه مع سنجر. تعيين محمود نائباً عن سنجر على العراق. سنة ٥١٣هـ بدء قيام دولة سلاجقة العراق. سلطة السلطان محمود اسمية. ضعف السلطان محمود. منافسة اخوة محمود على السلطنة. النكبات التي جابهت بغداد. علامات الضعف. ظهور العيارين. الاضطرابات في البصرة. هجوم دببى بن صدقة على البصرة. العلاقات بين السلطان محمود وأخيه طغرل. السلطان محمود يقطع الامراء اقطاعات واسعة. الخلافة العباسية تأخذ بالقوة. وفاة السلطان محمود. المشاكل التي واجهت دولة سلاجقة العراق بعد وفاة محمود. النزاع بين الامراء والملوك السلاجقة. الخليفة العباسي يتدخل في المناقشات بين الملوك والامراء السلاجقة. الحروب بين الملوك السلاجقة. الخليفة يؤيد مسعود وسنجر يؤيد طغرل. ثلاثة سلاطين في العالم السلجوقي. القتال بين طغرل ومسعود. الخليفة يحث مسعود لمحاربة أخيه طغرل. العلاقات بين مسعود والخليفة المسترشد. الحرب بين الخليفة ومسعود. أسر الخليفة. تدخل سنجر. اغتيال الخليفة. تنصيب الراشد. استمرار الحروب في عهد مسعود. استفحال المشاكل في أواخر عصر السلطان محمود. سوء الاحوال في بغداد. وفاة مسعود. الامراء والاتابكة يتدخلون في شؤون السلطنة. النزاع

بين محمد والخليفة. السلطان محمد يحاصر بغداد. وفاة السلطان محمد .
سوء الحالة في دولة سلاجقة العراق . توليه طغرل بين أرسلان شاه .
الناصر يعاصر طغرل. وقوع الحرب بين خوارزمشاه وطغرل ومقتل
السلطان طغرل.

انتهاء حكم السلاجقة في العراق خلاصة الموضوع .

نقر التقسيم الشائع وهو ان عصر السلاطين، سلاجقة العراق ، يبدأ عام
٥١١هـ/١١١٧م وهو العام الذي توفي فيه محمد بن ملكشاه بن ألب
أرسلان. والسند في هذا التقسيم هو ان هذا السلطان كان ينقش اسمه على
العملة الى جانب اسم سنجر، ويبرز بذلك انتسابه الى الدولة السلجوقية
العامة.

أما بعد هذا التاريخ فان الروح الاقليمية تسود الدولة السلجوقية وتبرز
بطبيعة الحال شخصية سلاجقة العراق.

وأول هؤلاء السلاطين هو السلطان محمود الذي حاول ان يستقل عن
عمه.

وينسب هؤلاء السلاجقة الى العراق، وهم في الحقيقة سلاجقة العراقيين
، لان العاصمة في هذه المرحلة ايضاً ظلت خارج حدود العراق الحالي .
فقد كانت "همدان" عاصمة سلاجقة العراق . وتفصيل ذلك كله ان السلطان
محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان توفي سنة احدى عشرة وخمسة مئة^(١)

(١) ابن الجوزي: المنتظم ج ٩ ص ١٩٣ .

- ابن الاثير: ج ٨ ص ٢٧٧ .

في مدينة اصفهان^(٢) وجلس ابنه محمود علي عرش السلاجقة^(٣) واشتهر من وزرائه ربيب الدولة أبو منصور القيراطي^(٤)، الذي دبر دولته ونجح في نيل اعتراف الخليفة العباسي لسيدته السلطان محمود والخطبة له ببغداد^(٥) وكان محمود صغير السن يبلغ من العمر اربع عشرة سنة^(٦) ولله اربعة أخوة هم مسعود وطغral وسليمان وسلجق، وقد قدر لهؤلاء الاخوة ان يتولوا السلطنة واحداً بعد الآخر سوى سلجق^(٧) وفي ابتداء سلطنة محمود توفي الخليفة المستظهر بالله سنة ٥١٢هـ/١١١٨م^(٨) وانتقلت الخلافة إلى المسترشد بالله العباسي^(٩).

(٢) ابن الجوزي : ج٩ ص ١٩٦ .

(٣) الرواندي : ص ٣٠١ .

- ابن الاثير : ج٨ ص ٢٨٠ .

(٤) الرواندي : ص ٢٩٩ .

(٥) ابن الاثير : ج ٨ ص ٢٨٠ .

(٦) ابن الاثير : ج ٨ ص ٢٧٧ .

(٧) البنداري : تاريخ آل سلجوق ص ١٠٩ .

(٨) ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص ١٩٧ .

- ابن الاثير : الكامل ج٨ ص ٢٨١ .

- البنداري : آل سلجوق ص ١٠٩ .

(٩) ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص ١٩٧ .

- ابن الاثير : الكامل ج٨ ص ٢٨١ .

- الفخري : ص ٢٢١ .

وقد بينا في الفصل السابق ان سنجر وجد نفسه أفضل من ابن أخيه محمود في السلطة السلجوقية وطمع فيها، ومن ثم أعلن نفسه سلطاناً للسلاجقة، وتوجه نحو العراق^(١٠)، ولكن على ما يبدو ان الامراء المحيطين بالسلطان الحدث محمود، حفزوه على محاربة عمه، وقد عرضنا سابقاً ان تلك الحرب انتهت بفشل محمود وانهزام جيوشه وانتصار سنجر واعتراف الخليفة بسلطنته^(١١). ويظهر ان السلطان سنجر عطف على ابن أخيه فنصالح معه وقدم له هدية وعينه ولياً لعهد من بعده وأعلن ذلك للخليفة العباسي ولامراء الدولة^(١٢). وهناك رواية أخرى تذكر ان السلطان محمود انهزم وفر الى اصفهان مدحوراً^(١٣)، وأرسل (علي بار) الذي كان حاجب الملك محمود نائبه أبا القاسم الانسابادي^(١٤) الى السلطان سنجر ملتمساً المعذرة على لسان محمود، قائلاً: أن ما حدث منه ناشئ عن طيش الطفولة.. وقد استقر الرأي على أن يلحق بخدمة عمه بالري، وان يبقى بها شهراً، وان لا يدق له بوق تركي في وقت الركوب أو النزول، وان لا تكون له خيمة حمراء جهرمية^(١٥) وان يسير مترجلاً في ركاب عمه في اثناء ركوبه أو ترجمه، وأن يترك كما ما يكون من شعائر السلطنة

(١٠) الرواندي : ص ٢٥٨ .

(١١) ابن الاثير: ج ٨ ص ٢٨٦ .

(١٢) المرجع السابق: ص ٢٨٦-٢٨٧ .

(١٣) الاصفهاني : زبدة النصرة ص ١٢٥ .

(١٤) الانسابادي هو ناصر بن علي المعروف بأبي القاسم الدرگزني.

(١٥) نسبة الى جهرم مدينة في اقليم فارس مشهورة بصنع الخيام .

ورسومها^(١٦)، وقد ظل على هذه الحالة شهراً في خدمة عمه، فلما فعل ذلك السلطان محمود أنابه السلطان سنجر عنه في العراق ومنحه كل ما كان قد حرم منه من رسوم السلطنة وشعائرها. واعطاه خلعة خاصة، كما منحه قباء مرصعاً بالجواهر، وجوادة للنبوة مسرجاً بسراج احمر، وفيلأ عليه هودج مرصع وانعم على امرائه أيضا على حسب درجاتهم، وأرجعه الى دياره معظما مبعلاً^(١٧).

ويمكن عدّ سنة ٥١٣هـ/ ١١١٩م البدء الفعلي لما يسمى اصطلاحاً بدولة سلاجقة العراق، حيث أصبح السلطان محمود بصفة شرعية نائباً لسنجر في العراق واكتسب بذلك اعتراف الخليفة العباسي المسترشد بالله، واصبح السلطان محمود في الحقيقة تابعا للسلطان سنجر ياتمر بأمره ولا يعمل الا باشارته، فكان هناك في العالم السلجوقي سلطانان ، كبيرهما هو السلطان سنجر الذي اتخذ مدينة مرو عاصمة له وفضلها على غيرها من المدن^(١٨)، وهو آخر السلاطين السلاجقة العظام، وكان جميع الملوك السلاجقة يهابونه وينفذون أوامره، أما السلطان الآخر فهو السلطان محمود، الذي عينه السلطان سنجر نائباً في العراق، فأصبح سلطان العراق من الناحية الرسمية يتبع لسلطنة سنجر، فكأنها سلطنة في قلب سلطنة، كما

(١٦) البنداري: زبدة النصره ص ١٢٨-١٢٩ .

(١٧) الراوندي: راحة الصدور ص ٢٥٩ .

-البنداري زبدة النصره ص ١٢٨-١٢٩

- ابن الاثير : ج ص ٢٨٨

(١٨) Sanaullah: The decline of the seljuqid empire, p. 39.

أصبحت سلطنة العراق في عهد سنجر لا يرتقى الى عرشها الا من ارتضاه هذا السلطان فعند وفاة السلطان محمود توجه القادة الى السلطان سنجر طالبين منه ان يختار سلطاناً للعراق، فاختار السلطان سنجر، الملك طغرل سلطاناً للعراق كما اختاره ولي عهده^(١٩). وظل نفوذ السلطان سنجر قوياً حتى انهكته الحروب والفتن، وضعت قوته الى ان توفي سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م، وكان سلاطين السلاجقة في العراق يدفعون الجزية لسنجر^(٢٠)، كما انه كان قد اشترط عليهم ان يذكروا اسمه في الخطبة قبل أسمائهم^(٢١).

يتبين لنا أن سلطنة محمود كانت اسمية ومع ذلك فان سنجر منحه البلاد التي تمتد من حدود خراسان الى بلاد الشام وتشمل همدان واصفهان باقليم العراق العجمي وبلاد الجبال وكرمان وفارس وخوزستان والعراق العربي واذربيجان وارمينية وديار بكر والجزيرة وبلاد الشام، وبلاد السروم وكانت هذه بيد اولاد قلع أرسلان^(٢٢)، الا اننا نرى في الحقيقة ان الصليبيين قد انتزعوا معظم بلاد الشام وكونوا فيها الامارات الصليبية الاربعة هي بيت المقدس واطاكية وطرابلس والرها كما انتزعوا المدن الساحلية، ولم يبق في أيدي المسلمين الا بعض المدن الداخلية كدمشق وحلب^(٢٣)، كما كانت

(١٩) الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية: ص ٩٩-١٠٠ .

(٢٠) Browne : Account of a Rare Manuscript History of seljuqs, p. 45.

(٢١) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٢٨٨ .

(٢٢) ابن الاثير : تاريخ الدولة الاتاكية ص ٢١ .

(٢٣) Barker: The Crusades, p. 25 .

بلاد الجزيرة واذربيجان وفارس وديار بكر موزعة بين الاتابكة
العديدين^(٢٤)، والخلاصة ان سلطان محمود المباشر لم يكن يمتد الا على
العراقين العربي والعجمي.

ويبدو أيضاً ان السلطان محمود كان محاطاً ببطانة من المستشارين
الضعفاء ، وذلك أنهم اساءوا الى حكم السلطان محمود بما اظهروه من
سوء التدبير، فمن سوء اعمالهم انهم صرفوا ما كان في خزانة السلطان
محمد بعد وفاته وتقاسموه بمدة شهرين^(٢٥)، فكان ذلك سبباً في احداث
أزمة اقتصادية شديدة، كما انهم عملوا على تشتيت ممالك السلطان الذين
كانوا يقومون بحراسته وخدمته وبهذا عملوا على اضعاف شوكة السلطان،
وتفتيت الصف السلجوقي، وانهم ساعدوا على نشر الجواني والاماء في
دور الحرم الى دورهم^(٢٦)، وأدى هذا الى نشر المفاصد وانغماس رجال
الدولة في اللهو واللعب، كما سيطروا على السلطان واجترأوا عليه^(٢٧) ومن
المرجح أن سبب ذلك هو ان السلطان محمود كان صغيراً حدثاً تولى
السلطة وهو في دور المراهقة، فعملت هذه البطانة المحيطة به على اشغاله
باللهو والطرب، وقضاء الوقت في ملاعبة الصقور والفهود وكلاب الصيد
والبزاة والحمام^(٢٨)، كما ان السلطان كان قد سيطرت عليه الامراض

(٢٤) Lane-poole: The Mohammadan Dynasties, p. 152.

(٢٥) البنداري: آل سلجوق ص ١١٢ .

(٢٦) المرجع السابق: ص ١١٣ .

(٢٧) السلجوقي: ص ١١٣ .

(٢٨) الراوندي: راحة الصدور ص ٣٠١ .

المزمنة التي أنهكت قواه الجسمية ويذكر الراوندي: ان تلك الامراض تسببت له بسبب كثرة الجماع^(٢٩).

ولم يسلم السلطان محمود من منافسة بعض أخوته له في السلطنة فقد أعلن مسعود وكان ملكاً على الموصل وأذربيجان الحرب على أخيه السلطان محمود ولكن مسعوداً فشل في تلك الحرب وانهزمت جيوشه أمام جيوش السلطان محمود وكان ذلك سنة ٥١٤هـ / ١١٢٠م^(٣٠).

ولم تسلم بغداد من النكبات في هذه الحقبة من تاريخها على عهد السلطان محمود، فقد هاجم بغداد دبب بن صدقة واكثر فيها النهب والقتل والفساد^(٣١)، ولم يأبه دبب باستنكار الخليفة لاعماله، كما انه لم يستجيب لوامر السلطان بمنع أصحابه عن تلك الافعال، وهذه ظاهرة من علامات الاحلال والضعف لتلك المدة من الحكم السلجوقي

وبدت ظاهرة ضعف واضحة في هذه المدة، فقد ظهر العيارون في بغداد في سنة ٥١٤هـ^(٣٢) وحدثوا فيها الفوضى والاضطراب والقلق، وبالطبع ان ظهور مثل هذه الحركات ، دليل واضح على تسردي الحالة فمثل العيارين لا ينشطون الا في اوضاع الغير المستقرة والتي يكون فيها الحكام على درجة من الضعف تمنعهم من السيطرة على الامور

(٢٩) الراوندي: راحة الصدور ص ٣٠١ .

(٣٠) ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٢٩١-٢٩٢ .

(٣١) ابن الجوزي: المنتظم ج ٩ ص ٢١٧ .

-ابن الاثير: الكامل ج ١٠ ص ٢٠٠ .

(٣٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ ص ٢١٦ .

وفرض الامن واقرار النظام مع أن شأن العيارين لم يكن يؤمئذ عظيمًا ذلك ان حركاتهم كانت قد ضعفت منذ دخول السلاجقة بغداد، اذ كان الحكام السلاجقة يتعقبون العصاة والخارجين على النظام بشدة واستمرار.

وشمل الضعف وعدم الاستقرار مدينة البصرة، حتى أدى ذلك الى ظهور فتنة فيها أدت الى قتال واضطرابات، سيطر في نهايتها على بن سكران على البصرة وصار يحكمها مستبدًا دون موافقة السلطان^(٣٣)، كما ان هذه المدينة أصابها نكبة جديدة من جراء هجوم غادر عليها قام به دبيس ابن صدقة صاحب الحلة الذي كان قد هرب من امام جيش الخليفة المسترشد بالله سنة ٥١٧هـ/ ١٢٣م والتجأ الى قبائل المنتفق^(٣٤)، وانفق معها على غزو البصرة فوافقه على ذلك ودخلوها ونهبوا اسواقها وقتلوا الكثير من أهلها كما قتل الامير "سخت كمان" مقدم العسكر السلجوقي في البصرة، وظلت الامور مضطربة قلقة في البصرة حتى وصلت جيوش السلاجقة بقيادة البرسقى فانهمز دبيس بن صدقة حيث التحق بالملك طغرل بن السلطان محمد^(٣٥).

(٣٣) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ١٩٧-١٩٨ .

(٣٤) المنتفق: من أهم قبائل العراق، ومنازلها في المناطق الواقعة بين البصرة وبغداد وتجتول في الجزيرة بين دجلة والفرات وهي فرع من القبائل العدنانية تنتسب الى المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وكانت منازلهم الاجام والقصيب التي بين البصرة والكوفة .

(٣٥) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٢٩٠ .

وكانت علاقة السلطان محمود بأخيه طغرل صاحب قلعة سرجهان، وسادة وآوة وزنجان غير حسنة ففي سنة ٥١٣هـ/١١١٩م جهز جيشاً لحرب طغرل، لكن على ما يبدو ان صلحاً حصل بين الفريقين لعدم وقوع القتال^(٣٦).

وبالرغم من ضعف هذا السلطان واحتياجه الى المال نجده يقطع الاقطاعات الكبيرة للامراء السلاجقة، فقد اقطع في سنة ٥١٥هـ مدينة الموصل وأعمالها وما يضاف اليها كالجزيرة وسنجان وغيرها. الامير آقسنقر البرقسي^(٣٧)، وفي السنة نفسها اقطع السلطان محمود مدينة ميافارقين للامير ايلغازي الارنقي^(٣٨). وفي سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م اقطع السلطان محمود الامير آقسنقر البرسقي مدينة واسط وأعمالها مضافاً الى ولاية الموصل، وشحنة العراق، فلما اقطعها البرسقي سير اليها عماد الدين زنكي ابن آقسنقر وامره بحمايتها^(٣٩).

وفي هذا العهد بدأت الخلافة العباسية تسترد شيئاً من قوتها وتملاً الفراغ الذي شغل السلاجقة بخصوماتهم عن ملئه، وتنتهز كل فرصة للعمل على الحد من سلطانهم، ولكن الذي ابقى على السلطنة السلجوقية قوتها ان الخليفة لم يكن بعد قد استعد الاستعداد الكافي لضربهم، كما ان الادارة

(٣٦) المرجع السابق: ج ٨ ص ٢٨٥-٢٨٦ .

(٣٧) ابن الاثير : ج ٨ ص ٣٠٢ - ابن خلكان: ج ١ ص ٧٩-٨٠ .

(٣٨) ابن الاثير: ج ٨ ص ٣٠٤ .

(٣٩) ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٣٠٩ - ابو شامة: الروضتين ج ١ ص ٢٧ - سبط بن الجوزي:

مرآة الزمان ج ٨ ص ١١٤ .

والجيش كان معظمها تحت اشراف السلاجقة، ان ما دفع الخليفة الى ذلك هو ما تلمسه من المفاصد المستشرية في البلاد الاسلامية، ونحن نرى الخليفة يبين للسلطان محمود ما اصاب البلاد من الضعف والوهن بسبب حركات تمرد دبيس بن صدقة، صاحب الحلة، وما احدثه عسكره فيها من فساد كما أخذ عليه ما انتشر من الغلاء في العراق بشكل كبير^(٤٠) ثم انتهى الامر بين الطرفين الى الحرب بين جيوش الخليفة المسترشد والسلطان محمود معارك، وحاصر السلطان بغداد سنة ٥٢١هـ، اضطر الخليفة في نهاية الامر الى قبول الصلح^(٤١). ومن ثم رجع السلطان محمود الى همدان. وفي سنة ٥٢٣هـ/١١٢٨م قدم السلطان محمود بغداد ومعه دبيس ابن صدقة ليصلح حاله مع الخليفة المسترشد بالله، ورجع السلطان محمود الى همدان ثانية، ولكن دبيس هذا عاد الى احداث القلاقل والفوضى في البلاد مستغلاً فرصة وفاة زوجة السلطان محمود ومرضه، فقصد دبيس العراق

(٤٠) ابن الجوزي: المنتظم ج ٩ ص ٢٥٩ - ج ١٠ ص ٤ .

ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٣٢١ .

ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٥٩ .

البنداري: آل سلجوق ص ١٧٨ .

ابن خلكان: وفيات الاعيان ج ١ ص ١٧٧ .

(٤١) راحة الصدور: ص ٣٠١ .

البنداري: زبدة النصر ص ١٥٢ .

ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٣٢٣ .

ودخل الحلة وسار الى البصرة وأخذ منها أموالاً كثيرة كما أخذ ما للخليفة والسلطان هناك من الداخل^(٤٢).

وفي سنة ٥٢٥هـ / ١١٣٠م توفي السلطان محمود في همذان واعقبت وفاته مشاكل جديدة واجهت السلطنة السلجوقية، فالخليفة العباسي المسترشد بالله أخذ بالقوة واصبح عاملاً قوياً من عوامل المعارضة للحكم السلجوقي، كما انه صار يلعب دوراً مهماً في احداث الفرقة والخلاف في صفوف السلاجقة بقصد اضعافهم وتشتيت كلمتهم. ان وفاة محمود كانت الشرارة التي سببت اشعال نار الفتنة والخلاف بين الامراء والملوك السلاجقة وكان كل أمير يرى في نفسه الاحقية والاهلية في عرش السلطنة، فبعد وفاة محمود خطب لولده داود ببلاد الجبل وانربيجان^(٤٣)، ولكن سرعان ما سار عمه مسعود من جرجان الى تبريز واستولى عليها، فلما علم الملك داود بذلك سار لملاقاة عمه، فحاصره في تبريز وجرى بينهما قتال انتهى بالصلح^(٤٤). وكان كل من مسعود وداود يريد السلطنة لنفسه ويأمل في أن يحصل على اقرار من الخليفة العباسي بذلك، فاتجه مسعود

(٤٢) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٠ ص ٢٠-٢١.

ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٣٢٨.

(٤٣) ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٣٣٣.

ابن الجوزي: المنتظم ج ١٠ ص ١٠.

(٤٤) ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٣٣٥.

نحو بغداد يطلب الخطبة من الخليفة، كما وصلت رسل الملك داود للغرض نفسه^(١٥).

ومن الطبيعي كما يبدو لي ان يعتمد الخليفة الى اغتنام الفرصة لضعاف السلاجقة واحلال الفرقة في صفوفهم ، فأجاب الخليفة لكل من تقدم في طلب الخطبة لنفسه، : ان الحكم في الخطبة الى السلطان سنجر، من اراد خطب له، وأرسل الى السلطان سنجر ان لا يأذن لاحد في الخطبة، فان الخطبة ينبغي ان تكون له وحده، فوق هذا موقعا حسناً^(١٦) في نفس سنجر، ولكن الحوادث ستبرهن، ان الخليفة المسترشد بالله العباسي الذي يعتبر طليعة الكفاح العباسي ضد التحكم السلجوقي، كان لا يهتم ان يكون السلطان الذي يخطب له داود او مسعود، سنجر او سلجوقشاه، بل الذي يهتم هو التخلص من ذلك الحكم الغريب. ومن المرجح، أن في قول الخليفة المسترشد "في أن الحكم في الخطبة الى السلطان سنجر" تدبير سياسي كبير، كان المسترشد يستهدف من اطلاق هذا التصريح، توجيه أنظار السلاجقة الى سنجر وإيقاعهم في خضم المنافسة الشديدة على رئاسة البيت السلجوقي وهذا التصريح من ناحية اخرى دعوة سلمية صادرة من الخليفة الى السلاجقة الى ان يتحدوا تحت رئاسة واحدة وهي دعوة غير مقصودة لذاتها فالخليفة أول من يعلم ان بذور الفرقة تأصلت فيهم بل هي دعوة هدفها صالح الخلافة واسترداد هيبتها، وقد نجح الخليفة في بلوغ هدفه

(١٥) المرجع السابق: ص ٢٤١ ج ٨ ص ٣٣٥ .

(١٦) المرجع السابق: ص ٢٤١ ج ٨ ص ٣٣٦ .

نجاحاً بعيداً فتشتت وحدة الصف السلجوقي وقام التنازع بين الملوك والامراء . وتهيأ الجو لتمكين الخلافة العباسية فيما بعد للتخلص من السلاجقة ومن السيطرة على زمام الامور .

ثم واجه مسعود منافساً آخر هو سلجوقشاه وكاتب مسعود عماد الدين زنكي صاحب الموصل يستنجد به ويطلب مساعدته ضد سلجوقشاه فوعده النصر^(٤٧)، ففرح مسعود وقويت عزيمته على طلب السلطنة، وتوجه الملك سلجوقشاه مع أتابكة "قراجه الساقى" صاحب فارس وخوزستان في جيش كبير. الى بغداد فوصل اليها قبل وصول الملك مسعود ونزل في دار السلطان وأكرمه الخليفة واستحلفه لنفسه، وبعد أيام وصل رسول الملك مسعود يطلب الخطبة ويتهدد ان منعها^(٤٨)، ولكن الخليفة المسترشد لم يجب طلب رسول مسعود بل استعد لمقاتلة عساكره، ونجح الخليفة في ايقاع الهزيمة بالجيوش المسعودية بقيادة عماد الدين زنكي الذي هزب الى تكريت وعبر فيها دجلة عندها، وقد ساعده على العبور (نجم الدين ايوب) الذي كان الدزدار^(٤٩)، في مدينة تكريت^(٥٠). ولما علم مسعود بانهزام صاحبه عماد الدين أخذ في طلب التفاهم مع الخليفة وسلجوقشاه على

(٤٧) ابن الاثير: ج ٨ ص ٣٣٦ .

(٤٨) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٠ ص ٢٥ .

ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٣٣٦ .

(٤٩) الدزدار: وهو متولى القلعة وهي من الكلمة الفارسية "دز" تعني قلعة ودار أي المتولي والمالك.

(٥٠) ابن الاثير: ج ٨ ص ٣٣٦ .

أساس أن السلطان سنجر عازم على قصد الخليفة وغيره، فاتفق الخليفة المسترشد ومسعود وسلجوقشاه على أن يجتمعوا لقتال السلطان سنجر، شريطة أن يكون العراق لوكيل الخليفة وتكون السلطنة للملك مسعود ويكون سلجوقشاه ولي عهده^(٥١)، وعلى هذا الأساس استعدوا لحرب سنجر وتوجه السلطان سنجر ومعه الملك طغرل بن السلطان محمد من الري الى همدان، فسمع الخليفة ومسعود بخبره، فاتفقوا على ملاقاته وحربه على أن يكون الخليفة معهم، وسار مسعود وسلجوقشاه وقراجنه الساقبي نحو سنجر، ولكن الخليفة المسترشد كان متريثاً فتأخر بعض الشيء، وعند وصول الخليفة الى خاتقين طرق سمع الخليفة انباء وصول (عماد الدين زنكي) و(دبيس بن صدقة) الى قريب بغداد^(٥٢)، وكان (سنجر) قد اقطع دبيس بن صدقة، الحلة كما ان عماد الدين زنكي ذكر ان سنجر اعطاه شحنية بغداد^(٥٣)، ولكن الخليفة المسترشد تمكن من مقابلة عماد الدين ودبيس وايقاع الهزيمة بجيشهما^(٥٤)، أما جيوش (مسعود) و(سلجوقشاه) فانها لم تتمكن من قوات السلطان سنجر الذي أنزل بجيش مسعود وسلجوقشاه وأنصارهما هزيمة بالقرب من مدينة دينور عام ٥٢٦هـ /

(٥١) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ ص ٢٥ .

ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٣٣٦ .

(٥٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ ص ٢٦ .

(٥٣) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٣٣٧ .

(٥٤) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ ص ٢٦ .

ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٣٣٧ .

١١٣١م، ونجح في تثبيت ابن أخيه طغرل سلطاناً على سلاجقة العراق وخطب له في جميع البلاد^(٥٥).

وقبل ان تطأ أقدام طغرل بغداد، اذ لا يزال في خراسان أعلن الملك داود بن السلطان محمد شقيق السلطان طغرل العصيان عليه ولكن طغرل تمكن من هزيمة داود وهرب داود منهزماً الى بغداد^(٥٦). وفي سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م واثر هزيمة داود، قصد مسعود بغداد ونزل بدار السلطنة. وخاطب في الخطبة له فأجيب الى ذلك ، وخطب له ولداود من بعده^(٥٧)، واتفق الجميع على أن يجهزوا جيشاً كبيراً يقوده مسعود وداود ضد طغرل وان يسهم الخليفة في اعداد ذلك الجيش، وتقدم الجيش فوصل مراغة وملك مسعود بجيشه هذا سائر اذربيجان، ودارت بين جيشه وجيش طغرل معارك كثيرة الى أن وصلت جيوش مسعود الى همدان وأوقعت هزيمة بجيش طغرل واستولت على المدينة ثم استولت على مدينة اصبهان، وصار مسعود يتعقب آثار اخيه الذي ولى هارباً تاركاً البلاد لاعدائه يحتلون مدنها الواحدة تلو الاخرى^(٥٨). وباستيلاء مسعود على همدان يكون قد ظفر

(٥٥) ابن الاثير: ج ٨ ص ٣٣٦ .

(٥٦) المرجع السابق: ج ٨ ص ٣٣٨ .

(٥٧) المرجع السابق: ج ٨ ص ٣٣٩ .

(٥٨) ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٣٣٩-٤٤٠ .

- ابن الجوزي: المنتظم ج ١٠ ص ٢٩ .

بعرش سلاجقة العراق، ثم وقعت بين الطرفين معارك تبادلاً فيها النصر والهزيمة^(٥٩).

في عام ٥٢٧هـ/١١٣٢م كان في العالم السلجوقي ثلاثة سلاطين، السلطان سنجر وهو رأس السلاجقة وكبيرهم، والسلطان طغرل الذي أجلسه عمه السلطان على عرش السلطنة وخطب له بذلك، والسلطان مسعود الذي نافس طغرل فيها وخطب له الخليفة بها، ان هذه الحالة بالطبع تؤدي الى حروب ومنازعات شديدة، وتعمل على تحطيم قوى السلاجقة وتبعضهم عن وحدة الصف عن الانصراف الى الاعمال الحضارية.

وحتى تجدد القتال بين السلطان طغرل والسلطان مسعود عام ٥٢٨هـ/١١٣٣م واستولى طغرل على الجبل كما تمكن من اجلاء جيوش اخيه مسعود، واتجه طغرل نحو قزوين، ولما هم مسعود لمواجهة وجد انقساماً في صفوف امرائه وكان هناك بعض منهم من استماله طغرل ، وبقي مسعود في قلعة من العسكر، فولى منهزماً وأرسل الى الخليفة المسترشد يستأذنه لدخول بغداد فأذن له، وكان نائبه بأصفهان البقش السلاحي ومعه الملك سلجوقشاه، فلما سمع بهروب مسعود، قصد هو الآخر بغداد، بينما اقام السلطان طغرل بهمدان^(٦٠).

(٥٩) الراوندي: راحة الصدور ص ٣٠٦ .

ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٣٤٥ .

(٦٠) ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٢٤٣ .

أخذ الخليفة المسترشد بالله يحث ويشجع السلطان مسعوداً على منازعة أخيه طغرل وصار يمنيّه ويؤمله ان يسير معه بنفسه، ولكن نفرة وقعت بين الخليفة والسلطان مسعود بسبب اطلاع الخليفة على رسائل من طغرل الى الامراء السلاجقة يمنيهم بالاقطاع ان وقفوا الى جاتبه، فقبض الخليفة على أحد الامراء المدعو (غلبك) ونهب ماله، فاستشعر غيره من الامراء الذين مع الخليفة فهربوا الى عسكر السلطان مسعود فأرسل الخليفة اليه اعادتهم، فلم يفعل^(١١)، وكان هذا عاملاً من عوامل النفرة بين السلطان والخليفة وانهاء العلاقات الحسنة بينهما .

وفي سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٤م توفي السلطان طغرل بن السلطان محمد، ولما بلغ النبا مسعوداً، خرج الى همدان واستولى عليها وأصبح بذلك سلطان السلاجقة بلا منازع وقد آلت اليه سلطنة العراق وكردستان واذربيجان في عام ٥٢٩هـ^(١٢) .

كانت العلاقات قد ساءت بين الخليفة المسترشد والسلطان مسعود السلجوقي، ومما زاد هذه العلاقات سوءاً، أن بعض الامراء من جيش مسعود التحقوا بالخليفة وطلبوا منه الامان خوفاً من غدر مسعود بهم، وقد حسن هؤلاء الامراء، للخليفة الخروج بجيش لمحاربة مسعود، فافتنع

(١١) المنتظم: ج ١٠ ص ٣٦ .

- ابن الاثير: ج ٨ ص ٣٤٥ .

(١٢) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٠ ص ٥٣ .

- ابن الاثير : ج ٨ ص ٣٤٥ .

- ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي ص ٣٩ .

الخلافة بتلك الفكرة، وتجهز للحرب وسار معه الامراء السلاجقة الذين كانوا قد هربوا من جيش مسعود، دخل الخلافة ايران، وكان مسعود قد وصلته الاخبار بقدوم جيش الخلافة فاستعد لِمنازلته، وقد وقعت الحرب في دايمرج في طريق همدان من حلوان، وقتل الخلافة قتالاً شديداً، ولكن انهزام جند الخلافة كان سبباً في وقوعه اسيراً في يد مسعود^(٦٣)، وبعد هذا جمع مسعود جيوشه لمحاربة الملك داود الذي كان من المؤيدين للخلافة المسترشد، وكانت انباء أسر الخلافة قد تواترت الى بغداد فخرج اهلها يتظاهرون ضد السلطة السلجوقية^(٦٤)، وكان حدثاً مهماً في العالم الاسلامي ارتاعت له النفوس، حتى ان سنجر سلطان السلاجقة الكبير رأى من الواجب على مسعود ان يعيد الخلافة معززا مكرماً الى عاصمة ملكه وكان يستحثه على ذلك ، وكتب اليه رسالة جاء فيها: "ساعة وقوف الولد غياث الدنيا والدين يعني (مسعود) على هذا المكتوب يدخل على أمير المؤمنين ويقبل الارض بين يديه ويسأله العفو والصفح، ويتصل غاية التنصل ، فقد ظهر عندنا من الآيات السماوية والارضية ما لا طاقة لنا بسماع مثلها فضلاً عن المشاهدة من العواصف والبروق والزلازل، ودام تلك عشرين يوماً، ولقد خفت على نفسي من جانب الله وظهور آياته وامتناع الناس عن

(٦٣) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٠ ص ٤١-٤٥ .

- ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٣٤٧- ٢٤٨ .

- آل سلجوق: ص ١٦٢ .

(٦٤) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٠ ص ٤٦ .

- ابن الاثير : ج ٨ ص ٣٤٨ .

- السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٨٧ .

- آل سلجوق : ص ١٦٣ .

الصلاة في الجوامع ومنع الخطباء ما لا طاقة لي بحمله ، فالله الله تتلافى أمرك وتعيد أمير المؤمنين الى مقر عزه"^(١٥) ، وقد نزل مسعود عند رغبة السلطان سنجر وطلب الصلح مع الخليفة شريطة ان يعوض الخليفة السلطان بالمال ويتعهد بعدم جمع الجيوش وان لا يخرج من داره^(١٦). وهذه الظاهرة تدل على استمرار نفوذ سنجر وقوته، اذ لا زال السلطان سنجر هو صاحب الكلمة النافذة في العالم السلجوقي، وان السلاطين السلاجقة في العراق ملزمون بدفع الجزية للسلطان سنجر ومنهم مسعود نفسه^(١٧). ولكن الخليفة المسترشد الذي نصبت له خيمة منفردة عن عسكر مسعود . هجم عليه جماعة من الاسماعيلية فقتلوه^(١٨)، ويعتقد بعض المؤرخين ان مسعوداً هو الذي دبر ذلك وأوعز بقتل الخليفة^(١٩).

(١٥) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٠ ص ٤٧ .

- السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٨٧ .

(١٦) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٣٤٨ .

(١٧) Brown: Account of a Rare Manuscript History of seljugs vi, pp. 20-21 .

(١٨) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ ص ٤٣٩ .

- الراوندي: راحة الصدور ص ٣٣٠ .

- البنداري: زبدة النصرة ص ١٧٨ .

- ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٣٤٨ .

(١٩) حية : النبراس في تاريخ بني العباس ص ١٥١ .

- السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٨٧ .

- ابن الطقطقي: الفخري ص ٢٢٣ .

بعد مقتل الخليفة المسترشد بالله، بويع الراشد بالخلافة^(٧٠)، وظهر السلطان مسعود للخليفة الجديد الطاعة، ولكن بدأت التحرشات من جانب السلطان مسعود، فأرسل في سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٦م، الأمير برتقش الزكوي من عند السلطان مسعود يطالب الخليفة بما كان قد استقر على المسترشد من المال ومقداره اربعة مئة ألف دينار، فأجاب الخليفة انه لا يملك شيئاً وان المال جميعه كان مع المسترشد بالله فنهب^(٧١)، ووقف الخليفة موقفاً صلباً ازاء هذا المطلب، ولما حاول السلاجقة اخضاع الخليفة بالقوة، استعد لهم الراشد، وواجههم بقوة كبيرة أدت الى انسحاب عساكر برتقش الى البنديجين كما انحدر زميله "بك أبه" الى واسط ، ونهبت العامة دار السلطان^(٧٢).

وقامت مشكلة جديدة بوجه مسعود، فقد تحالف ضده كثير من الامراء والملوك مع الخليفة العباسي، امثال الملك داود بن السلطان محمود وعماد الدين زنكي صاحب الموصل وبرتقش بازدار صاحب قزوین والبقش الكبير

(٧٠) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ ص ٥٠ .

- ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٣٤٩ .

- ابن الطقطقي: الفخري ص ٢٢٦ .

- دحية : النبراس ص ١٥١ .

(٧١) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٣٥٢ .

(٧٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ ص ٥٤-٥٥ .

- ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٣٥٢ .

صاحب اصبهان وصدقة بن دبيس صاحب الحلة وغيرهم^(٧٣). وفي بغداد، قطعت خطبة السلطان مسعود وخطب للملك داود، ووصلت الاخبار بقدوم السلطان مسعود بجيش لقتال المتحالفين فاستعد هؤلاء وكان الخليفة الراشد يشجعهم ويقوي من عزائمهم، وحاصر مسعود مدينة بغداد من الجانب الشرقي، وأخذت أعمال الفوضى تعمل على تقويض وحدة الصف وتضعف جبهة الخليفة، فقد أخذ العيارون يهاجمون الدور والمحلات، ورجع الملك داود الى بلاده وتفرق باقي الامراء، عندئذ عبر الخليفة الى الجانب الغربي، وسار مع عماد الدين زنكي يريد الموصل، ودخل مسعود بغداد وجمع العلماء والفقهاء والقضاة والاعيان، وحملهم على أن يشهدوا بظلم الراشد ونهب الاموال وسفك الدماء بل وشرب الخمر، فأفتوا : انه يحق للسلطان خلع الخليفة واستبداله بغيره، فخلع الخليفة الراشد، وولى مكانه المقتفي لامر الله سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٥م^(٧٤)، أما الخليفة الراشد فانه لم يقم طويلاً في الموصل بل سار الى أصفهان، فوثب عليه هناك جماعة من الباطنية فقتلوه على باب أصفهان وذلك سنة ٥٣٢هـ / ١١٥٧م^(٧٥).

(٧٣) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٣٥٢ .

(٧٤) المنتظم : ج ١٠ ص ٦٠-٦١ .

- ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٣٥٤، وتاريخ الدولة الاتابية ص ٩٢-٩٦ .

- الحموي : التاريخ المنصورى ٧٩ ب مخطوط .

(٧٥) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ ص ٦٢ و ص ٧٦-٧٧ .

- ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٣٦٢ .

- ابن الطقطقي : الفخري ص ٢٢٧ .

واستمرت القلاقل والاضطرابات والحروب في عهد السلطان مسعود فقد اتفق بوزابة صاحب فارس وخوزستان، والامير عباس صاحب الري، والملك محمد بن السلطان محمود والملك سليمان شاه، اتفقوا على الخروج عن طاعة السلطان مسعود، فصار السلطان مسعود لمواجهةهم ومعه الامير (عبد الرحمن طغايرك)، وكاد جيشه أن يتلاحم مع جيش (بوزابة) وحلفائه، فلحق سليمان شاه بأخيه مسعود وشرع عبد الرحمن في تقرير الصلح بين الطرفين المتنافسين^(٧٦)، وعين السلطان مسعود بعد ذلك الامير عبد الرحمن حاجباً ثم أسند اليه ولاية كنجة واران^(٧٧). وفي سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٥م استولى علي بن دبيس على الحلة، وصار يكثر فيها الفساد، فاقطع السلطان مسعود، الحلة، سلاركرد فصار اليها من همذان ونجح في استردادها من علي بن دبيس ، ولكن عليا سار الى واسط واتفق مع شحنتها الطرناوي وقصدوا الحلة فاسترجعوها من سلاركرد ورجع الاخير الى بغداد^(٧٨). وفي سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨م حدثت مشكلة أخرى هددت السلطان (مسعود)، فقد خرج عليه جماعة من الامراء السلاجقة مثل "ايلدكز المسعودي" صاحب كنجة وارانبة و "البقش كون خر" و "تتر الحاجب" و "طرناوي المحموري" شحنة واسط وغيرهم من الامراء الكبار وكان سبب ذلك ميل السلطان

(٧٦) ابن الاثير : الكامل ج ٩ ص ١٠ .

(٧٧) الراوندي : راحة الصدور ص ٣٤١ .

- البنداري: زبدة النصرة ص ٢١٥ .

(٧٨) ابن الاثير : الكامل ج ٩ ص ١٧ .

مسعود الى "خاص بك" واطراحه لهم، ففارقوه وساروا نحو العراق ولما وصلوا بغداد انهزم مسعود بن بلال شحنة بغداد الى تكريت، ووقع قتال شديد بين عساكر الامراء وعامة بغداد، فقتل من العامة خلق كثير، وتدخل الخليفة في ايقاف هذه المعارك، وتمكن من اقتناع الامراء بالرجوع فرحلوا الى النهروان فنهبوها وأفسدوا فيها، ومن الجدير بالذكر ان سنجر عم السلطان مسعود، كان قد أرسل الى مسعود يطلب منه ابعاد "خاص بك" وهدده ان لم يفعل ان يقصده ويزيله عن السلطنة فلما تماهل مسعود وأخذ في المغالطة، سار السلطان سنجر الى الري فلما علم السلطان مسعود بوصوله سار اليه وترضاه واستنزله عما في نفسه وكان ذلك سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م^(٧٩).

ان الاحوال العامة في بغداد والعراق كانت سيئة خلال حكم مسعود السلجوقي، فكثيراً ما عم الغلاء والقحط البلاد، وأهمل السلاطين أمور الري، ونشط العيارون فقاموا بنهب الاموال وكثر شرهم وتعدت ثوراتهم في سنة ٥٣٠هـ/١١٣٥م^(٨٠)، وفي سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م عظم أمر العيار، ابن بكران وكثر اتباعه ببغداد والعراق، وصار يركب ظاهراً في جمع من المفسدين، وخافه الشريف ابو الكرم الوالي ببغداد، فأمر أبا القاسم ابن أخيه حامي باب الازج ان يشتد اليه ويلبس سراويل فتوة منه ليأمن شره، وأراد هذا العيار ان يضرب السكة باسمه في الانبار ولكن الوالي دبر حيلة

(٧٩) المرجع السابق ج ٩ ص ٢٥ .

(٨٠) المرجع السابق: ج ٨ ص ٣٥٥ .

وتخلص منه^(٨١)، ولعل من أخطر ما وصلت اليه سوء الاحوال، ان العيارون ازداد أمرهم وتفاقم شرهم سنة ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م ذلك انهم أمنوا من ملاحقة السلطة بسبب تعاون ابن الوزير وابن قاورت أخي زوجة السلطان معهم^(٨٢). غير أن السلطان أمر بمعاقة ابن الوزير وابن قاورت، فهرب ابن الوزير وقبض الشحنة على ابن قاورت وصلبه^(٨٣).

هذه صورة للحياة التي تعيشها بغداد والعراق في عصر مسعود واستمرت القلاقل والاضطرابات، والسلطان يدافع بكل ما اوتي من قوة لدرء الشر حتى وافته المنية عام ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م في همذان حيث دفن في مدرسة (سربيزة)^(٨٤). وبوفاة مسعود فقدت سلطنة السلاجقة في العراق شخصية قوية كانت على جانب كبير من الحيوية والنشاط وفي موته يقول ابن الاثير : ومات معه سعادة البيت السلجوقي فلم يبق له بعد راية يعتمد بها ولا يلتفت اليها^(٨٥). واخذت الفتن والاضطرابات تلعب دورها في اضعاف كيان الدولة السلجوقية^(٨٦).

(٨١) ابن الاثير: ج ٨ ص ٣٦٢ .

(٨٢) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٠ ص ١٠٥ .

- ابن الاثير: ج ٩ ص ٧ .

(٨٣) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٠ ص ١٠٥ .

(٨٤) الراوندي: راحة الصدور ص ٣٥٤ .

- اليزدي : العراضة في الحكاية السلجوقية ص ١٢٨ يذكر انه دفن في مدرسة جمال الدولة في همذان .

- ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٣١ .

(٨٥) ابن الاثير : ج ٩ ص ٣١ .

(٨٦) الكرمانلي : العقد الاعلى ص ٧ .

بعد وفاة مسعود، أخذ الاتابكة والامراء يلعبون على المسرح السياسي وكان من أقوى أولئك الامراء، (خاص بك)، الذي سيطر على زمام الامور وصار يضع السلاطين كيف شاء وقد خطب لملكشاه بن السلطان محمود بناء على وصية السلطان مسعود، ولكن ملكشاه كان منصرفاً الى اللهو والشراب ومعاشرة النساء^(٨٧)، فعزله (خاص بك) وأجلس على عرش السلاجقة محمد بن السلطان محمود أخي ملكشاه^(٨٨)، ولكن هذا دير مؤامرة تخلص فيها من خاص بك، وكان بعمله هذا قد فقد ثقة الامراء الذي ثاروا ضده وحاولوا عزله عن العرش^(٨٩).

وانتهز الخليفة المقتفي الفرصة فرفع اسم محمد من الخطبة وكان هذا سبباً في قيام النزاع بين محمد والخليفة عام ٥٥١هـ/ ١١٥٦م، كما فكر الخليفة المقتفي أن يستميل أحد أفراد البيت السلجوقي وهو سليمان شاه بن محمد، فادخله بغداد وأخذ عليه العهد والميثاق بطاعة الخليفة وخطب له ببغداد ولقب بألقاب أبيه غياث الدنيا والدين وجهزه الخليفة بثلاثة الاف فارس^(٩٠)، وتوجه سليمان شاه الى بلاد الجبل لمحاربة السلطان محمد، الا أن سليمان شاه خسر المعركة وهرب الى (مازندران) وسار من هناك الى

(٨٧) الراوندي: راحة الصدور ص ٣٥٩ .

(٨٨) البنداري: آل سلجوق ص ٢٢٨ .

- خواندمير : حبيب السير ص ١٠٨ .

(٨٩) البنداري: ص ٢٢٨ .

- خواندمير : حبيب السير ص ١٠٨ .

(٩٠) ابن الاثير: الكامل ج ٩ ص ٤٨ .

خرسان^(١١)، وكتب السلطان محمد الى الخليفة يطلب أن يخطب له ببغداد والعراق فامتنع الخليفة عن ذلك فاتجه محمد الى بغداد وحاصرها، ولكن وقوع فتنة في همدان جعلت السلطان محمد يترك بغداد وحصارها ويرجع الى همدان وزال الخطر عن بغداد عندما وردت الانباء تفيد أن السلطان قد توفي سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م^(١٢).

اختلف الامراء السلاجقة فيمن يخلفه في السلطنة، وكان بعض الامراء يرغب في تولية أخيه ملكشاه، وبعض اخر يميل الى تولية عمه سليمان شاه، بينما راح فريق ثالث يفكر في تولية ارسلان بن طغرل^(١٣). وقد استولى ملكشاه على أصفهان وتركز فيها ولكنه لم يتمكن من الحصول على تأييد الجيش في همدان، بينما كانت الخطبة ببغداد تقرأ باسم سليمان شاه، وهدد ملكشاه، الخليفة انه سيتوجه الى بغداد ان لم تتم الخطبة بأسمه، ولكن العنية عاجلته اذ دس له أعداؤه السم فمات سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م، وقرنت الخطبة في أصفهان باسم سليمان شاه، الا ان سليمان شاه كان على ما يبدو من سيرته ميالاً الى اللهو، فدبرت ضده مؤامرة وقبض عليه في

(١١) الراوندي: راحة الصدور ص ٣٨١.

(١٢) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٠ ص ١٩١.

البنداري: زبدة النصرة ص ٢٨٧.

ابن الاثير: الكامل ج ٩ ص ٦٦.

(١٣) ابن الاثير: الكامل ج ٩ ص ٦٧.

هذان سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠ وسجن في قلعة علاء الدولة^(٩٤)، ثم مات مسموماً سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦١ م^(٩٥).

ازاء تلك الحالة المضطربة استدعى الامراء أرسلان شاه بن طغرل وخطبوا له، ولكننا أصبحنا نلاحظ ازدياد نفوذ ايلدكز الذي كان حاكماً على أران، وكان أرسلان محتماً في أمارته، وبذا أصبح هو المتصرف في شؤون الامور^(٩٦)، كما أصبح من أعظم الشخصيات التي سيطرت على العراق وكردستان واذربيجان، وكانت السلطة الفعلية له، بينما لم تكن للسلطان أرسلان سوى الخطبة وذكر اسمه على السكة، ومات ايلدكز سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م وتوفي السلطان أرسلان سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م ومن الملاحظ أن الخليفة العباسي لم يوافق على أن يخطب لأرسلان شاه، وان ايلدكز أرسل الى الخليفة سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م يطلب الخطبة لأرسلان شاه وان تعاد القواعد الى ما كانت عليه أيام السلطان مسعود فأهين رسوله وأعيد اليه على أقبح حالة^(٩٧).

وتولى عرش السلاجقة "طغرل بن أرسلان شاه" وكان طفلاً في السابعة من عمره، وهذا السلطان هو آخر سلاطين السلاجقة في العراق، وكان خليفة العباسيين في هذا العصر هو الناصر لدين الله أقوى الشخصيات التي

(٩٤) الراوندي: راحة الصدور ص ٣٩٩ .

(٩٥) ابن الاثير: الكامل ج ٩ ص ٨١

- البنداري: زبدة النصرة ص ٢٩٦ .

(٩٦) حمد الله المستوفى: تاريخ كزيدة ص ٤٧٠ .

(٩٧) ابن الاثير: الكامل ج ٩ ص ٧٣ .

تولت الخلافة في عصورها المتأخرة، وقد قامت حروب بين الخليفة وطرغل، كما بدت في الجو المحاولات من جوانب مختلفة تريد الاطاحة بنظام طغرل، كما وقع طغرل أسيراً في أيدي منافسيه وخصومه وعلى رأسهم قزل ارسلان الذي سجن السلطان في قلعة بأذربيجان^(٩٨). وسيطر قزل ارسلان على السلطنة وتزوج بالخاتون زوجة أبيه جهان بهلوان، وعلن نفسه سلطاناً سنة ٥٨٧هـ/١١٩١، الا ان هذا لم يتمتع بمنصب السلطنة طويلاً اذ ظهر من يحقد عليه وينافسه السلطة والنفوذ، وكان على ما يبدو سيء السريرة وكان منصرفاً عن زوجته التي تأمرت عليه واغتالوه في فراشه^(٩٩) ونشبت بعد ذلك المنازعات والمشاحنات بين الامراء السلاجقة واعتمد السلطان طغرل الفرصة فهرب من سجنه وتعاون مع الامراء السلاجقة، وانتصر على ابن عمه قتلغ عند قزوين وتوجه الى همدان وجلس من جديد على العرش^(١٠٠). وفي سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م جرت اتصالات بين الخليفة الناصر لدين الله، وجهة أخرى غير سلجوقية، هي الدولة الخوارزمية ليقضي بمعونتها على السلاجقة وأظهر الخليفة في

(٩٨) ابن الاثير : الكامل ج ٩ ص ٢١٨ .

حمد الله المستوفي: كزيدة ص ٤٧٥ .

(٩٩) راحة الصدور: ص ٥٠٢ .

ابن الاثير : الكامل ج ٩ ص ٢١٨ .

الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية ص ١٨١ ذكر خبر تأمر زوجة قزل ارسلان عليه .

(١٠٠) راحة الصدور : ص ٥٠٢-٥٠٤ .

ابن الاثير : الكامل ج ٩ ص ٢٣٠ .

رسائله الى خوارزمشاه الشكوى من سوء نيات طغرل الثالث، كما ان الخليفة بين في رسائله انه سيملكه البلاد التي يملكها طغرل، فसार خوارزمشاه من نيسابور الى الري، والتقى بعسكر السلطان طغرل بالقرب منها، فحمل طغرل بنفسه في وسط المعركة وتغلغل في صفوف جيش خورزمشاه فأحاط به العساكر الخورزمية وقتلوه^(١٠١)، وحملوا رأسه الى (خوارزمشاه) فسيره من يومه الى بغداد فنصب بها بيباب النوبى عدة أيام^(١٠٢) وبذلك تخلص الخليفة من آخر مظهر من مظاهر الحكم السلجوقي وأعلنت الخلافة استقلالها التام من النفوذ والتحكم السلجوقي.

كانت تلك هي نهاية حكم السلاجقة للعراق، نهاية لا بد منها لما حملت هذه الدولة في مسيرتها التاريخية من المشاكل والاحداث، ولعل الخصومات والمنازعات بين افراد البيت السلجوقي كانت العامل الاول والرئيس ، في تفتيت الوحدة السلجوقية وان البناء الشامخ الذي جاهد من اجل بنائه وتشبيده السلاطين العظام، طغرل بك والاب أرسلان وملكشاه، أخذ يتداعى من بعدهم، وكانت الدولة قد بلغت حداً واسعاً، وامتدت رقعتها من حدود الصين شرقاً الى جورجيا والاراضي المجاورة لمدينة القسطنطينية غرباً، كما شملت بيت المقدس وبلاد العرب^(١٠٣) .

(١٠١) الراوندي : راحة الصدور ص ٥١٤ .

ابن الاثير : ج ٩ ص ٢٣٠ .

الحسيني: اخبار الدولة السلجوقية ص ١٧٢-١٧٣ .

(١٠٢) ابن الاثير : الكامل ج ٩ ص ٢٣٠ .

(١٠٣) Gibbon: The decline and fall of the Roman Empire, vol. P.45-47 .

ان هذه الامبراطورية الواسعة صارت تتداعى كما قلنا بسبب الانقسامات الكبيرة بين زعماء السلاجقة، فقد قام نزاع داخلي شديد بين أبناء ملكشاه واحفاده لذلك انصرف السلاطين وامراء الدولة كما لاحظنا عن أمور المملكة ومصالحها، وأخذ كل واحد يعمل جهده من أجل الابقاء على نفوذه وسلطانه، بل أخذ بعض منهم يحاول اضعاف زميله في سبيل السيطرة على أملاكه، وهذا بالطبع أدى الى فرقة الصفوف، ومن ثم الى ايجاد امارات (أنا بيكات) عديدة، ولعلنا نصيب الحقيقة عندما نضع بداية الانقسام عقب وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، فان ملكشاه خلف أربعة أولاد صغار أكبرهم بركيارق وكان في الثانية عشرة من عمره ثم يليه محمد فسنجر فمحمود وبالطبع كان لكل أمير حاشيته ومربوه، أضف الى ذلك ان لكل أمير أمّا هي غير ام الآخر، فكانت أم بركيارق تدعى زبيدة، وكانت ترکان خاتون أمّا لمحمود^(١٠٤)، بينما كان محمد وسنجر من أم واحدة^(١٠٥)، وقد لمسنا كيف جاهدت السيدة ترکان خاتون من أجل ان تكون السلطنة لولدها محمود، في الوقت ذاته كان بركيارق يرى نفسه أحق بالسلطة من محمود، فنشب لذلك نزاع عنيف كانت له نتائج خطيرة أدت بمرور الزمن

^(١٠٤) Browne: Aliterary History of Persia, vol, p. 300.

الكامل : حوادث سنة ٤٨٥ .

راحة الصدور : ص ٢٠٨ .

^(١٠٥) ابن خلکان : وفيات الاعيان ج ٤ ص ١٦٣ اسمها خاتون السفرية : المنتظم ج ٩ ص ٢٢٨ .

الى احدث تصدع كبير في صفوف السلاجقة، كما شجع الامراء الآخرين الى خوض مثل ذلك النزاع.

وكانت الحاشية التي تحيط بالامراء كثيراً ما تشجع على المطالبة بالسلطنة طمعاً منها في الحصول على المناصب العالمية والاقطاعات الواسعة، وقد تبين ذلك واضحاً ما بذلته السيدة ترکان خاتون من الاموال للامراء في سبيل تنصيب ولدها محمود سلطاناً وكان وزيرها، تاج الدين من الذين يؤيدها في ذلك وقدّم لها المساعدات^(١٠٦)، وأرسلت ترکان خاتون الى الخليفة المقتدى، تطلب لابنها السلطنة واقامة الخطبة له على منابر بغداد، ولما اعتذر الخليفة لصغر سن ولدها أكرهته على الموافقة^(١٠٧) وقد نجح بركيارق في منطقة الري في ان يحصل على تأييد عدد كبير من رجالها فنادوا به سلطاناً على البلاد^(١٠٨) وبذلك أصبح في العالم السلجوقي سلطانان، بركيارق ومحمود، وقامت الحرب بين الطرفين المتنافسين انتهت بانتصار بركيارق على أخيه محمود وأسر وزيره تاج الملك النشيرازي وقتله^(١٠٩)، وحاصر بركيارق السيدة ترکان خاتون وجنودها في أصفهان ولما وجدت السيدة شدة الحصار قدمت لبركيارق الاموال لكي يفك الحصار عنها فوافق على ذلك واتجه نحو همدان، ونجح بركيارق أيضاً في استمالة بعض رجالات السيدة ترکان خاتون، وبرغم الجهود التي بذلتها السيدة فان بركيارق قد أصاب نجاحاً كبيراً في احباط الحركة التي قام بها عمه تنش

(١٠٦) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول : ص ٣٣٧ .

(١٠٧) راحة الصلور : ص ٢١٦ .

Browne: Account of a Rare Manuscript History of seljuks, p.35

(١٠٨) راحة الصلور: ص ٢١٧ .

(١٠٩) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٣٣٨ .

الذي كان واليا على دمشق، كما هزم اسماعيل بن ياقوت خاله والذي حرصته تركان خاتون ووعده بالزواج منها لو تمكن من بركيارق وتخلص منه^(١١٠). وفي الرابع عشر من محرم سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م، خطب لبركيارق في بغداد بأمر الخليفة المقتدى ولقب ركن الدين^(١١١).

هذه صورة واحدة من صور المنافسة والخصومة من أجل الوصول الى السلطة، ترينا دور الامهات والامراء والوزراء في الخلافات على السلطنة وكانت هذه الحالة خطيرة تعانيها الدولة السلجوقية بشكل واضح، وهذا ما كان على صعيد السلطنة هناك نزاع آخر نشب على صعيد الامراء، فقد كان هؤلاء الامراء يحاول كل منهم ان يتقدم ويرقى ويتوسع على حساب الآخر، ومنذ ان بدأت الاقطاعات للمقربين بدأ عامل التنافس والطمع يلعب دوره في تفتيت واضعاف الامارات والتي يتكون منها العالم السلجوقي، فالسلطان ملكشاه بن الب ارسلان اقطع الاقليم على من كان يعتمد عليه من السلاجقة، فاقطع أخاه(تنش) مدينة دمشق واعمالها المجاورة كطبرية وبيت المقدس^(١١٢). واقطع آقسنقر مدينة حلب واعمالها فضلاً عن مدن حماة ومنبج واللاذقية^(١١٣)، واقطع اخاه(ارغوان) أعمال فارس وكرمان^(١١٤). وفي سنة ٤٨١هـ / ١٠٨٨م جمع آقسنقر صاحب حلب جنوده وسار نحو قلعة شيزر فحصرها وصاحبها ابن منقذ وضيق عليها ونهب ربضها ثم

(١١٠) الراوندي: راحة الصدور ص .

(١١١) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ١٧٠ .

(١١٢) ابن الاثير : تاريخ الدولة الاتابكية ص ٢٤ .

(١١٣) المرجع السابق : ص ١١-١٨ .

(١١٤) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ١١٣ .

صالحه صاحبها وعاد الى حلب^(١١٥)، بينما طمع تتش في مدينة حلب بعد وفاة ملكشاه سنة ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م وخطب لنفسه بالسلطنة واستولى على نصيبين وقتل عدداً كبيراً من اهلها^(١١٦)، فتجهز له السلطان بركيارق وانضم اليه آقسنقر فانهزمت جيوش تتش ورجع الى الشام، كما رجع آقسنقر بعد فترة الى حلب ولكن تتش صار يتحين الفرص به أي (آقسنقر) وفي سنة ٤٨٧/ ١٠٩٤م تمكن من اغتياله وبذلك استطاع ان يمد نفوذه في بلاد الشام، ثم استمر نزاع آخر بين تتش والسلطان بركيارق كانت نتيجته هزيمة نكراء الحقت بتتش سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م والذي قتل بأيدي أنصار آقسنقر^(١١٧).

هذه صورة أخرى لحالة من حالات التفكك في الدولة السلجوقية حيث نلمس عوامل الهدم واضحة جلية، وان هذا التخاصم والتنازع لم يكن سبباً في اسقاط الدولة السلجوقية أو في اضعافها بل أنه أدى الى أمر أخطر من هذا ، أدى الى اضعاف جبهة المسلمين خاصة في منطقة الشام، مما سهل على الصليبيين أن يتركزوا ويستولوا على كثير من المدن والبلاد.

ان الخلافة في بغداد كانت ضعيفة ولم يكن بمقدور الخليفة العباسي أن يهيمن على الامور أو ان يحد من تصرفات الامراء المتخاصمين او ان يقف على الاقل الى جانب الحق، ولكننا وجدنا الخليفة العباسي يوافق على أن يخطب لكل غاز لبغداد أو الذي يعتقد فيه أنه الاقوى، وهذا بالطبع كان من

(١١٥) المرجع السابق : ج ٨ ص ١٤٨ .

(١١٦) المرجع السابق : ج ٨ ص ١٦٦-١٦٧ .

(١١٧) المرجع السابق: ج ٨ ص ١٧٥-١٧٦ .

العوامل المساعدة على اضعاف السلاجقة ومن المرجح أن بعض الخلفاء بعد أن رأى من الضروري اضعاف العنصر السلجوقي والتخلص منه ومن نفوذه كان يسعى الى ايقاد الفتنة بين السلاطين المتنازعين .

وخلاصة القول ان مملكة السلاجقة بعد وفاة ملكشاه بن الب ارسلان، واجهت مشاكل خطيرة أدت الى انقسامات كبيرة، وانشغل السلاطين والامراء في العصر التالي عصر سلاجقة العراق عن مصالح الدولة التي تثبتت مراكزهم ومخاصمة الواحد منهم للآخر، وأصبحت الدولة نهياً مقسماً على الامراء والاتابكة العديدين وكان الصليبيون قد سيطروا على كثير من ممتلكات السلاجقة ففي زمن محمود بن محمد بن ملكشاه انتزع الصليبيون معظم بلاد الشام من يد الامراء السلاجقة وكونوا فيها الامارات الصليبية الاربعة وهي بيت المقدس وانطاكية وطرابلس والرها، ولم يبق في أيدي المسلمين الا بعض المدن الداخلية كدمشق وحلب^(١١٨)، وظل للسلاجقة مع ذلك سلطان قوي في ايران هو سنجر ولكن نفوذ هذا السلطان زال بوفاته سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م، أما في العراق فقد رأينا سوء الاوضاع وتعدد المشاكل أمام السلاطين وانشغالهم في حروب ومنازعات حتى سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م وهي السنة التي قتل فيها طغرل آخر السلاطين السلجوقيين في العراق^(١١٩) .

^(١١٨) Barker: The Crusades, p. 25

^(١١٩) الراوندي: راحة الصدور ص ٥١٤ .

ابن الاثير : ج ٩ ص ٢٣٠ .

الحسيني: اخبار السلجوقية ص ١٧٢-١٧٣ .

الفصل الرابع

كفاح الخلفاء العباسيين لاسترداد هيبة الخلافة

بدء الحكم السلجوقي - الفرق بين البويهيين والسلجقة. محاولة السلجقة كسب رضا الخليفة. بداية الخلاف بين السلجقة والخليفة العباسي. سياسية السلجقة القضاء على النفوذ البويهي. التقاء الخليفة والسلطان في الهدف. وقوع الخليفة تحت نفوذ السلجقة. لماذا لم يقض السلجقة على الخلافة العباسية. احترام السلجقة للخليفة. مصلحة السلجقة ابقاء الخلافة العباسية. لماذا لم يحاول السلجقة تقوية إيلخافة. التدخل في شؤون الخلافة. موقف الخلافة من تنازع السلجقة. بداية محاولات التخلص من النفوذ السلجوقي. المسترشد بالله العباسي. صفاته. محاولة الخليفة المسترشد ابعاد الخطر عن الخلافة. تمسك الخليفة المسترشد بأهداب الدين. محاربة الخليفة لدبيس بن صدقة. استعداد المسترشد للطوارئ. استغلال الخليفة لخلافات السلجقة. الحرب بين الخليفة المسترشد ومسعود. استشهاد الخليفة المسترشد. مخالفة الراشد لأمرء السلجقة ضد مسعود. تشويه سمعة الخليفة الراشد. مقتل الخليفة الراشد. خلافة المقتفي. محاولة الأمرء السيطرة على املاك السلطان. موقف المقتفي من السلجقة. زيادة المكس وغلاء الاسعار. المقتفي يعمل

على تقوية الخلافة. ضعف مسعود. ازدياد قوة الخليفة العباسي. الخليفة العباسي يغتنم وفاة مسعود فيسعى الى تقوية مركز الخلافة. سيطرة الخليفة على اقطاعات السلاجقة سيطرة الخلافة على تكريت. استمرار النزاع بين الخلافة والسلطنة. حصار السلطان محمد لبغداد. وفاة المقتفي وخلافة المستنجد. الخليفة يطارد السلاجقة. علو مكانة الخلافة وازدياد نفوذها. توفر الامن وندرة الاضطرابات. وفاة المستنجد. سيطرة صلاح الدين الايوبي على الامور بمصر. وفاة ايلدكز. خلافة الناصر لدين الله. الناصر يستغل النزاع بين السلاجقة. جيش الخليفة يدخل همدان. السلطان طغرل يتوسل ويلتمس العفو من الخليفة. مقتل طغرل الثالث. الخليفة الناصر يحيي الفتوة ويتخذها نظاماً رسمياً. اصل الفتوة. مبادئ الفتيان. نتائج التنظيمات التي قام بها الناصر لدين الله.

دخل السلطان طغرل بك العراق عن طريق مدينة حلوان، وانتشر السلاجقة في طريق خراسان المؤدي الى بغداد، وتقدم الخليفة الى الخطباء بالخطبة لطرغل بك بجوامع بغداد، فخطب له يوم الجمعة لثمان بقين من رمضان سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م، وأرسل طغرل بك يستأذن الخليفة في دخول بغداد، فأذن له فوصل الى النهروان، وخرج الوزير في موكب عظيم من القضاة والنقباء والاشراف والشهود والخدم وأعيان الدولة وصحبه أعيان الأمراء من عسكر الرحيم، فلما علم طغرل بك بحركتهم أرسل الى طريقهم أمراء أهل بيته ووزيره أبا نصر الكندري فلما وصل رئيس الرؤساء وزير الخليفة الى السلطان أبلغه رسالة الخليفة، واستحلفه للخليفة وللملك الرحيم وأمراء الاجناد، وسار طغرل بك ودخل بغداد يوم الاثنين لخمس بقين من رمضان^(١).

وقد استقبل طغرل بك استقبالاً رائعاً شهده كبار رجال الدولة وأعيانها، كما كرمه الخليفة المغلوب على أمره، أعظم تكريم اذ أمر أن يذكر اسمه في خطبة الجمعة قبل دخوله بغداد كما ذكرنا سابقاً، ولقبه ركن الدولة طغرل بك واعترف الخليفة به سلطاناً على جميع المناطق التي تحت يديه^(٢).

وبدخول السلطان طغرل بك بغداد بدأ النفوذ السلجوقي يسود العراق، ومن المرجح أن السياسة التي اتبعها السلاطين السلاجقة في حكمهم للعراق

(١) المنتظم ج ٨ ص ١٦٤

ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٧١

الفخري: ص ٢١٥

(٢) راحة الصدور ص ١٧٠

لا تختلف في شيء عن سياسة حكمهم للبلاد الاخرى، سوى أنهم كانوا يجدون في الخليفة العباسي المقام الروحي والذي يستمد منه السلاطين والملوك السلاجقة أحقيتهم وشرعيتهم في الولاية والحكم، فالسلاجقة وأن غادر سلاطينهم بغداد ولم يتخذوها مقر حكم، وتركوا حاكماً من قبلهم فسي العراق يعرف (العميد) كما عينوا مسؤولاً آخر عن النظام والأمن في بغداد يعرف (الشحنة) ووضعوا عساكر كثيرة تحت تصرف هذين المسؤولين، وسيطروا على العراق سيطرة تامة وتصرفوا في أمواله وخيراته تصرف الفاتح المحتل، وقد بدت هذه السيطرة واضحة وجليّة بعد انتهاء — طغرل بك من القضاء على فتنة البساسيري، فقد سيطر على العراق سيطرة تامة، كما استسلم الخليفة لارادة السلطان وترك له كل شيء ووافق ان يجري عليه ارزاقه ويرتب له ما يكفي لسد جميع نفقاته^(٢).

ومما لا شك فيه ان السلاجقة قوم كان همهم السيطرة والتوسع وبناء كيان سلجوقي كبير، وكانوا يطمعون في كسب رضا الخليفة العباسي ليحصلوا على اعترافه بشرعية حكمهم وهم يعلمون حق العلم ان الخلافة العباسية تعاني الضعف وتشكو الكثير من الازمات السياسية والاقتصادية والعسكرية ولكن السلاجقة حبذوا ابقاء الخلافة العباسية وتقويتها واسنادها وابعاد كل خطر يهددها وازهار الولاء والطاعة لمقامها.

والسلاجقة بطبيعتهم تغلب عليهم حياة البداوة، وانهم لم يألفوا في اول تكوينهم لمجتمع الدولة على حياة المدن، بل كانوا يعيشون حياة فيها ميل للتنقل والتجول طلباً للرزق وانتجاعاً لمواطن الكلا، فأصول الحياة البدوية متأصلة في اعماق نفوسهم وهذا بالطبع سيؤثر في توجيههم وسلوكهم

(٢) تاريخ كزيدة ص ٤٣٨.

لسياسة الدولة التي شيدوها، كما سيؤثر في مستقبلها كما رأينا، واعتمدوا في اول تكوينهم على القبائل التركية في الجيش والغزوات وربما ان معظم السلاجقة كانوا غير مثقفين واعتمدوا على العناصر المثقفة خاصة تلك التي كانت في ايران امثال ابي نصر الكندري^(٤) ونظام الملك^(٥) وغيرهما من الشخصيات الفارسية المثقفة والتي تولت الوزارة والحجابه والكتابة وغيرها من الوظائف السامية في الادارة السلجوقية.

ان طبيعة السلاجقة البدوية صبغتهم بالصبغة العسكرية، فالدولة السلجوقية في اول سني تأسيسها كان طابعها واتجاهها عسكرياً محضاً وذلك بسبب اصلاتها البدوية وتربيتها الخشنة وجوارها لجماعات قوية كثيراً ما تحاول القضاء عليهم واستئصالهم، كما ان كثرة اعدادهم وضيق مراعيهم وقلة مواردهم، كانت عوامل تجعلهم قوة خطيرة اذا اتحدوا وظهر فيهم زعيم قوي قادر على توجيههم.

وتبدو فكرة الوطن عند السلاجقة، فكرة عامة، وبما انهم وقد اعتنقوا الدين الاسلامي الحنيف على وفق المذهب الحنفي، فهم يرون كما ارجح ان العالم الاسلامي هو الوطن، ولكونهم جماعات بدوية في الاصل تنتقل من مكان الى آخر، فاتهم يفضلون الاستقرار في المناطق الاكثر خصوبة ذات المياه الوفيرة والخيرات الطيبة. وقد استهدفوا فضلاً عن ذلك تكوين دولة

(٤) من قرية كندر القريبة من قزوین في ایران - راجع المنتظم ج ٨ ص ٢٣٩

اللباب: لابن الاثير الجزري

(٥) من قرية: نوقان بالقرب من طوس

ابن خلكان: ج ١ ص ١٨٠

تشمل العالم الاسلامي معترف بها من قبل الخليفة العباسي، واضعاف جميع القوى المناهضة لدولتهم.

وظهرت في بداية دخول السلاجقة الى بغداد بادرة اول الخلاف ولعل تلك البادرة ستكون رأساً او اساساً الى ما سنلمس من المشاكل والخلافات بين السلاجقة والعباسيين وقتلنا فيما سبق ان الوزير خرج في موكب عظيم من القضاة والنقباء والاشراف والشهود واعيان الدولة لمقابلة السلطان طغرلبيك وابلاغه رسالة الخليفة، كما ان الوزير استحلف السلطان طغرلبيك للخليفة وللملك الرحيم وامراء الاجناد. ولكن طغرلبيك عندما دخل بغدادلقى القبض على الملك الرحيم، وحدثت ايضاً في بغداد حوادث واضطرابات ونهبت بعض المحال العامة، ذلك ادى الى غضب الخليفة واستيائه من الحالة الجديدة، اذ يبدو ان الخليفة كان يتوقع عكس ما حدث وما جرى لذا نراه يكتب الى السلطان طغرلبيك رسالة ينكر فيها ما حدث للملك الرحيم واصحابه ونهب بغداد، ويقول الخليفة في رسالته: انهم أي الملك الرحيم واصحابه، انما خرجوا اليك بأمرى وأمانى فان اطلقتهم والا فأتنا افارق بغداد، فاني انما اخترتك واستدعيتك اعتقاداً منى ان تعظيم الاوامر الشريفة تزداد وحرمة الحريم^(٦) تعظم وأرى الأمر بالضد^(٧).

(٦) كان الغز يهاجمون المدن ويكثرون النهب والاعتداء، فذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٤٤٦ هـ

الغز هاجموا مدينة الدسكرة ونهبوها واعتدوا على النساء بالضرب - الكامل ج٨ ص ٦٨.

(٧) ابن الاثير: الكامل ج٨ ص ٧٢

هذه هي البادرة الاولى في بداية الخلاف أو أنها بداية الشك في صدق نية السلاجقة الفاتحين، أقول الفاتحين لأنني أرجح أنهم كانوا يعتقدون هذا بدليل أنهم أرسلوا الى الخليفة بعد استيلائهم على كثير من المدن الايرانية رسالة جاء فيها "وشكرا لله على ما افاء علينا من فتح ونصر"^(٨) وأنهم وإن أظهروا الطاعة والولاء للخليفة العباسي، وأنهم جاءوا لانتقاد الخلافة من حكم البويهيين، ومعظمهم في بغداد كانوا ضد السلاجقة وقد قامت اضطرابات شديدة من قبل الشعب تظهر المقاومة^(٩) اما الوجه (البشرعي) للفتح السلجوقي فمتوفر، ذلك لأن استيلاء السلاجقة على المناطق في ايران وبلاد ما وراء النهر كان بالقوة ومن حق الخليفة أن يقلد المستولي ويفوضه تدبيرها وسياستها^(١٠)، ويمكن تطبيق ما جاء في الاحكام السلطانية على حالة التنفيذ السلجوقي في العراق، ان المستولي عليه حفظ منصب الامانة في خلافة النبوة وتدبير أمور الملة، وظهور الطاعة الدينية التي يزول معها حكم العناد فيه وينتفي بها اثم المباينة له، وكذلك اجتماع الكلمة على الالفه والتناصر ليكون للمسلمين يد على من سواهم^(١١) - وبالطبع اننا لو امعنا النظر في المشكلة ذاتها وتفحصنا كلمات رسالة الخليفة، لتلمسنا وجود عقليتين متعاكستين، عقلية السلاجقة، وعقلية

^(٨) انراوندي: ص ١٦٧

^(٩) الكامل: حوادث ج ٨، ص ٧١.

نصوريدي: الاحكام: مستطرفة ص ٣٧

نمرجع السابق: ص ٢٨

الخلافة، فالخلافة تنظر الى الامور نظرة العهد والشرف والمجاملة، نظرة الرعاية لحقوق الملك الرحيم البويهى الذي استجد بالخليفة فأنجده وتعهده له بالسلامة والنجاة، والامان، انها نظرة الرحمة والشفقة، بينما كانت نظرة السلطان السلجوقي طغربك نظرة سياسية عسكرية، وهي سياسة القضاء على النفوذ البويهى بأشكاله وصوره المختلفة واستئصال كل منافس للنفوذ السلجوقي، انها نظرة العسكري المنتصر، أي تحطيم مراكز العدو والقضاء عليه، وعدم فسح المجال لأي قوة يحتمل أن تكون مصدراً يقلق التدابير العسكرية، لذا نرى أن طغربك لم يهدأ له قرار ولم يستمع لنصيحة الخليفة، حتى أمر بالقبض على الملك الرحيم وأرسله أسيراً الى الري فألقى في السجن حتى توفي سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م^(١٢)، ومما لاشك فيه، أن البويهيين هم أعداء السلاجقة سياسياً ومذهبياً، فالبويهيون كانوا يقاومون تقدم التوسع السلجوقي في أوائل سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م، فقد سار قائد كبير من الديلم يدعى (فولاذ) واستولى على فيروز آباد وقطع خطبة السلطان طغربك في شيراز وخطب للملك الرحيم^(١٣)، فالقبض على الملك الرحيم من قبل السلطان طغربك أراه أمراً ضرورياً لتوفير الامن وابعاد المشاكل عن الدولة السلجوقية، اذ من الجائر أن يطمح الملك الرحيم الى استعادة نفوذه وأن تتكرر عملية أخرى كالتى قام بها القائد فولاذ.

(١٢) ابن الاثير: حوادث سنة ٤٥٠هـ.

(١٣) ابن الاثير: حوادث سنة ٤٤٧هـ.

كانت الظروف المحيطة بالخليفة العباسي القائم بأمر الله سيئة ومعقدة، فالأخطار تهدد الخلافة وأعظم تلك الاخطار، القائد المتمرد أبو الحارث البساسيري، الذي خرج من بغداد، وتمكن من دخول الموصل بعد انتصاره على أنصار طغرلبيك بالقرب من سنجار في شوال من سنة ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م^(١٤)، وفي الموصل خطب البساسيري للخليفة الفاطمي وكان البساسيري قد بعث كتاباً الى مصر يعن فيها الطاعة والولاء للخليفة الفاطمي وأرسل الخليفة الفاطمي بدوره الخلع من مصر للبساسيري ولنور الدين ديبس بن مزيد ولجابر بن ناشد ولمقبل بن بدران، ابن أخي قریش، ولأبي الفتح بن ورام ونصير بن عمر وأبي الحسن بن عبد الرحيم ومحمد بن حماد، وانضاف اليهم قریش بن بدران^(١٥)، وهذا بالطبع مما يهدد مركز الخليفة ويجعل من هؤلاء مصدر قلق واضطراب للدولة العباسية، وهذا ما دفع بالخليفة العباسي أن يلجأ الى طغرلبيك ويطلب منه القضاء على حركة البساسيري، فسار طغرلبيك الى الموصل وقضى على تلك الحركة وبسط نفوذه على ديار بكر ثم عين أخاه ابراهيم ينال والياً على الموصل والجزيرة، واستقبله الخليفة العباسي استقبلاً رائعاً ولقبه بملك المشرق والمغرب، وقرر له السلطنة على ممالك العراقيين والجبال^(١٦).

(١٤) المرجع السابق: حوادث سنة ٤٤٨هـ.

(١٥) المرجع السابق: حوادث سنة ٤٤٨هـ.

(١٦) الراوندي: ص ١٧٠.

هناك خطر آخر كان يهدد الخلافة العباسية ذلك هو خطر الفاطميين حكام مصر وقتئذ ونحن نعلم أن الفاطميين كانوا يدعون للمذهب الشيعي، بل إن مذهب دولتهم الرسمي هو المذهب الشيعي، وبالطبع فإن الفاطميين كانوا يطمعون بالسيطرة ونشر مذهبهم في العالم الإسلامي عامة، علماً أنهم يعتقدون بأحقيتهم في خلافة وإمامة المسلمين، فالصراع والتنافس المذهبي كما يبدو لي كان قوياً، ظاهراً وخفياً، بين العباسيين السنيين والفاطميين الشيعة، أضف إلى ذلك أن الخلافة العباسية في عصر القائم بأمر الله العباسي كانت في منتهى الضعف من نواحي كثيرة عسكرية واقتصادية وسياسية، وحتى من الناحية الاجتماعية حيث نلمس انقسامات عديدة في المجتمع العباسي كانت تعمل على ضعفه وانهياره، فالمنازعات بين المحال في بغداد كانت شديدة ومستمرة، ففي سنة ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م، في سبيل المثال، جرى بين أهل الكرخ وباب البصرة قتال وفي السنة نفسها وقعت فتنة بين أهل الكرخ والقلابين واحترقت عدة دكاكين^(١٧) وفي سنة ٤٤٥هـ/ ١٠٥٣م، وقعت فتنة بين أهل الكرخ وغيرهم من أهل السنة وذهب ضحيتها الكثير من الأهالي^(١٨). وفي سنة ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م انقطع الماء من الفرات على نهر عيسى انقطاعاً تلف به ما كان من زرع وتغرت الطحون وأدرك الناس بذلك ضرر شديد^(١٩)، كما وقعت فتنة عظيمة في سنة

(١٧) المنتظم: ج ٨ ص ١٥٤.

(١٨) ابن الأثير: حوادث سنة ٤٤٥.

(١٩) المنتظم ج ٨ ص ١٦٠.

٤٤٧هـ/١٠٥٥م، بين الشافعية والحنابلة في بغداد^(٢٠)، حتى ان الشافعية لم يحضروا صلاة الجمعة خوفاً من الحنابلة^(٢١)، وأصاب بغداد الكثير من موجات الغلاء في هذه المرحلة لانعدام الزرع وقلة المياه، بينما كانت الدولة الفاطمية في مصر في أوج قوتها وعظمتها، ففي هذا العصر كان يحكم فيها الخليفة المستنصر بن الخليفة الظاهر، وفي عهد هذا الخليفة امتدت رقعة الدولة الفاطمية من المحيط الاطلنطي غرباً الى نهر الفرات شرقاً واعترف الصليحي الشيعي بسطان المستنصر الفاطمي في اليمن سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م، كما أقيمت الخطبة للمستنصر الفاطمي على منابر بغداد نحواً من سنة على يد البساسيري القائد العباسي^(٢٢).

هذه ظروف أحاطت بعصر الخليفة القائم العباسي، وفي عهده برزت قوة الدولة السلجوقية التي تدين بالمذهب السني وتلاقت هذه الدولة في مقاومتها للمذهب الشيعي مع آمال وأهداف الخليفة العباسي، كما أن الخليفة العباسي وجد في فتوة وقوة هذه الدولة السلجوقية ما يسند ويدعم الخلافة العباسية، لذا نجد هذا الخليفة لا يستمر في غضبه ضد طغربك عندما أمر باعتقال الملك الرحيم واستسلم للأمر الواقع، بل أخذ يتقرب من

(٢٠) ابن الاثير حوادث سنة ٤٤٧هـ.

(٢١) المنتظم: ج ٨ ص ١٦٣.

(٢٢) ابن الاثير حوادث سنة ٤٥٠هـ.

انصليحي: - علي بن محمد بن علي الصليحي رأس الدولة الصليحية في اليمن. كان شافعيًا ثم تشيع بتأثير أحد الدعاة الفاطميين المدعوة عامر بن عبد الله الرواحي. توفي سنة ٤٧٣هـ المستنصر هو معد بن علي.

البيت السلجوقي وتزوج من أرسلان خاتون ابنة داود أخي السلطان طغرل بك^(٢٣).

اذن ان ضعف الخليفة ومركز الخلافة بشكل عام، وقوة السلاجقة الاتراك، عوامل جعلت من الخليفة العباسي شخصاً ضعيفاً امام نفوذ السلجوقيين فان كان الخليفة العباسي يأمل ان يجد الاستقلال والنفوذ والقوة في استنجاهه بالسلاجقة فان ذلك الامل قد خاب، اذ وقع الخليفة تحت وطأة متنفذ جديد له من القوة وعوامل السيطرة ما جعلت الخليفة يفقد هيئته ونفوذه الى امد بعيد، واصبح للسلطان السلجوقي خاصة بعد انتصاره على البساسيري القائد التركي تمام السيطرة على العراق كما اصبح الخليفة يمثل بأمره واطلق يد السلطان في التصرف بكل شيء^(٢٤).

وشعر الخليفة العباسية القائم بأمر الله بضعفه وبسيطرة السلاجقة، ويبدو لي ان الخليفة كانت تتفاعل في نفسه العواطف من حب للسيطرة والظهور والارتقاء وكره لحياته التي يعيشها على مضض واجبار، وما بين الحب والكراهية، يقف العقل ليكبح جماح العواطف الجياشة المفتعلة وحيث يؤمن بالواقع المؤلم المرير والذي عليه ان يتحملة حرصاً على لقب الخلافة لا غير وظل الخليفة العباسي يعيش من اقطاعات مقررّة يأخذ دخلها^(٢٥).

^(٢٣) المنتظم ج ٨ ص ١٦٩ - ١٧٠.

^(٢٤) تاريخ كزيدة ص ٤٣٨.

^(٢٥) ابن الاثير: تاريخ الدولة الاتابية ص ٩٢.

وانزوى في قصره لا يخرج منه الا مرة في العام وذلك عندما يخرج لصلاة عيد الفطر وليوم المصلين فيها^(٢٦).

يعترضنا سؤال مهم، لماذا لم يقض السلاجقة على الخلافة العباسية؟ الجواب عن هذا السؤال يبدو واضحاً ان السلاجقة كانوا من السنة الحنفية وصاروا يفتحون المدن والبلدان ويتوسعون على حساب الدويلات الضعيفة. وسيطروا على امالك البويهيين في ايران ولما اصبحوا على حدود العراق، ارسل الخليفة القائم رسالة الى السلطان طغرلبيك وأمر الخليفة، حامل الرسالة بأن يتقرب من طغرلبيك حتى يحضره الى بغداد لتتشرف دار الخلافة بحضوره^(٢٧) ويبدو كما ذكرنا سابقاً أن الخليفة بين في رسالته للسلطان عن سوء الاحوال في بغداد، ومشاكل الخلافة مع البويهيين المتنفذين، كما يرجح أنه طلب مساعدة السلاجقة في تخلص الخلافة العباسية السنية من التحكم الشيعي البويهي، ودخل طغرلبيك بغداد سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م، وحمل الخليفة العباسي وابعد عنه المخاطر وقضى على جميع مناوئي الخلافة العباسية، وأظهر للخليفة التقدير والاحترام، فمن أمثلة ذلك أن طغرلبيك لما وصل بغداد سنة ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م، طلب الاذن بمقابلة الخليفة، فأذن له في ذلك وجلس الخليفة يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة جلوساً عاماً وحضر وجوه

^(٢٦) Le Strange: Baghdad during the Abbassid Caliphate p. 332

رحلة بنيامين ص ١٣٢ - ١٣٣.

^(٢٧) السميرية: مفرد سميريات وهي ضرب من السفن الصغيرة التي تعد للنزهة.

عسكر السلطان وأعيان بغداد وحضر السلطان في الماء وأصحابه في السميريات^(٢٨)، فلما خرج من السميرية أركب فرساً من مراكب الخليفة، فحضر عند الخليفة والخليفة على سرير عال من الارض نحو سبعة أذرع وعليه بردة النبي صلى الله عليه وسلم وبيده القضيبي الخيزران فقبل السلطان الارض وقبل يده وأجلس على كرسي فقال الخليفة لرئيس الرؤساء: قل له، ان أمير المؤمنين شاكر لسعيك، حامد لفعلك مستأنس بقربك وقد ولاك جميع ماواه الله من بلاده، ورد عليك مراعاة عبادته، فاتق الله فيما ولاك وأعرف نعمته عليك في ذلك واجتهد في نشر العدل وكف الظلم واصلاح الرعية. فقبل الارض وأمر بإفاضة الخلع عليه فقام الى موضع لبسها فيه وعاد وقبل يد الخليفة ووضعها على عينيه وخطبه الخليفة بملك المشرق والمغرب، وأعطى العهد وخرج وأرسل الى الخليفة خدمة كثيرة منها خمسين ألف دينار وخمسين مملوكاً اتراكاً من أجود ما يكون ومعهم خيولهم وسلاحهم الى غير ذلك من الثياب وغيرها^(٢٩).

هذه صورة الاحترام المتبادل بين الخلافة والسلطنة، والسلطان السلجوقي وهو يعلم ان مهمته لم تنته بعد وانه وخلفاؤه من بعده سيصطدمون حتماً بدول اجنبية غير اسلامية من أجل توسيع رقعة الدولة، كما ان السلاجقة وهم من أشد المنافسين والمعارضين للمذهب الشيعي،

^(٢٨) راحة الصدور: ص ١٦٩.

تاريخ كزیده ص ٣٥٤.

^(٢٩) الكامل: حوادث سنة ٤٤٩ هـ.

فالمصلحة تقضى ان يبقى الخليفة العباسي بأي صورة كانت والاستفادة من الاعتراف الذي يمنحه الخليفة للسلطان السلجوقي اذ بذلك الاعتراف يحصل على التأييد الشعبي من العالم السني كافة. وبالطبع فان يود السلطان السلجوقي اراحة الخليفة العباسي، ولكن السلاجقة يدركون انهم اترك أعاجم، فلا تصح خلافتهم لافتقارهم الى شرط مهم من شروط الخلافة وهو شرط النسب، ولكن يبدو لنا انهم بدأوا محاولة جديدة وهي محاولة المصاهرة وربط البيتين العباسي والسلجوقي عن طريق الزواج، فقد طلب السلطان طغرلبيك الزواج من ابنة الخليفة القائم العباسي^(٢٠). وقد حاول الخليفة ان يمانع ويرفض مثل هذا الزواج، ولكن السلطان هدد الخليفة، ولما كان الخليفة يحس بضعفه وعدم قدرته على الاصرار، وافق على ذلك الزواج الذي لم يكتب له النجاح والسعادة، اذ توفي طغرلبيك بعد مضي سنة تقريباً^(٢١)، أليس من الجائز أن يكون طغرلبيك قد فكر بعيداً في نتائج هذا الزواج، واني لارجح ان طغرلبيك كان يأمل ان ينجب ولداً من ابنة الخليفة يكون له من شرعية النسب العباسي وقوة ونفوذ السلاجقة ما يوصله الى عرش الخلافة العباسية.

(٢٠) ابن الاثير: حوادث سنة ٤٥٤هـ.

— آل سلجوق ص ١٩

— الاصفهاني: زبدة النصره ص ١٩ — ٢٢

(٢١) راحة الصدور: ص ١٧٨.

— زبدة النصره ص ٢٦

وان سؤالاً آخر يتبادر الى ذهن الباحث جدير بالعرض والتعقيب، هو، لماذا لم يعمل السلاجقة على تقوية مركز الخلافة العباسية؟ قلنا ان السلاجقة كانوا قوماً فاتحين يريدون السيطرة والنفوذ وبناء دولة كبيرة، وبالطبع انهم يسعون الى اضعاف جميع القوى المحيطة بهم، وانهم وان كانوا من السنة ويعطفون على الخليفة العباسي، الا انهم لا يرفضون التنازل عن نفوذهم وامتيازاتهم، وانهم انما ارادوا الابقاء على الخلافة مظهرًا دينياً يكسبون به عطف الجماهير الاسلامية، فالسياسة التي اتبعها السلاجقة في أوائل حكمهم، هي سياسة على ما أرى كانت سليمة وحكيمة، انهم طلاب سيطرة ونفوذ، فليس من المعقول ان يتنازلوا عن جميع امتيازاتهم ونفوذهم للخليفة العباسي، وانهم وقد بلغوا تلك السيطرة والسعة والقوة بعد جهود مضنية وتضحيات كبيرة، ولم يكن من اهدافهم في وحدتهم وفتوحاتهم انقاذ الخلافة العباسية والتنازل لها عن كل ما امتلكوه وسيطروا عليه على العكس انهم لولا الشعور الاسلامي العام لقضوا على الخلافة وسيطروا عليها. ولم ترد اشارة لمحاولة بدرت من احد النسلطين السلاجقة الى فعل ذلك بل الذي لمسناه، ان السلاجقة عملوا على جعل الخليفة العباسي تابعاً لهم لا حول ولا قوة، وأصبح الخليفة من الضعف الى حد كان يخشى وزراء السلاجقة ويأتمر بأوامرهم، ومن امثلة ذلك ان الخليفة المقتدى بأمر الله عزل أبا نصر بن جهير من الوزارة بناء على طلب الوزير السلجوقي نظام الملك^(٣٢١)، والاعجب من ذلك انه بعد مدة

(٣٢١) المنتظم: ج ٨ ص ٣١٨.

ابن الاثير: حوادث سنة ٤٧١هـ.

الفخري: ص ٢١٨

قصيرة، وردت رسالة من الوزير نظام الملك الى الخليفة المقتدى يطلب فيها اعادة الوزير السابق الى وظيفته بوصفه وزيراً، فأعيد^(٣٣).

وسنرى ان التدخل في شؤون الخلافة والعمل على اضعافها وازعاجها هيبته، يأخذ شكل سافر منذ سنة ٤٨٥هـ، ففي هذه السنة على ما يبدو حصلت جفوة بين السلطان ملكشاه والخليفة المقتدى بأمر الله العباسي، وبعث ملكشاه الى الخليفة يقول: لابد ان تترك لي بغداد وتنصرف الى أي البلاد شئت، فانزعج الخليفة من هذا انزعاجاً شديداً^(٣٤)، وبدأت امارات الضعف على الخليفة وراح يتوسل الى السلطان ملتمساً منه ان يمهله شهراً، ولكن السلطان كان شديداً حيث أجابه: لا يمكن ان تؤخر ساعة، ثم التجأ الخليفة الى وزير السلطان، وطلب منه ان يسأل سلطانه، بتأجيل موعد خروجه من بغداد عشرة أيام، ليتسنى له الاستعداد للانتقال^(٣٥)، ولكن وفاة السلطان المفاجئة غيرت الموقف، وانقذت الخليفة من مصيبته حيث توفي هذا السلطان في السادس عشر من شوال سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢^(٣٦).

(٣٣) المنتظم: ج ٨ ص ٣١٩

ابن الاثير: حوادث سنة ٤٧١هـ.

(٣٤) الفخري: ص ٢١٧

المنتظم: ج ٩ ص ٦٢

(٣٥) دولة آل سلجوق: ص ٦٥.

المنتظم: ج ٩ ص ٦٢.

(٣٦) راحة الصدور: ص ٢١٠.

آل سلجوق: ص ٧٥.

المنتظم: ج ٩ ص ٦٢.

ابن الاثير: حوادث سنة ٤٨٥ .

اخبار الدولة السلجوقية: ص ٧١.

ومن ثم مات الخليفة المقتدي بأمر الله فجأة^(٣٧)، ومن الجائز ان المقتدي بأمر الله مات مسموماً، فقد قيل ان جاريته شمس النهار سمته^(٣٨)، وبويع لولده المستظهر بالله وله من العمر ست عشرة سنة وقد عاصر هذا الخليفة حوادث خطيرة في تاريخ السلاجقة كما كان يتأرجح في تيارات الانقسامات السياسية ففي سنة ٤٩٣هـ/ ١٠٩٨م قوي أمر السلطان محمد بن ملكشاه، وقدم بغداد سعد الدولة كوهرائين وطلب من الخليفة ان يخطب لمحمد، وكانت الخطبة لبركيارق فوافق الخليفة على هذا المطلب وكان من قبل قد فوافق بالخطبة لتتش بعد انتصاره على بركيارق^(٣٩) وفي سنة ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م أعيدت الخطبة للسلطان بركيارق، ثم أعيدت الخطبة في السنة نفسها لمحمد، ثم دخل بركيارق بغداد سنة ٤٩٤هـ/ ١٠٠٠م، فأعيدت الخطبة له وفي السنة نفسها دخل محمد بغداد، ورحل عنها بركيارق فخطب لمحمد، وقامت عدة حروب بين بركيارق ومحمد^(٤٠)، أدت الى اضعاف المعسكرين المتخاصمين، والخليفة العباسي كان موقفه موقف المتفرج ولم يحاول التدخل في تلك الخصومات أو الاستفادة من تلك الظروف، والعمل على التخلص من نفوذ السلاجقة.

ومات بركيارق سنة ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م وكان قد مرض بأصبهان بالسبل والبواسير، فسار منها في محفة طالبا بغداد فلما وصل الى بروجرد، ضعف عن الحركة ولما اشتد عليه المرض، خلع على ولده ملكشاه، ودفن

(٣٧) المنتظم: ج ٩ ص ٨١.

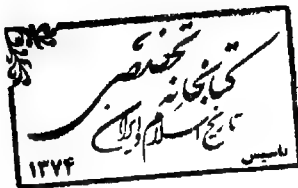
ابن الاثير: حوادث سنة ١١٠٧هـ.

(٣٨) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٢٠٠.

(٣٩) ابن الاثير: حوادث سنة ٤٩٢هـ.

ابن الاثير: حوادث سنة ٤٩٢هـ.

بأصبهان^(٤١) واستمرت الاحوال مضطربة والدولة تشكو الانقسام والتجزؤ. فالاجزاء الشرقية من الدولة كانت تخضع لحكم سنجر بينما تخضع الاجزاء الشمالية لسيطرة أخيه محمد وبلاد الشام في قبضة أبناء تتش، وكانت آسيا الصغرى تحت حكم أبناء سليمان بن قتلмыш، فضلاً عن سيطرة ولاية الاقاليم بعضهم على أقاليم بعضهم الآخر. واستفحل أمر الباطنية واشتدت الحروب الصليبية واحتل الصليبيون أجزاء مهمة وكبيرة في فلسطين، فقد انتزعوا انطاكية من أيدي السلاجقة في عام ٤٩١هـ/١٠٩٧م^(٤٢)، كما استولوا على معرة النعمان^(٤٣)، وقد حاول كربوقا أمير الموصل ان ينقذ مدينة انطاكية ولكنه لم يتمكن من ذلك حيث انهزم جيشه وخاب في مسعاه^(٤٤) واستمر النزاع بين السلاجقة على العرش ولكن الخليفة المستظهر العباسي لم يحاول ان يستغل الفرص لاسترداد هيبة الخلافة والعمل على اطاحة النفوذ السلجوقي، ومات المستظهر سنة ٥١٢هـ/١١٨م، وبويع لولده



(٤١) المنتظم: ج ٨ ص ١٤١ - ١٤٤.

ابن الاثير: حوادث ص ٤٩٨

(٤٢) ابن الاثير: حوادث سنة ٤٩١هـ.

ابو الفداء: ج ٢ ص ٢٢٠

ابن خلدون: التاريخ ج ٥ ص ٢٠

(٤٣) ابن الاثير: حوادث سنة ٤٩١هـ.

(٤٤) ابن الاثير: حوادث سنة ٤٩٥هـ.

ابو الفداء: ج ٢ ص ٢٢١.

المسترشد بالله بن المنصور وكان رجلاً فاضلاً^(١٥)، وذا همة عالية وشهامة زائدة وإقدام ورأي وهيبة شديدة، ضط أمور الخلافة ورتبها أحسن ترتيب^(١٦).

ويمكننا القول ان الكفاح من أجل استرداد هيبة الخلافة والعمل على التخلص من الحكم السلجوقي بدأ في عهد المسترشد بالله الخليفة العباسي، ويبدو لنا ان استمرار الاضطرابات وشدة التدخل السلجوقي فسي خلقة العباسيين وضياح هيبة الخلافة، من سوء تصرف السلاطين السلاجقة كانت عوامل أساسية في ان تحفز هذا الخليفة وتبعث فيه روح الثورة ضد تلك الاحوال والعمل على استرداد الحقوق المسلوبة من الخلافة التي من مقوماتها، القوة والاستقلال والسيادة، وكانت الانقسامات التي ابتليت بها السلطنة السلجوقية والمنازعات الشديدة المستمرة بين السلاطين والامراء والسلاجقة من العوامل المشجعة للخليفة الجديد، ونلمس من حياته في الخلافة انه رجل مرهف الحس مدرك للظروف وانه على جانب من الفطنة والشجاعة والذكاء، أقول انه مرهف الحس، لانه كما أعتقد أحس بالظلم والآلام الشديدة التي يعانيتها الشعب الاسلامي من الحكم المضطرب القلق المستبد، وأحس بانحراف السلاجقة عن مقاصدهم الحسنة ان كانت لهم تلك المقاصد حين فوض العباسيون امورهم الى السلاجقة، ومن ماثور قول الخليفة المسترشد بالله، قوله: "فوضنا امورنا الى آل سلجوق، فبغوا علينا،

(١٥) الفخري: ص ٢٢١

(١٦) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٥٣١.

فطال عليهم الامد، فقصت قلوبهم، وكثير منهم فاسقون^(٤٧)، ان هذا النص دليل قوي على تفهم عميق وادراك بالغ لما وصلت اليه الامور من التحكم الاستبدادي والظلم والفساد.

ويبدو كذلك ان الخليفة المسترشد بالله العباسي، حريص كل الحرص على ابعاد كل خطر عن الخلافة والقضاء على كل حالة جديدة تسبب اضعافها أو الى احداث المخاطر لها، ففي أول يوم يبائع فيه المسترشد بالخلافة تسلل أخوه الامير أبو الحسن بن المستظهر ومعه ثلاثة نفر واتحدر الى المدائن، وسار منها الى دبيس بن صدقة بالحلة^(٤٨)، فلما علم الخليفة الجديد بخبر اخيه، اتخذ موقفاً حازماً ضده خشية ان يتفاقم أمره ويسعى الى اثاره الفتنة فأرسل الخليفة نقيب النقباء على بن طراد الزينبي، الى الحلة وأمره ان يأخذ البيعة من دبيس ويطلب منه أن يسلم اليه الامير أبا الحسن، والظاهر ان دبيس بن صدقة طلب الامان للامير أبي الحسن من الخليفة وابقاه عنده الا أن الامير أبا الحسن خرج على حقوق الجوار وطمع بأمالك الخليفة فغضب عليه دبيس وأرسل اليه من يتعقبه في أراضي واسط حتى تمكن أنصار دبيس من القبض عليه وتسليمه اليه وسلمه دبيس بدوره الى الخليفة المسترشد وعاش الامير أبو الحسن بقية حياته محجوراً في

(٤٧) النظامي العروض السمرقندي: جہار مقالة ص ٣١ ترجمة عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب.

(٤٨) المنتظم: ج ٩ ص ١٩٨.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥١٢.

الفخري: ٢٢١-٢٢٢.

أحدى دور الخليفة يعيش عيشة جميلة^(٤٩) الا ان ابن الجوزي يذكر انه قتل في الحبس^(٥٠). المهم في الحادثة ان الخليفة كان حذراً وشديد الانتباه ويأخذ لكل حالة الاستعداد والتدبير، وعرف عن المسترشد انه كان شديد التمسك بأهداب الدين واصوله وحرباً على المنكرات وملاحقاً دور الخمر والسعي الى نشر العدل والامن في ربوع بلاده، وهناك الكثير من الاخبار التي ذكرها المؤرخون ما يفيد الى ملاحقة الخليفة لحانات الخمر ففي سنة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م تقدم باراقة الخمر التي بسوق السلطان ونقض بيوتهم^(٥١)، ان موقف الخليفة هذا، من الخمر بالطبع دافعه الرئيس دينياً، وأرجح ان الخليفة كان يقصد من اراقة خمر الحانات وتهديمها غرضاً اجتماعياً آخر، ذلك هو محاولة ابعاد الناس عن هذا المخدر الذي يسمم الافكار ويضعف الاجسام، فالخمرة على ما يبدو كانت منتشرة انتشاراً كبيراً الى حد جعلت الناس معظمهم يرتادون دورها ويحتسونها ليلاً ونهاراً وبذلك ضعفت القابليات كما ضعف العامل الديني، والخليفة على ما اعتقد كان يريد ان يبعث في الناس روحاً تدفعهم الى التخلص من ربة السيطرة السلجوقية وتنشلهم من حالتهم السيئة، ولكي تكون افكاره وتوجيهاته مسموعة ومقبولة، بل وذات أثر فلا بد من تحطيم عوامل الشر ومظاهر الفسق

(٤٩) ابن الاثير: حوادث سنة ٥١٣هـ.

الفخري: ص ٢٢٢.

(٥٠) المنتظم: ج ٩ ص ٢٠٥.

(٥١) المنتظم: ج ٩ ص ٢١٨.

والفجور، ويساعده على ذلك ان الدين الاسلامي يحارب الخمرة وشاربيها، لذا نرى هذا الخليفة الذي تتمثل فيه الروح الدينية قوية وشديدة، يندفع بحماس الى محاربة هذه الامكنة، ونال رضا الفقهاء ورجال الدين والذين يعطفون على صيانة المجتمع الاسلامي من الفساد.

كما ان الخليفة المسترشد بالله أراد التخلص من كل خطر يهدد كيان الخلافة، ومن مصادر القلق والخطر في الدولة، دبب بن سيف الدولة صدقة بن منصور الازدي صاحب الحلة، وكان كثيراً ما يثير القلاقل للدولة العباسية، كما كان مصدراً للفتنة، وفي سنة ٥١٧هـ/ ١١٢٣م أثار دبب بن صدقة فتنة جديدة فأنه اطلق عقيفاً خادم الخليفة وكان مأسوراً عنده وحمله رسالة فيها تهديد للخليفة، فاغتاظ الخليفة وغضب وجهاز الجيوش وقام لحرب دبب وانتهت بانتصار الخليفة وهروب دبب الى الملك طغرل بن السلطان محمد^(٥٢).

وأخذ الخليفة المسترشد يستعد لطوارئ الحرب التي قد تقع بينه وبين السلاجقة، وبدأ ببناء السور^(٥٣)، سور بغداد الشرقية، الذي يعد من الاعمال الجليلة للخليفة المسترشد وسيحمي هذا السور مدينة بغداد من الغارات والاعتداءات.

^(٥٢) المنتظم: ج ٩ ص ٢٤١ - ٢٤٣.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥١٧هـ.

^(٥٣) المنتظم: ج ٩ ص ٢٤٣.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥١٧هـ.

ووجد الخليفة المسترشد ما عليه الملوك السلاجقة من الخلافات
 فاستغل الفرصة، فقد كان طغرل الملك مناوئاً للسلطان محمود وكان هذا
 الاخير يطمع بالسلطنة ويستأثر بها دون سنجر، وقد حاول الملك طغرل
 بمعاونة دبيس بن صدقة السيطرة على بغداد فوقف الخليفة موقفاً مشرفاً
 وسيطر على الموقف وتمكن من احداث الهزيمة بدبيس، وأصيب الملك
 طغرل بمرض أقعده عن التنفيذ^(٥٤) وخرج السلطان محمود وكاتب الخليفة
 وتعاهد معه متفقاً وإياه على سنجر^(٥٥) ولكن سنجر على ما يبدو قد أحس
 بنية الخليفة، فأخذ يحذر السلطان (محمود) من نيات الخليفة المسترشد،
 وقال له: انت يميني والخليفة قد عزم على ان يكر بي وبك فاذا اتفقتما
 على، فرغ مني وعاد اليك فلا تلتفت اليه^(٥٦)، وفي هذه الاثناء خرج
 "برنقش" شحنة بغداد الى السلطان محمود يشكو من الخليفة واوغر صدر
 السلطان عليه وخوفه، ان الخليفة يستعد لحربه والتخلص منه، فتوجه
 السلطان محمود سنة ٥٢٠هـ / ١١٢٦م نحو بغداد، فأحس الخليفة بعزم
 السلطان فجمع العساكر واستعد لمقابلته وأصاب بغداد الضيق والغلاء
 الشديدين، ودارت مناوشات بين الجانبين انتهت بالمصالحة ورجع السلطان
 محمود عن بغداد^(٥٧).

(٥٤) المنتظم: ج ٩ ص ٢٥٢ - ٥٥٣.

(٥٥) المرجع السابق: ج ٩ ص ٢٥٤.

(٥٦) المرجع السابق: ج ٩ ص ٢٥٤.

(٥٧) راحة الصدور: ص ٣٠٢.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٢٠هـ.

توفي السلطان محمود سنة ٥٢٥هـ/١١٣١^(٥٨)، واستمر الخصام بين السلاجقة طمعاً في السلطة والنفوذ، وتمكن السلطان مسعود من ان يجعل السلطنة مستقرة له في العراق^(٥٩)، ثم وقعت الحرب بين السلطان مسعود وعمه السلطان سنجر، وحاول عماد الدين زنكي وحليفه ديبس ابن صدقة، احتلال بغداد، فوقف الخليفة موقفاً حازماً، وصدت تلك المحاولة بشدة وبقطة وأوقع هزيمة بجيش ديبس، كما تفرقت جماعة عماد الدين زنكي الذي ولي منهزماً^(٦٠). وجرت حرب بين السلطان طغرل والملك داود فانهزم الاخير ولجأ الى الخليفة المسترشد فانزله الخليفة دار السلطان واکرمه^(٦١) ودخل السلطان مسعود بغداد وخطب له فيها وخلع عليه^(٦٢) وفي سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م هاجم الخليفة المسترشد بالله مدينة الموصل ليثأر من

(٥٨) راحة الصدور: ص ٣٠٠.

المنتظم: ج ١٠ ص ٢٠.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٢٠هـ.

(٥٩) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٢٦هـ.

(٦٠) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٢٦هـ.

المنتظم: ج ١٠ ص ٢٦.

(٦١) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٢٦هـ.

(٦٢) المنتظم: ج ١٠ ص ٢٩.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٢٧هـ.

راحة الصدور: ص ٣٢٩.

زنكي على ما فعل ببغداد حين هجم عليها مع حليفه دبيس ابن صدقة وحاصرها الخليفة ثلاثة اشهر، توجه بعدها الى بغداد^(١٣).

نلاحظ لأول مرة بعد مدة خمود طويلة، خروج خليفة عباسي على رأس جيش خارج دار ملكه ليحارب مناوئيه وان دل هذا على شيء فانما يدل على استعادة الخلافة لبعض حيوتها ونشاطها.

وفي سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م، حدثت جفوة بين السلطان مسعود والخليفة المسترشد بالله، واشتدت تلك الجفوة بينهما الى درجة ان سار الخليفة على رأس جيش كبير لمحاربة مسعود، وكان في جيش الخليفة الكثير من السلاجقة الامراء الذين شجعوا الخليفة على القيام بحملة حربية ضد مسعود وقد تسلم الخليفة الكثير من المكاتبات من أصحاب الاطراف، يبذلون فيها الطاعة والمساندة في حربه للسلطان مسعود، ولكن مسعوداً بداهته تمكن من استصلاح الكثير من اولئك الامراء الخارجين عليه كما نجح في أن يجعلهم من أعوانه، ولم يبق مع الخليفة المسترشد بالله الا عدد قليل من الجيش بلغت عدته خمسة آلاف مقاتل^(١٤). وتقابل جيش الخليفة مع جيش مسعود في "دايمرج"^(١٥)، ونلمس من تلك الواقعة ضعف الجيش الخلفي ومظاهر الخيانة والغدر، فان ميسرة الخليفة انضمت الى جيش

(١٣) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٢٧هـ.

المنتظم: ج ١٠ ص ٣٠.

(١٤) المنتظم: ج ٤٤ ص ٥٠.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٢٩هـ.

(١٥) دايمرج: موقع ماء بالقرب من همدان.

مسعود وقاتلت الميمنة قتالاً ضعيفاً ولكن الخليفة المسترشد جد في تلك المعركة، وانهزم معظم عسكره ووقع المسترشد بالله أسيراً بأيدي الاعداء^(٦٦)، وأمر مسعود بنصب خيمة للخليفة وان تدق له طبول النوبة، وان ينزلوه في احترام ووقار ويرتبوا له جميع وسائل المطبخ والمشرب^(٦٧)، وفي السابع عشر من ذي القعدة سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م، هجم على خيمة الخليفة المسترشد بالله العباسي، جماعة من الباطنية فقتلوا الخليفة ومن معه^(٦٨)، وبويع لولده، ابي جعفر المنصور الذي لقب "الراشد"، بالخلافة^(٦٩)، وهكذا سقط المسترشد بالله شهيداً كونه أول خليفة عباسي، يجاهد من أجل استقلال الخلافة واعادة هيبتها، وكان المسترشد خير مثل

(٦٦) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٢٩هـ.

المنتظم: ج ١٠ ص ٤٥.

السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٤٣٢.

(٦٧) راحة الصدور: ص ٣٣٠. النوبة: الفرصة أو الدولة (تاج العروس).

(٦٨) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٢٩هـ.

العماد الاصفهاني: زبدة النصره ص ١٧٧ - ١٧٨.

(٦٩) الراوندي: ص ٢٣١.

المنتظم: ج ١٠ ص ٥٠.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٢٩هـ.

ابن العبري: ص ٣٥٦ - ٣٥٧.

الفخري: ص ٢٢٣.

السمرقندي: ج ١٠ ص ١٠٧.

الديار بكري: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٢.

احتذى به الخلفاء الذين ساروا على نهجه في مقاومة السلاجقة واضعاف نفوذهم.

تولى الخلافة بعد المسترشد، ولده الراشد بالله سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م^(٧٠)، ومنذ ان تولى الراشد بالله وهو يحمل لليسلاجقة العداء ويسعى الى الثأر، من الذين فتكوا بوالده كما أخذ يعمل على تكوين حلف قوي يواجه به السلطان مسعود الذي أصبح له نفوذ عظيم بعد مقتل الخليفة المسترشد بالله، وكانت الشرارة التي أدت الى احتكاك الخليفة الراشد بالله مع السلطان مسعود السلجوقي، ان الاخير أرسل برنقش الزكوي ليطالب الخليفة مبلغاً كبيراً من المال، مقداره اربع مئة ألف دينار^(٧١)، فامتنع الخليفة عن اداء مثل ذلك المبلغ، ووقف موقفاً حازماً، ازاء ما عزم عليه رسول السلطان في التهجم على دار الخلافة وتفتيشها^(٧٢)، واتصل الخليفة بالملك داود وتعاهد معه على حرب السلطان مسعود واتفقا مع عماد الدين زنكي صاحب الموصل على الغرض نفسه، وانضم الى حلفهم اطراف كثيرون، وقطعت خطبة مسعود في العراق وخطب لداود^(٧٣)، واتجه مسعود نحو بغداد، فحدث اضطراب في بغداد، ولما وصل

(٧٠) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٢٩هـ.

(٧١) المنتظم: ج ١٠ ص ٥٤ - ابن الاثير: حوادث سنة ٥٣٠هـ.

- ابن العبري: ص ٢٠٥.

(٧٢) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٣٠هـ.

(٧٣) المنتظم: ج ١٠ ص ٥٥.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٣٠هـ.

مسعود الى أطراف بغداد قام بحصارها، فثار العيارون في المدينة، وأحدثوا فيها الفوضى والمتاعب الكثيرة وافسدوا الامر على الخليفة وتنظيماته، وأخذ بعض الامراء المحالفين للخليفة بالتفرق، مما اضطر الخليفة الى مغادرة بغداد صحبة عماد الدين زنكي الى الموصل، تاركاً بغداد للسلطان مسعود، وانهزم داود الى بلاده^(٧٤)، وكعادة كل فاتح غريب عن اهل البلد اخذ مسعود في تلطيف الجو السياسي ببغداد الغاضبة، فأظهر العدل، والتقرب من الفقهاء والعلماء ووجهاء البلد، ولجأ الى لعبة جديدة، أراد بها أن يشوه سمعة الخليفة الراشد أولاً ومن ثم استبداله بخليفة آخر يكون طواعية له، فجمع العلماء والفقهاء والقضاة والشهود والاعيان، واخرج السلطان كتاباً ادعى ان الخليفة الراشد خطبه بيده معترفاً فيه "انني متي جندت او خرجت فقد خلعت نفسي من الامر"^(٧٥)، ويذكر ابن الجوزي: ان الوزير علي بن طراد احكم النوبة واحضر الفقهاء والقضاة وخوفهم وهددهم ان لم يخلعوا الخليفة الراشد^(٧٦)، وكتب الحاضرون محضراً شهدوا بظلم الخليفة الراشد ونهبه الاموال وسفكه الدماء وشربه الخمر^(٧٧).

(٧٤) ابن الاثير: حوادث سنة ٣٥٠هـ.

(٧٥) المنتظم: ج ١٠ ص ٦٠ - ابن الاثير: حوادث سنة ٥٣٥هـ.

(٧٦) المنتظم: ج ١٠ ص ٦٠.

(٧٧) المنتظم: ج ١٠ ص ٦٠.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٣٠هـ.

وحكم قاضي بغداد ابن الكرجي بخلع الخليفة الراشد بالله، فقطعت خطبته وبويع بالخلافة محمد بن المستظهر ولقب "المقتفي لامر الله" (٧٨).

هرب الراشد بالله مع عماد الدين زنكي الى الموصل ومن هناك سار الى اذربيجان، ثم الى مراغة فاجتمع فيها الملك داود الامير "منكوبرس" صاحب فارس وبعض الامراء الآخرين وانفقوا على حرب مسعود، فلما أحسَّ السلطان مسعود بتجمعهم ونشاطهم فسار لقتالهم وتمكن جيش الخليفة وحلفاؤه من الحاق هزيمة منكرة بالسلطان مسعود، واتجه جيش مسعود الى اذربيجان بينما قصد الملك داود همدان وكانت الهزيمة قد الحقت بجيش مسعود وداود، وهذا من اعجب الاتفاقات كما يقول ابن الاثير (٧٩)، وبقي الخليفة وحده في جماعة من العساكر العجم فاتجه الى اصفهان، وفي الخامس والعشرين من رمضان سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧م، وثب عليه نفر من الخراسانيين من الذين كانوا في خدمته فقتلوه، ويعتقد ان الجوزي ان الذين اغتالوا الراشد كانوا من الباطنية (٨٠).

ان مقتل الراشد بالله كان له اثر كبير في نفوس المسلمين عامة والعراقيين خاصة وان استشهاده من أجل تثبيت دعائم الخلافة العباسية،

(٧٨) راحة الصدور: ص ٣٣٢ - المنتظم: ج ١٠ ص ٦٠ - ابن الاثير: حوادث سنة ٥٣٠هـ. -

الفخري: ص ٢٢٧ السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٤٣٦ - ابن العبري: ص ٢٠٥

(٧٩) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٣٢هـ.

(٨٠) المنتظم: ج ١٠ ص ٧٢ - ابن الاثير: حوادث سنة ٥٣٢هـ.

السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٤٣٦ - ٤٣٧.

الفخري: ص ٢٢٧.

حفز النفوس وايقظها، بل وألهب الحماس الوطني والديني في صدور الخلفاء والامراء والعامة، وسنرى لهذا النزاع الذي نشب بين السلاجقة والخلافة تأثيره الكبير في دعم الخلافة وتقويتها وفي اضعاف السلاجقة وانهيارهم.

وذكرنا ان السلاجقة نصبوا المقتفى خليفة في بغداد، ولم يكن المقتفى الا نموذجا حيا للتفكير السليم في انتهاج سياسة عظيمة وفي اتخاذ الخطوات الناجحة والتدابير المحكمة من أجل تخليص الخلافة من حكم السلاجقة، والعمل على استغلال الفرص من أجل الايقاع بالسلاجقة، وصار يرقب المنازعات والمخاضات التي استعرت بين أمراء السلاجقة وأدت الي اضعافهم واضمحلالهم ففي سنة ٥٣٢هـ/١١٢٧م، وقعت الحرب مجددا بين الملك داود والسلطان مسعود^(٨١)، كما انهزم السلطان سنجر امام الاتراك الخطا سنة ٥٣٦هـ/١١٣١م^(٨٢) "والخطا" قبائل تركية كانت تسكن شمالي ايران وتمكنت من تأسيس دولة في عام ٥١٨هـ/١١٢٤م، واتخذت مدينة (بلاساغون) عاصمة لها، وكان يطلق على ملوكها "كورخان"^(٨٣)، وفي هذه السنة اعني سنة ٥٣٦هـ التي انهزم فيها سنجر وقعت زوجته اسيرة في أيدي الخطا^(٨٤)، وكان لهذه الحرب اثرها الكبير في اضعاف نفوذ سنجر وانهياره، كما اتفق صاحب فارس (بوزابة) والامير "عباس"، أمير

(٨١) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٣٢هـ.

(٨٢) المنتظم: ج ١٠ ص ٩٦.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٣٦هـ.

(٨٣) راحة الصدور: ص ٢٦٢ الحاشية.

(٨٤) المنتظم: ج ١٠ ص ٩٦ - ٩٧.

راحة الصدور: ص ٢٦٤.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٣٦هـ.

الري ومعهما الملك محمد بن السلطان محمود والملك سليمان شاه بن السلطان محمد، اتفقوا على الخروج عن طاعة السلطان مسعود^(٨٥)، وهذا الاتفاق أو التمرد على السلطان وان لم يؤد الى نزاع كبير الا انه مظهر من مظاهر الفوضى والقلق وصورة من عدم الوحدة والانسجام في الدولة السلجوقية ودليل واضح على النيات التي يبيتها الامراء أعمدة الدولة السلجوقية لسلطانهم الذي يطمعون في املاكه.

كان الخليفة المقتفي لامر الله العباسي، يرقب الحوادث، ويرى بأم عينيه الانهيار الذي يصيب السلاجقة اعداء الخلافة العباسية والسلاجقة هم الذين نصبوا المقتفي لامر الله خليفة، وما دروا انه من الدهاء والعقل ما ستكون نهاية نفوذهم في العراق على يديه، والخليفة المقتفي لامر الله، كان قد حمل فكرة سيئة عن حكم السلاجقة وسياستهم تجاهه، فهم الذين جردوه من كل ما يملك من الخيول والممتلكات، كي يكون تحت رحمتهم وأسيراً عندهم^(٨٦)، ولكن الخليفة وقف موقفاً حازماً امام مطلب السلطان عندما اراد منه ان يمدّه بمئة ألف دينار، فبعث المقتفي الى السلطان: — ما رأينا أعجب من امرك، أنت تعلم ان المسترشد سار اليك بأمواله فجرى ما جرى وان الراشد ولى ففعل ما فعل، ورحل وأخذ ما تبقى ولم يبق الا الاثاث فأخذته كله، وتصرفت في دار الضرب وأخذت الزكاة، ففي أي وجه نقيم لك هذا المال، وما تبقى الا ان نخرج من الدار ونسلمها، فاني عاهدت الله ان

^(٨٥) راحة الصدور: ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٣٦هـ.

^(٨٦) المنتظم: ج ١٠ ص ٦٦.

السيوطي: تاريخ الحلفاء ص ٤٣٧.

لا آخذ حبة ظلماً^(٨٧)، وكانت سياسة مسعود، سياسة الضغط الشديد على الناس من أجل جمع الاموال، ومن أعمله المجحفة، والتي استاء منها الناس، وضعه مكس البيع الذي كان أثره الكبير في انهيار سمعة مسعود في العراق، وان كان هذا قد أزال هذا المكس سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م الا ان الناس في بغداد ضجوا من غلاء الاسعار وفقدان العدل وانعدام النظام، وتولى الامور رجال عرفوا بعدم النزاهة والاخلاص، ففي سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م بلغ الكر الشعير اربعين ديناراً والحنطة ثمانين ديناراً، ولكن الشحنة نادى في الاسواق والدروب ان لا تباع "الكاراة" الدقيق الا بدينار فأدى هذا الاجراء الذي يبدو ارتجالياً الى غلق الدكاكين وانعدام الخبز عن الاسواق أربعة أيام واستمر شهراً حتى عادت الاسعار تتراخي^(٨٨).

كل هذا يحدث وهو من علام الاتهيار والاستياء العام، والخليفة المقتفي لامر الله كان يعمل بفكره السليم ويدبر للامور تدبيرها المحكم، فأخذ في تقوية مركز الخلافة وعمل على تقوية الجيش الذي كان يرعاه ويستعرضه في كل مناسبة، وأمر بحفر الخنادق ببغداد، كما نادى بأن يلبس العوام السلاح، أي أن يستعدوا للطوارئ ويكونوا قادرين على دفع العدوان عن أنفسهم وأموالهم^(٨٩)، كما أمر باصلاح السور، ذلك ان السور حدثت به

(٨٧) المنتظم: ج ١٠ ص ٦٦.

(٨٨) المنتظم: ج ١٠ ص ١٢٥.

(٨٩) المنتظم: ج ١٠ ص ١٣٣.

ثم وخرج العوام بالآلات فعمره وحفروا خندقاً^(٩٠)، هذا جانب من الاستعدادات وصورة من تجاوب العامة في بغداد وتعاونهم مع خليفتهم الذي لمسوا فيه الاخلاص والهمة من أجل انقاذ خلافتهم من حكم السيطرة السلجوقية.

واصبح السلطان مسعود في سنيه الاخيرة ضعيفاً فقد انهكته الحروب والمنازعات كما اصاب سنجر العجز والانهيار أيضاً، وبدأ الخليفة المقتفي في القوة والمنعة^(٩١)، وفي سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩، اجتمع خلق كبير من التركمان مع ملكشاه بن محمود وطرنطاي وعلي بن دبيس واتجهوا نحو بغداد، ولما أصبحوا على بعد ثلاثة فراسخ عنها، بعثوا الى الخليفة يطلبون الخطبة لملكشاه ولم يجبههم^(٩٢)، وأراد ان يلعب لعبة بارعة، ان يبعث للسلطان مسعود يعلمه ان هؤلاء انما جاؤا يطلبون الخطبة التي هي له وحده، وذلك ليتلاحم السلاجقة فيما بينهم وهذا بالطبع سيؤدي الى اضعاف جبهتهم، علماً ان الخليفة اتخذ جميع الاستعدادات والاحتياطات لمواجهة الاعداء. وفعلاً قدم (مسعود) الى العراق وما ان سمع الاتراك بقدومه حتى وأصابهم هلع وفزع وهرب طرنطاي الى النعمانية والقي "علي ابن دبيس" بين يدي السلطان يطلب العفو^(٩٣)، وانتهى الامر ورجع السلطان الى

(٩٠) المنتظم: جـ ١٠ ص ١٣٣.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٤٣هـ.

(٩١) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٤٣٨.

(٩٢) المنتظم: جـ ١٠ ص ١٣٧ - ١٣٨.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٤٤هـ.

(٩٣) المنتظم: جـ ١٠ ص ١٣٨.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٤٤هـ.

همذان^(٩٤). وفي هذه المرحلة، نلمس بوضوح قوة ونفوذ الخليفة، وقبيل وفاة السلطان مسعود السلجوقي، بدأ الخليفة يستعيد الامتيازات التي فقدتها الخلفاء العباسيون بحكم انصياعهم وضعفهم، ومن مظاهر ذلك انه في المحرم في سنة ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م، جلس يوسف الدمشقي مدرساً للنظامية ببغداد وكان جلوسه بغير أمر الخليفة، فمنع يوم الجمعة من دخول الجامع وصلى في جامع السلطان، ومنع من التدريس فتقدم السلطان مسعود الى الشيخ أبي النجيب السهروردي بأن يدرس فيها فأمتنع بغير أمر الخلافة فاستخرج السلطان اذن الخليفة في ذلك فدرس منتصف المحرم من السنة نفسها^(٩٥)، هذا الخبر يدل دلالة واضحة على التحول الكبير في حياة الخلافة ونفوذها، فبعد ان كان السلطان هو المتصرف في كل شيء، في تعيين الوزراء والمدرسين والضقة وغيرهم من الموظفين والمستخدمين، أصبح الخليفة المقتفي يملئ ارادته على السلطان لهذا أثره الكبير في نفوس الشعب ويبعث فيهم الروح المعنوية القوية ويعيد اليهم الثقة بامكانياتهم، ولا يفوتنا اثر التعاون الذي بدا واضحاً من معظم الفقهاء والعامة مع الخليفة العباسي، فموقف ابي النجيب السهروردي وامتناعه عن التدريس دون اذن الخليفة دعم لارادة الخليفة وتقوية للرغبات المخلصة التي ابداهها المقتفي لامر الله.

(٩٤) راحة الصدور: ص ٣٥١.

(٩٥) المنتظم: ج ١٠ ص ١٤٢.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٤٥هـ.

السبكي: طبقات الشافعية ج ٤ ص ٢٥٦.

ابن خلكان: ج ٢ ص ٣٧٣.

وفي سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م توفي السلطان مسعود في همدان وكان قد مرض بالحمى^(٩٦) وبوفاته فقدت الدولة السلجوقية ركناً كبيراً وأخذت هذه الدولة تتداعى، وتموج في خضم من المنازعات والفتن وقوى جانب الخليفة وأصبح هو السيد المطاع في دولته، وله الكلمة النافذة، وزادت هيئته وعلت كلمته، وكان الخليفة قد استوزر شخصية قوية عرفت بالعلم والادب والحكمة وبعد النظر، تلك هي شخصية ابن هبيرة، عون الدين وابتدأت وزادته للخليفة المقتفي لأمر الله سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م وقام هذا بواجباته أحسن قيام، وكانت له الخدمات الجليلة التي أعادت على الدولة العباسية بالخير والقوة، وتقلد الوزارة للخليفة المقتفي وولده المستنجد بالله فبقي في منصبه حتى توفي ببغداد سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م^(٩٧). وسنتلمس في أخباره وأفعاله الحسنة من الحوادث ومجرياتها فيما سنذكره من الوقائع التي حصلت في بغداد على أيامه على حسن إدارته وعظيم حنكته.

(٩٦) المنتظم: ج ١٠ ص ١٤٧.

راحة الصدور: ص ٣٥٤.

أخبار الدول السلجوقية: ص ١٢٩.

(٩٧) المنتظم: ج ١٠ ص ١٣٧.

ابن خلكان: ج ٥ ص ١٧٤.

ذيل طبقات الحنابلة ج ١ ص ٢٥١ طبعة الفقي.

الروضتين: ج ١ ص ١٤١.

الشذرات: ج ٤ ص ١٩١.

النجوم الزاهرة: ج ٥ ص ٣٦٩.

مرآة الزمان: ج ٨ ص ٢٥٥.

اغتنم الخليفة المقتفي فرصة وفاة السلطان مسعود وضعف الامكانيات السلجوقية في العراق وتفرق كلمتهم في العالم الاسلامي، وكان شحنة بغداد (مسعود بن بلال) قد هرب الى تكريت عند سماعه بخبر وفاة السلطان مسعود، فافتحم الخليفة دار الشحنة ودور اصحاب السلطان مسعود التي ببغداد، واخذ كل ما لهم فيها، وأمر باراقة الخمر من مساكن اصحاب السلطان وقبض الخليفة على الكثير من أصحاب السلطان، وكان السلطان الجديد ملكشاه قد سير (سلار كرد) في عسكر الى الحلة فدخلها، ومن ثم سار اليها (مسعود بن بلال) شحنة بغداد واتفق مع سلار كرد، الا ان مسعود بن بلال قبض على (سلار كرد) وغرقه في نهر الفرات واستبد بالحلة وسيطر عليها^(٩٨)، فجهز الخليفة جيشاً بقيادة (يحيى ابن هبيرة) وزيره واتجه الجيش نحو الحلة فلما علم مسعود بن بلال عبر نهر الفرات وتقابل مع جيش الخليفة وفي أول الامر كان النصر لمسعود ابن بلال ولكن الوزير ابن هبيرة تمكن في النهاية من الحاق الهزيمة بمسعود بن بلال وهروبه الى همدان^(٩٩).

^(٩٨) المنتظم: جـ ١٠ ص ١٤٨.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٤٧.

اخبار الدولة السلجوقية: ص ١٣٠.

^(٩٩) المنتظم: جـ ١٠ ص ١٤٨ - ١٥٢.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٤٧.

اخبار الدولة السلجوقية: ص ١٣٠.

آل سلجوق: ص ٢١٥.

ويبدو ان الخليفة المقتفي أخذ في السيطرة على الاقطاعات التي كان يملكها الامراء السلاجقة، وقد اجتمع هؤلاء الامراء بالسلطان محمد وبينوا له ان ارزاقهم قد قطعت وان اقطاعاتهم قد فقدت، وطالبوا السلطان بمعالجة الحالة الخطيرة التي اصابتهم^(١٠٠)، ولكن ماذا يعمل السلطان وهو الذي طلب ملتصاً من الخليفة ان يخطب له فلم يجب، برغم اظهار خضوعه الشديد وطاعته العظمى^(١٠١)، فطلب منهم التآني وعدم مخالفته الخليفة لانها لا تجدي نفعاً^(١٠٢). وهكذا نرى قوة الخلافة العباسية تزداد قوة كلنفا قام نزاع بين السلاجقة انفسهم أو بينهم وبين الاقوام الاخرى، وفي سنة ٥٤٨هـ/١١٣٥م انهزم سنجر أمام الغز، الذين دخلوا نيسابور ونهبوها نهباً مجحفاً وجعلوها قاعاً صفصفاً، وقتلوا الكبار والصغار، وأحرقوها وقتلوا القضاة والعلماء في البلاد^(١٠٣)، وتمكن الغز من اسر السلطان سنجر وهاجموا مرو فاستسلم أهلها بعد قتال شديد ونهبها الغز للمرة الثانية^(١٠٤)، وظل السلطان سنجر أسيراً ثلاث سنوات ثم هرب من الاسر سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م ولكنه مات سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م، بعد أن أصبح كبيراً في السن^(١٠٥)، وبوفاة سنجر ازدادت الخلافة قوة ونفوذاً.

(١٠٠) آل سلجوق: ص ٢١٦.

(١٠١) اخبار الدولة السلجوقية: ص ١٣١.

(١٠٢) آل سلجوق: ص ٢١٧.

(١٠٣) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٤٨هـ.

(١٠٤) راحة الصدور: ص ٢٧١ - ٢٧٢.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٤٨هـ.

(١٠٥) راحة الصدور: ص ٢٧٨.

ويبدو أيضاً ان تكريت كانت معقلاً من معاقل السلاجقة وانها كانت مصدر خطر على بغداد وفي سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م أرسل الخليفة رسولاً الى والي تكريت بسبب الاسارى، ولكن المسؤولين في تكريت قبضوا على رسول الخليفة، فسير الخليفة جيشاً الى تكريت ووقف أهلها يمنونه من الدخول الى البلد، فسار الخليفة بنفسه ودخل تكريت، ونصب على قلعتها ثلاثة عشرة منجنيقاً، وحصل فيها قتال شديد ورجع الخليفة الى بغداد وترك وزيره ابن هبيرة على حصارها، ووصل في السنة نفسها مسعود ابن بلال الى شهربان ومعه بعض الامراء الاتراك، ورجع ابن هبيرة الى بغداد وأرسل مسعود بن بلال الى تكريت من أخرج منها (الملك ارسلان ابن السلطان طغرل بن محمد) وكان محبوساً فيها عاد مسعود مع الملك ارسلان الى بكمزا بالقرب من بعقوبة حيث دارت معركة شديدة بين جيش الخليفة والسلاجقة وتمكنت الجنود السلجوقية من الحاق الهزيمة بالجيش العباسي ولكن الخليفة المقتفي لأمر الله وقف بعناد وصار يشجع المقاتلين حتى تم له النصر والغلبة، وانهزم (مسعود بن بلال) الى واسط وأحدث فيها القلق والاضطراب فوجه الخليفة وزيره (ابن هبيرة)، الذي تعقبه وتمكن من طرد الاعاجم، ورجع الوزير الى بغداد^(١٠٦).

واستمرت المنازعات الحروب بين السلاجقة والعباسيين، وظل العباسيون يتحينون الفرص لاضعاف النفوذ السلجوقي، وستصيب الخلافة نجاحاً كبيراً بتسديدها ضربة شديدة للسلطان محمد بن محمود بن محمد ابن

(١٠٦) المنتظم: ج ١٠ ص ١٥٥ - ١٥٨.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٤٩هـ.

اخبار الدولة السلجوقية: ص ١٣٢ - ١٣٣.

آل سلجوق: ص ٢١٦.

ملكشاه، الملقب بقسيم أمير المؤمنين^(١٠٧)، فقد طمع السلطان محمد بأن يخطب له، ولكن الخليفة المقتفي لم يقبل ورفض الطلب^(١٠٨).

وكان الخليفة العباسي، قد اتبع سياسة جديدة لتفريق صفوف السلاجقة، وانه استمال أحد أقطاب البيت السلجوقي سليمانشاه بن محمد، عم السلطان محمد بن محمود بن محمد، وكان سليمانشاه قد حضر قصر الخليفة وحلف له على النصح والموافقة ولزوم الطاعة وانه لا يتعرض الى العراق بحال، فلما حلف خطب له ببغداد ومنح القاب ابيه، وجعله الخليفة بثلاثة آلاف فارس، وكتب الخليفة الى ملكشاه ابن السلطان محمود اخي السلطان محمد صاحب همذان، يدعو الى موافقته، وقدم في أفي قارس، واتفق لسليمانشاه وملكشاه على أن يكون ملكشاه ولي عهد (سليمانشاه)، ولما سمع السلطان محمد بخبرهم، جهز جيشاً وسار الى ملاقاتهم ودارت بين الطرفين مقتلة كبيرة، وانتهت بهزيمة (سليمانشاه) ومن ثم وقوعه أسيراً في ايدي عساكر الموصل حلفاء السلطان محمد وكانوا بقيادة (زين الدين علي)^(١٠٩) وفي ذي الحجة من سنة ٥٥١هـ/ ١١٥٦م حاصر

(١٠٧) راحة الصدور: ص ٣٧١.

(١٠٨) المنتظم: ج ١٠ ص ١٦٨.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٥٢هـ.

(١٠٩) المنتظم: ج ١٠ ص ١٦٥.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٥١هـ.

اخبار الدولة السلجوقية: ص ١٤٢ - ١٤٣.

راحة الصدور: ص ٣٨٣.

السلطان محمد بغداد وتقدمت للسلطان محمد مساعدات من صاحب الموصل اتابك قطب الدين ونائبه زين الدين علي، وقد استعد الخليفة المقتفى لامر الله واستنفر الناس اشتدت الحرب بين السلاجقة وجند الخليفة، وكان جند الموصل، غير مجدين في القتال وقيل ان (محمود بن زنكي) وهو اخو (قطب الدين) صاحب الموصل أرسل الى زين الدين يلوميه على قتال الخليفة، ففتر وأقصر^(١١٠)، وقد دفع أهل بغداد دفاعاً مجيداً ووصلت الى السلطان محمد الاخبار ان أخاه ملكشاه وايلدكز صاحب اران والملك ارسلان بن الملك طغرل قد دخلوا همذان واستولوا عليها وحاول السلطان محمد ان يجد في القتال عله يصل الى نتيجة مرضية أو نصر يبلغه مبتغاه ولكنه فشل في مسعاه وترك ميدان القتال في بغداد متوجهاً نحو همذان^(١١١)، وكان انسحاب السلطان محمد غير منتظم وكانت الفرصة ساحة لجيش بغداد في مطاردته وتمزيقه، ولكن يبدو انه لم تكن لديه القوة الكافية لتحقيق ذلك^(١١٢).

^(١١٠) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٥١هـ.

راحة الصدور: ص ٣٨٥.

^(١١١) المنتظم: ج ١٠ ص ١٦٩ - ١٧٠.

راحة الصدور: ص ٣٨٥.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٥٢هـ.

اخبار الدولة السلجوقية: ص ١٤٠.

^(١١٢) راحة الصدور: سنة ٣٨٥هـ.

سار محمد لمحاربة أعدائه وانقاذ همدان، وبعد حرب شديد انتهت بانتصاره ودخوله همدان ولكن بعدما أصيب بمرض السيل ومات سنة ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م^(١١٣)، وبموت محمد تنفست الخلافة العباسية الصعداء وانقسم السلاجقة فيما بينهم، كل أمير يريد السيطرة وتنازع على السلطنة ملكشاه أخو السلطان محمد وعمه (سليمانشاه)، وكذلك (ارسلان بن طغرل) وكان لكل واحد من هؤلاء من يؤازره ويؤيده، وسيطر ملكشاه على خوزستان ومضى الى اصفهان فلما قاربها أرسل الى ابن الخجندي وأعيان البلد في تسليم البلد فامتنعوا عن ذلك وقالوا: لأخيك في رقابنا يمين ولا نغدر به، ولذا شرع ملكشاه في الفساد والمصادرة بأهل القرى^(١١٤)، وسار (سليمانشاه) الى همدان، ولكن الاقدار غيرت الموقف فمات ملكشاه مسموماً سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م وتوفي كذلك (سليمانشاه) سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م^(١١٥)، وكان (سليمانشاه) على ما يبدو ميالاً الى اللهو والمجون، تاركاً شؤون دولته^(١١٦).

(١١٣) المنتظم: ج ١٠ ص ١١١

— ابن الاثير: حوادث سنة ٥٥٤هـ.

راحة الصدور: ص ٣٨٧.

(١١٤) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٥٥هـ.

(١١٥) راحة الصدور: ص ٣٩٩ — ابن الاثير: حوادث سنة ٥٥٦هـ.

المنتظم: ص ١٩٨.

آل سلجوق: ص ٢٢٢.

(١١٦) راحة الصدور: ص ٣٩٦ — ابن الاثير: حوادث سنة ٥٥٦هـ.

وفي سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م توفي الخليفة المقتفي لامر الله بعد أن حكم أربعاً وعشرين عاماً، قضاها بمناهضة السلاجقة وتدبير الملك، وتوحيد الصف وبعث الهممة والعزيمة في نفوس المسلمين كما كان عاملاً مهماً وكبيراً في التطويع بكثير من المظاهر السلجوقية، ووقف باصرار وعناد امام السلاطين والملوك السلاجقة وانه كان اول خليفة تمكن من الخلافة وحكم على عسكره وأصحابه في حين تحكم المماليك على الخلفاء من عهد (المنتصر) الى خلافته^(١١٧)، وبويع بالخلافة ولده (المستجد بالله)^(١١٨)، وبرزت في عهد المستجد بالله، شخصية "ايلدكز" السلجوقي الذي كان اتابكاً لارسلان بن طغرل، الذي خطب له بالسلطنة بعد وفاة سليما نشاه وبما أتى (ايلدكز) من قوة النفوذ ان جعل السلطان رمزاً يملك ولا يحكم^(١١٩)، وأرسل (ايلدكز) الى بغداد يطلب الخطبة (لارسلان شاه) وان تعاد القواعد الى ما كانت عليها ايام السلطان مسعود فأهين رسوله وأعيد اليه على أقبح حالة^(١٢٠)، وفي سنة ٥٥٧هـ/ ١١٦١م، استولى الخليفة المستجد بالله على قلعة (الماهي)^(١٢١)، وهي قريبة من بلدة البندنجين^(١٢٢)، وكانت هي

(١١٧) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٥٥هـ.

(١١٨) المنتظم: ج ١٠ ص ١٩٢.

(١١٩) تاريخ كزيدة: ص ٤٧٠.

(١٢٠) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٥٦هـ.

(١٢١) المرجع السابق: حوادث سنة ٥٥٧هـ.

(١٢٢) البندنجين: تعرف اليوم باسم مندلي على نحو ٩٣ كيلومتراً عن بعقوبة. (الدكتور مصطفى

جواد في تحقيق تكملة اكمال الاكمال ص ٣٧٣).

لستراتج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٨٨.

القلعة بأيدي الاتراك والاكرد منذ عهد المقتدر^(١٢٣)، ولم يكتف الخليفة بمطاردة السلاجقة بل صار يلاحق أعوانهم ومن يقوم بمساعدتهم وتقديم العون اليهم، ففي سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م أمر الخليفة بقتال بني اسد أهل الحلة لمساعدتهم التي قدموها للسلطان محمد عند حصاره لبغداد ولما ظهر من فسادهم واحداثهم الفلاقل للدولة العباسية، فشن عليهم الحرب وقتل منهم العدد الكثير وتفرق الباقيون في انحاء مختلفة، وبذلك تخلصت الخلافة العباسية من مصدر كان كثيراً ما يثير الفتن والمشاكل لها^(١٢٤).

ان الخلافة العباسية وقد قطعت مرحلة كبيرة من مراحل النزاع بينها وبين السلاجقة وأعوانهم، فان محاولات الخلفاء المسترشد والراشد والمقتفي المستنجد أتت ثمارها وأصبحت الدولة العباسية ذات مركز مرموق وصار ينظر الى الخليفة نظرة هيبة وتقدير، ومن الشخصيات التي كان لها أثر كبير في اسناد الخليفة وتقديم المشورة الصادقة والمعونة السديدة شخصية الوزير العباسي الكبير (يحيى بن هبيرة)، الذي وزر للخليفة المقتفي لامر الله والخليفة المستنجد بالله، فقد كانت لهذا الرجل يد قوية وحيل مرضية في قمع الدولة السلجوقية^(١٢٥) وقد لعب دورا مهما في ملاحقة أعداء الدولة وكان موقفه جد عظيم في أثناء الحصار الذي ضربته السلطان محمد، على بغداد سنة ٥٥١ - ٥٥٢هـ/ ١١٥٧ - ١١٥٨م، ذلك

(١٢٣) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٥٧هـ.

(١٢٤) المرجع السابق: حوادث سنة ٥٥٨هـ.

(١٢٥) الفخري: ص ٢٢٩.

الموقف الذي سند الخلافة وشجع أهل بغداد على رد عدوان السلطان السلجوقيين فضلاً عن كونه عالماً فاضلاً وشاعراً مبدعاً^(١٢١).

وأهم ما نلاحظه في هذه السنين الأخيرة التي بدأ فيها سلطان الخلافة في القوة والثبات، الهدوء الذي شمل بغداد وقلة الحوادث الإجرامية وندرة المنازعات بين المحال في المدينة، وسبب ذلك على ما أرجح، شعور الناس بقوة الخليفة وهيمنة جهاز حكمه على أجهزة الدولة وملاحقة المجرمين والخارجين على النظام العام، ففي عصور الخلفاء الذين عاشوا في العصرين البويهى والسلجوقي حتى خلافة المسترشد يندر ان نجد سنة لم تحدث فيها الحوادث الدامية بين المحال والناس، خاصة الحوادث التي سببها الخلافات المذهبية، فالشافعية كثيراً ما هاجمت الحنفية، وشن الحنابلة الهجمات على الشافعية، والسنة والشيعة ثار بعضهم على بعضهم الآخر، وهكذا عاشت بغداد في دوامة من القلق والفوضى سنين عديدة سببت ازهاق الكثير من الارواح، فأتلفت الكثير من البيوت والاسواق وهو ما أدى الى اضعاف الروح المعنوية لدى الشعب، كما سببت كساد الاسواق

(١٢١) المنتظم: ج ١٠ ص ٢١٤ - ٢١٧.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٦٠هـ.

الشذرات: ج ٤ ص ١٩١.

ذيل طبقات الحنابلة: ج ١ ص ٢٥١ - ٢٨٩.

النجوم الزاهرة: ج ٥ ص ٣٦٩.

مطالع البدور: ج ٢ ص ١١٤.

وفيات الاعيان: ج ٥ ص ٢٧٤.

وتجميد الحياة الاقتصادية، وفقد الناس الثقة بحكامهم ورؤسائهم وصار كل فرد يسعى الى أن يتسلح ليدافع عن نفسه وأمواله، وعاش معظم أهل بغداد في قلق واضطراب، وبالطبع ان هذه الحوادث من الفتن والاضطرابات استغلها الشقاء من العيارين والسطار، وكان يغذيها أصحاب المصالح الذين يستفيدون من تلك البلبلة والفوضى خاصة مَنْ تبقى من البويهيين والمتنفذين من السلاجقة، وفي أيام المقتفي والمستجد بشكل خاص، وبعد ان علا شأن الخليفة وقويت اركان الخلافة وصار بمقدور المسؤولين ملاحقة ومعاقبة المسيئين نجد ان حوادث العنف والسطو اصبحت نادرة، وصار الناس يعيشون بأمن واستقرار واخذت الاسواق تنشط شيئاً فشيئاً لاهتمام الخليفة بأحوال الناس.

وفي سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م توفي الخليفة المستجد بالله العباسي بعد مرض اشتد به^(١٢٧)، ويعتقد بعض المؤرخين ان (قطب الدين قيمانز المقتفوي) وبعض الامراء قد تآمروا على الخليفة فأدخلوه كرهاً الى الحمام وهو مريض واغلقوا عليه باب الحمام فمات خنقاً^(١٢٨)، وقد عرف عن المستجد انه من أحسن الخلفاء سيرة مع الرعية عدلاً فيهم كثير من

(١٢٧) المنتظم: ج ١٠ ص ٢٣٣.

(١٢٨) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٦٦هـ.

الفخري: ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

مرآة الزمان: ج ٨ ص ٢٨٤.

مرآة الجنان: ج ٨ ص ٣٧٩.

تاريخ الخميس: ج ٢ ص ٣٦٣.

الرفق بهم^(١٢٩)، وبويع بالخلافة ولده (الحسن) ولقب (المستضيء بأمر الله).

ومن الحوادث المهمة في حياة الخلافة العباسية في هذا العصر، سيطرة (صلاح الدين الايوبي) على الامور في مصر وقطعه الخطبة للفاطميين واقامتها للعباسيين سنة ٥٦٧هـ/١٧٧١^(١٣٠)، وفي هذه الحادثة قوة واسناد للخلافة العباسية واستعادة لبعض حقوقها، كما تدل ايضاً على انتصار كبير للخلافة العباسية التي تدين بالمذهب السني على الخلافة الفاطمية التي كانت تدين بالمذهب الشيعي.

ان الخليفة (المستضيء بأمر الله) الذي حكم حوالي تسع سنين، لم تكن له المواقف التي تدل على مناهضته للسلاجقة، ويبدو انه كان ميالاً الى الدعة والهدوء، ولكن مما لاشك فيه ان عهده كان لا يخلو من المشاكل التي تعطي صورة للاوضاع السائدة وقتذاك، ومن اخطر مشاكل عهده انه في اول خلافته قتل الوزير (ابن البلدي)^(١٣١) والقيت جثته في دجلة، كما احدث قائد الجيش (قطب الدين قايماز) حركة مما دفع الخليفة الى الاستغاثة

^(١٢٩) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٦٦هـ.

^(١٣٠) المنتظم: ج ١٠ ص ٢٣٧.

ابن الاثير: حوادث سنة ٥٦٧هـ.

ابن شداد: سيرة صلاح الدين ص ٣٥.

ابو الفدا: ج ٣ ص ٥٣.

^(١٣١) ابن البلدي: شرف الدين ابو جعفر احمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن البلدي كان ناظرًا بواسط، أبان في ولايتها عن كفاية عظيمة فاحضره الخليفة المستنجد بالله واستوزره. وفي سنة ٥٦٦هـ أمر (المستضيء بأمر الله) بقتله. (المنتظم: ج ١٠ ص ٢٣٣).

بعمامة بغداد الذين هاجموا دار القائد ونهبوها، ومات قطب الدين وهو في طريقه الى الموصل، هرباً من العامة، وغضب الخليفة^(١٣٢)، كما قُتل وزير الخليفة، (عضد الدين محمد بن عبد الله بن رئيس الرؤساء) سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م، فهذه الحوادث ان دلت، انما تدل على عدم استقرار الامور في بغداد.

اما حال السلطنة السلجوقية، فقد استمرت مضطربة، وفي سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م، توفي (ايلدكز)^(١٣٣)، الذي كان اتابكاً للسلطان ارسلان، واصبح له النفوذ الاكبر في الدولة، يصرف الامور برأيه، اما السلطان ارسلان فقد صار رمزاً لا يملك ولا يحكم، وبعد وفاته اصبح ولده (جهان بهلوان) مكانه، وخلفه في نفوذه^(١٣٤)، وكانت له شخصية قوية غلبت شخصية السلطان (ارسلان) فاستبد بالحكم دونه^(١٣٥)، وتوفي السلطان (ارسلان) سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م^(١٣٦)، وتولى مكانه الطفل الصغير طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد، واصبح المتنفذ في الامور والمسيطر على اجهزة السلطنة الاتابك جهان بهلوان، وكان له نفوذ كبير في قلوب العساكر واصحاب الاطراف^(١٣٧)، وكان لجهان بهلوان اخ يدعى (قزل ارسلان)

(١٣٢) الكامل: حوادث سنة ٥٧٠هـ.

(١٣٣) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٦٨هـ.

اخبار الدولة السلجوقية ص ١٦٨ يذكر وفاته سنة ٥٧٠هـ.

(١٣٤) اخبار الدولة السلجوقية: ص ١٦٨.

(١٣٥) آل سلجوق: ص ٢٧٦.

(١٣٦) راحة الصدور: ص ٤٣٠ — العماد الاصفهاني: آل سلجوق ص ٢٧٦ يذكر ان اخاه سقاه

السم.

(١٣٧) اخبار الدولة السلجوقية: ص ١٧١.

اعتمد عليه في استتباب الامور وقد انابه في ادارة اقليمي انريجان واران، وحارب (جهان) اهل مراغة وسيطر على تبريز^(١٣٨)، كما حارب محمد بن طغرل بن محمد بن ملكشاه عم الطفل طغرل عندما حاول الاغارة على العراق^(١٣٩)، وقتل (ابن شملة) حاكم (خوزستان) الذي تعاون مع (محمد بن طغرل) في تلك الاغارة سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م^(١٤٠)، واستمر (جهان بهلوان) يحكم باسم السلطان، له الكلمة النافذة وساد الاستقرار في السلطنة، ولم يكن السلطان من الامر شيئاً، اما حكم البلاد كان بيد الاتابك (جهان)^(١٤١)، حتى توفي سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م، وكان قد اوصى اولاده الاربعة، أن يكونوا بحكم عمهم (قزل ارسلان)^(١٤٢).

وفي سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م، توفي الخليفة (المستضيء بامر الله)، وولي الخلافة من بعده ولده (الناصر لدين الله)^(١٤٣)، وفي عهد الناصر لدين الله بلغت الخلافة العباسية في عصورها الاخيرة قمة مجدها من النفوذ والقوة، وحكم هذا الخليفة ما يقرب من سبع واربعين سنة، ويُعدّ الناصر

(١٣٨) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٧٠هـ.

(١٣٩) امير خواند: روضة الصفا، ج٤ ص٢٥.

.. اخبار الدولة السلجوقية: ص١٦٩ — ١٧٠.

(١٤٠) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٧٠هـ.

اخبار الدولة السلجوقية: ص١٢٦١ يذكر ان الاتابك ايلدكز قبض عليه وسجن.

(١٤١) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٨٢هـ.

(١٤٢) اخبار الدولة السلجوقية: ص١٧٢هـ.

(١٤٣) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٧٥هـ.

دحية: النبراس ص١٦٤.

المقريزي: السلوك ج١ ص٢١٧.

ابن الديبشي: المختصر المحتاج اليه ص١٧٩.

الفخري: ص٢٣٦.

من دهاة الخلفاء العباسيين، وكانت له حيل لطيفة ومكاند غامضة وخدع لا يظن لها احد، يوقع الصداقة بين الملوك متعادين وهم لا يشعرون، ويوقع العداوة بين ملوك متفقين وهم لا يظنون^(١٤٤)، وسيكون لهذا الخليفة النصيب الاوفر، في القضاء على النفوذ السلجوقي، وتحرير العراق نهائياً من الآثار البغيضة ومن أي مظهر من مظاهر السيطرة والنفوذ.

قلنا ان (جيهان بهلوان) توفي سنة ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م، وبعد وفاته قامت في البلاد مشاكل وقلقل كثيرة، وقد حدث في اصفهان بين الشافعية والحنفية من الحروب والقتل والاحراق والنهب ما يجلب عن الوصف، وقامت فتنة في الري بين الشيعة والسنة ادت الى تفرق اهلها وقتل الكثير منهم وتخریب المدينة^(١٤٥)، واستغل الخليفة الناصر تلك الفتن والمنازعات في سبيل اضعاف نفوذ السلاجقة كما انه تدخل في النزاع الذي قام بين السلطان (طغرل) و (قزل ارسلان)، وفعلاً أمدَّ الخليفة، الملك (قزل ارسلان) بجيش سار من بغداد ليحارب جيوش (طغرل) ولكن هذا الجيش لم يفلح، فأمدَّه الخليفة بجيش آخر، ونجحت جيوش الخليفة (الناصر لدين الله) في دخول مدينة (همدان) وانهزم السلطان (طغرل) الى اصفهان بعد ان عجز عن مقاومة جيش بغداد، وامر الخليفة بتسليم مدينة همدان الى (قزل ارسلان) ليحكمها نيابة عن الخليفة (الناصر لدين الله)^(١٤٦)، اما في بغداد فالخليفة الناصر لدين الله صار يلاحق انصار السلاجقة ويقضي على

(١٤٤) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٤٤٩.

(١٤٥) ابن الاثير حوادث سنة ٥٨٢هـ.

(١٤٦) اخبار الدولة السلجوقية ص ١٧٨.

اثرهم، وقد امر في سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، بنقض دار السلطنة الى الارض وعفى اثرها^(١٤٧)، وكان قد اتخذها السلاطين السلاجقة مقراً لهم، هدمها الخليفة الناصر لدين الله اثر تحدي السلطان طغرل الثالث ومطالبته اياه بالخطبة للسلجوقيين ببغداد، وهذه الدار كانت تقوم في (محلة المخرم)^(١٤٨)، من محلات بغداد القديمة في الجانب الشرقي المعروف اليوم بجانب الرصافة، بناها بهروز الخادم من انقاض دور الناس واستعمل في عمارتها اهل بغداد، حتى القضاة والاشراف والاعيان.

بعد هزيمة (طغرل الثالث) امام جيوش بغداد، اتجه الى (آذربيجان) واتفق مع (عز الدين حسن بن قفجان)، وصار يهجمان على المدن والقرى وينهبانها، فارسل اليهم (قزل ارسلان)، جيشاً لمساعدة الامراء العراقيين، فحاربهم ذلك الجيش ووقع بجيش طغرل الهزيمة حيث لجأ طغرل عز الدين حسن الى قلعة (الكرخاني) وهي قلعة الامير (ابن قفجان) في الزاب^(١٤٩)، ومن هناك ارسل عز الدين حسن، الخليفة (الناصر لدين الله) واستقاله في زلة السلطان (طغرل) في مقاتلة الوزير (جلال الدين بن يونس)، وبين (عز

(١٤٧) ابن الاثير حوادث سنة ٥٨٣هـ.

(١٤٨) المخرم: محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى وفيها الدار التي كان يسكنها السلاطين البويهيون والسلجوقيون خلف الجامع المعروف بجامع السلطان خريبا الامام الناصر لدين الله امير المؤمنين ابو العباس احمد (ياقوت الحموي ج ٤ ص ٤٤١). ذكر مترجما كتاب (بغداد مدينة السلام) تأليف ريجاردكوك: ان المخرم هي العلوازية (العبواضية) الحالية ص ١٤٩.

(١٤٩) اخبار الدولة السلجوقية ص ١٧٩.

الدين حسن) في رسالته: ان السلطان (طغرل الثالث)، كان مضطراً الى ما عمله، وانه الآن مملوك الدولة، وعبد الطاعة ان رسم امير المؤمنين ان يقصد الخدمة، ويكون آمناً، يجري له ما يقوته فعل، وان كان اهلاً للنياحة في بعض المواضع انقاد الى اوامره الشريفة، وارسل ولده ليكون رهينة لطاعته الى بغداد^(١٥٠).

ونزل طغرل في (آذربيجان) وسار اليه (قزل ارسلان) بجيش للقضاء عليه ولكن (طغرل الثالث) انحاز الى همدان، فجوبه بجيش كثيف هناك، ولحق (قزل ارسلان) بهمدان فلما وجد (طغرل الثالث) شدة الجيوش وكثرتها وعلم ان الخليفة (الناصر لدين الله) أمد جيوش قزل ارسلان بجيش كامل العدد وجهزه بقاذفات اللهب والنبال والجرارات وجميع ادوات القتال^(١٥١)، ودارت الحروب بين طغرل الثالث وجيوش الخليفة التي كانت امدادات لجيوش (قزل ارسلان) وقد تبادل الطرفان النصر والهزيمة مرات عديدة حتى وقع السلطان طغرل الثالث في نهايتها أسيراً، ببب (قز)، ارسلان)، واعتقله هذا في قلعة باذربيجان قريبة من تبريز^(١٥٢). وصار (قزل ارسلان) يحكم بالاستبداد واستولى على جميع البلاد التي كانت لسلطان طغرل الثالث ولكنه على ما يبدو، صار يميل الى شرب الخمرة

^(١٥٠) المرجع السابق ١٧٩ - ١٨٠.

^(١٥١) راحة الصدور ص ٤٨١.

^(١٥٢) اخبار الدولة السلجوقية ص ١٨٠.

راحة الصدور ص ٥٠٠ وفيها يذكر ان السلطان اسر في قلعة دزمار وهي قرية حصينة من نواحي آذربيجان قرب تبريز. مرصد الاطلاع ص ٥٢٦.

وارتياد اللهو مما اغضب زوجته (ايناج خاتون) فاغرت بعض غلماته فقتلوه وهو سكران^(١٥٣)، وكان ذلك سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩٠م.

وهكذا انتهت حياة (قزل ارسلان) الذي علا نجمه وبلغ نفوذه حداً بعيداً، بعد مقتله حدثت مشاكل كثيرة حيث تنازع الامراء فيما بينهم وادى تنازعهم وانشغالهم الى هروب السلطان طغرل الثالث من معتقله وتمكن من جمع الجيوش والاتفاق مع بعض الامراء، الا ان امراء العراق لم يقابلوا حركة طغرل بجدية كبيرة، بل وقاموا حركته بهوادة وتراخ، فاستطاع من ان يوقع هزائم في جيوشهم والدخول الى همدان، والتربيع على العرش فيها، وتقدم اليه الاتباع بالخضوع والطاعة^(١٥٤)، وواضح فان هذه الحالة اغضبت الخليفة الناصر لانها كانت نتيجة سيئة لما كان سعى اليه.

وكان من منافسي طغرل الثالث الاشداء (خوارزم شاه علاء الدين تكش) ٥٦٨ - ٥٩٦هـ/ ١١٧٢ - ١١٩٩م، ملك الدولة الخوارزمية، والدولة الخوارزمية هي احدى الدولة التي نشأت في قلب الدولة السلجوقية بدأت بالنهوض والسيطرة منذ عهد (أتسز خوارزمشاه)، ٥٢١ - ٥٥١هـ/ ١١٢٧ - ١١٥٦م، وقد كان يغتزم الفرص للحصول على نفوذ اكبر على حساب المناطق الضعيفة، وقد بلغت الدولة الخوارزمية قوتها

^(١٥٣) اخبار الدولة السلجوقية ص ١٨١.

راحة الصدور ص ٥٠٢.

ابن الاثير حوادث سنة ٥٨٧.

^(١٥٤) الراوندي ص ٥٠٢ - ٥٠٣.

ابن الاثير حوادث سنة ٥٩٠هـ.

الكبيرة على عهد (علاء الدين تكش خوارزمشاه) الذي كما قلت كان من اشد المنافسين والمناهضين لطغرل الثالث فقد اتجه خوارزمشاه الى الري يريد الاستيلاء عليها، فاستولى على قلعة (طبرك) ولكن طغرل الثالث جهز جيشاً، سار به نحو (الري) فدخلها وقتل (طمغاج الخوارزمي) الذي كان حاكماً عليها^(١٥٥)، وجرت منازعات وحروب بين الخوارزمين وطغرل الثالث وقتل من الطرفين عدد كبير، وارتأى الناصر لدين الله ضرورة الاتصال بالخوارزميين واثارتهم ضد السلاجقة، فارسل الخليفة رسالة الى (خوارزمشاه علاء الدين تكش) يشكو فيها من طغرل الثالث ويطلب منه قصد بلاده، ومعه منشور باقطاعه البلاد، فسار (خوارزمشاه) من نيسابور الى الري فتلقاه (قتلغ اينانج) ومن معه بالطاعة، ولما سمع السلطان (طغرل) بوصله، جهز جيشاً لم يكن يتميز بوحدة الصف بل كان متفرقاً^(١٥٦)، والتقى طغرل الثالث بجيش خوارزمشاه، وكانت معركة شديدة والقى طغرل الثالث بنفسه وسط المعركة، وكان على ما يبدو مغروراً بقوته الجسمانية وتراجع فجأة واصبح وحيداً في وسط اعدائه^(١٥٧) وقتله الخوارزمية، وارسلوا برأسه الى الخليفة العباسي الناصر لدين الله^(١٥٨)، وكان ذلك سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م، وكان الناصر قد ارسل مدداً الى

^(١٥٥) راحة الصدور ص ٥٠٥ - ٥٠٦.

^(١٥٦) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٩٠.

^(١٥٧) راحة الصدور ص ٥١٣.

^(١٥٨) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٩٠.

راحة الصدور ص ٥١٤.

السلوك ج ١ قسم ١ ص ٤٠.

خوارزمشاه كما سير اليه الخلع السلطانية، مع وزيره (مؤيد الدين بن القصاب)^(١٥٩).

وهكذا انتهت بمقتل طغرل الثالث الدولة السلجوقية في العراق، وزال نفوذها نهائياً وان صار الخوارزميون يدعون انهم ورثة السلاجقة، الا انهم لم يبلغوا نفوذ سابقهم، ولا ننكر، انهم اصبحوا اصحاب نفوذ في ايران، وانهم استولوا على كثير من مدنها^(١٦٠)، وللخوارزميين آثار خالدة في المشرق، فيعود لهم الفضل في القضاء على (دولة الخطا) الوثنية، كما استردوا من الخطا ثغور ما وراء النهر، وانهم واجهوا الخطر المغولي الجارف اذ لولا هذا الزحف الكبير للمغول لكان للخوارزميين شأن مع الدولة العباسية، ومهما تكن الظروف فان الخلافة، بعد مقتل طغرل الثالث صارت في حل من أي ارتباط مع السلاجقة، وتمتعت الخلافة باستقلال تام، وانصرف الخليفة الى الاعمال الحضارية ل عمران البلد ثقافياً واقتصادياً وعسكرياً وعمرانياً، واصبح للخليفة الناصر لدين الله نفوذ كبير، وخطب له ببلاد الاندلس وبلاد الصين^(١٦١) واشتهر الخليفة الناصر لدين الله انه احيا سنن (الفتوة) ومعالماها وجمع ما تشتت من نظامها وشيد ما تعطل من احكامها، واقتدى به في ذلك زعماء البلاد والخواص من العباد^(١٦٢)، وذكر ابن وصل في مفرجه:- انه في سنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م، وردت رسل

^(١٥٩) ابن الاثير: حوادث سنة ٥٩٠.

^(١٦٠) ابن الوردي: ج ٢ ص ١٣٤.

^(١٦١) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٤٥٠.

^(١٦٢) ابن المعمار البغدادي: الفتوة (تحقيق الدكتور فؤاد حسنين) ص ٢٠.

ذكر المحقق اسم المؤلف (ابن عمار) والصحيح ابن المعمار. وقد حقق المخطوط الدكتور مصطفى جواد وزملأه ونشروه في بغداد سنة ١٩٥٨ - ١٩٦٠.

ال خليفة (الناصر لدين الله) الى ملوك الاطراف، ان يشربوا له كأس الفتوة، ويلبسوا سراويلها، ويكون انتماؤهم اليه، ورعية كل ملك يشربون لذلك الملك ويلبسون^(١١٣).

والفتى لغة الحدث، كقوله تعالى: "انهم فيتة آمنوا بربهم" وكقوله تعالى: "قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم".

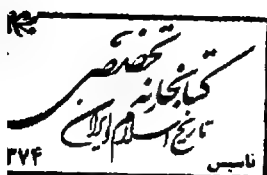
واهل الفتوة جماعة تجتمع في مجلس وتلبس الشخص منها لباس الفتوة، وتدير بينها في المجلس نفسه شربة فيها ملح وماء، ويقولون: ان رسول الله (ص) البس الامام علي بن ابي طالب (ع) لباس الفتوة ثم امره ان يلبس من شاء. واذا احب احد الدخول في المذهب، يجتمع القوم ويقوم نقيب الفتوة الذي هو مصدر منحها، والتشريف بها، الى الشخص الجديد، فينزعه اللباس الذي عليه بيد ويلبسه لباس الفتوة بيد، وهو سراويل، ولهم اسناد في الفتوة من طريق الخليفة الناصر لدين الله، الى (عبد الجبار بن صالح البغدادي) الى (تمامة) الى (علي بن ابي طالب) (ع)، فالرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ويشترط شيوخ الفتوة على كل فتى، صدق الحديث واداء الامانة واداء الفرائض واجتناب المحارم ونصر المظلوم وصلة الارحام والوفاء بالعهد والعفو عن المظالم واحتمال الاذى وبذل المعروف الذي يحبه الله ورسوله والاجتماع على السنة ومفارقة احدهما للآخر، والتحالف في مصادقة الصديق في الحق والباطل، وينصره على كل من يعاديه سواء كان الحق معه أن مع خصمه^(١١٤).

^(١١٣) ابن واصل: مفرج الكروب جـ ٣ ص ٢٠٦.

^(١١٤) ابن السامي الجامع المختصر جـ ٩ ص ٣٦٠.

واهم ما يندب الفتى لفعله، الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاؤوا به ويخلص في عقيدته وعبارته ويحسن في ضميره وطوبته ويحمد في سيرته وطريقته ويراقب الله في سره وجهزه وعلاتيه ويحافظ على فرائض دينه، ينطق بالصواب، يصل الارحام ويصلي والناس نيام، يفى بالذمام ويزهد في الحرام، يصنع المعروف، ويحسن قرى الضيف، وينشر الاحسان ويعين الاخوان، يبار والديه ويحسن الى ما اساء اليه، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر^(١٦٥).

والخليفة الناصر بتجديده لنظم (الفتوة) ورعايته لها، انما اراد في ذلك نهضة الشباب الاسلامي، وتعويدهم على العادات الطيبة وغرس المثل السامية في نفوسهم، وتوحيد صفوفهم وبذلك يقوى الصف الوطني، ويمكن بعد ذلك توجيه الفتيان الذين آمنوا بمبادئ الفتوة النبيلة، وجهة صالحة لخدمة الدين والدولة العباسية، وقد نجح (الناصر لدين الله) في ذلك نجاحاً كبيراً مما ساعده على تحقيق اغراضه واهدافه خاصة، تلك التي كان يعمل من اجلها وهي التخلص من الحكم السلجوقي واستعادة هيبة الخلافة واستقلالها. ولا يفوتنا ان نذكر ان لجهود المسترشد والراشد والمقتفي والمستجد الاثر الكبير في كسب الانتصارات الرائعة، فقد كان كل واحد من اولئك الخلفاء عظيماً في موقفه، جليلاً في كفاحه، من اجل استرداد حقوق الخلافة وازالة السيطرة السلجوقية.



^(١٦٥) ابن المعمار البغدادي ص ٧٤.

الفهرس الاول

(أ)

٤٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ،	ابراهيم ينال
٧٤	
٣٥	ابن الاعرابي
١٢٠	ابن بكران
١٧٨	ابن البلدي
١٣٩ ، ١٥	ابن الحارث
١٧٣	ابن الخندجي
٢٥	ابن شجاع
٢٢	ابن شيرزاد
١٨٢	ابن ققجان
٢٨	ابن النجار
١٧٠ ، ١٦٧	ابن هبيرة
٢٥	ابو الحسن بن المعلم
٣٨ ، ٥٨ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ١٤٠	ابو العلاء المعري
٢٨	ابو طاهر جلال الدولة
٤٨	ابن مقلة
١٩٠	

٢٢	ابو عبد الله البريدي
٤١	ابو اسحق السهلي
٣٨	ابو نصر بن اردشير
٢١، ٢٠، ٧	احمد بن بويه
٥٩، ٤٩، ٤٧، ٤٥	اسرائيل ابن سلجوق
١٤٢، ٨٤، ٦٥، ٤٥	ارسلان خاتون
١٧٤، ١٤٢	ارسلان شاه
١٧٩، ١٧٣، ١٧٠، ٢٥، ٢٤	ارسلان ابن الملك طغرل
١٢٩	ارغون بن الب ارسلان
١٢٩، ٨٧	اسماعيل بن ياقوت
١٢	الاصطخري
١٤١	الصليحي الشيعي
٢٣	اصفهدوست الاعرابي
١٢٩، ١٠٥	قزل البرسقي
٧٩، ٧٨، ٧٧، ٤٥	الب ارسلان
١١٤	البقش ارسلان
١٢٣	ام بركيارق
٥٦	انوشتكين البلخي
٧٩	ابتكين
١٧٩، ١٧٤، ١٢٤، ١١٩	ايلدكز المسعودي

٩١	ايلغازي
١٨٤	اينانج خاتون
٣٩ ، ٣٧	بختيار
١٥٨ ، ١١٧	برنقش
٣٦ ، ٣٤	البرجي
٣٦	برسق
١٢٧ ، ٩١ ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٨٧ ، ٤٦	بركيارق
١٤٨ ، ١٣٠	
٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤	الياسيري
١٤١ ، ١٣٤	
٤٧	بيغوارسلان

(ب)

١١٧	بك آبه
١٦٢	بوزابه
٢٦	بهاء الدولة
١١٩	بوازيه

(ت)

١٢٨	تاج الدين
-----	-----------

٨٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٤٩	تنش
٨٦	تاج الملك
٨٧، ١٢٨، ١٢٩	تركان خاتون
٢٠، ٢١	توزون

(ج)

٦٩، ١٣٩	جابر بن ناشد
٤٧، ٥١، ٥٧	جعفري بك
٨٩	جكرمش
٢٧، ٤١، ٤٢	جلال الدولة
٢٥، ٧٩، ١٨٠، ١٨١	جهان بهلوان

(ح)

٢٠، ٢٣	الحسن بن بويه
١٨٥، ١٨٦	الحسن بن علي بن ابي طالب
٢٢	الحسن بن محمد

(خ)

خاص بك	١٢٠ ، ١٢٢
الخطيب البغدادي	١١
خمار تكين الطغرائي	٧٥
خوارزمشاه-التوننتاش	١٢٦

(د)

داود (الملك)	١١٥ ، ١١٨ ، ١٦٢
داود بن السلطان داود	١١٢
داود بن محمود	١٠٨ ، ١١٧
دبیس بن صدقه	١٠٧
دبیس بن علي	٧٤
دبیس بن مزید	١٠٥

(ر)

الراشد (الخلیفة العباسي)	١١٧ ، ١١٨ ، ١٥٨ ، ١٧٥
الراضي (الخلیفة العباسي)	١٨
الرحيم (الملك)	٤٢
الرشيد (هارون)	١
رکن الدولة الحسن بن بويه	١٨ ، ٣٣

(ز)

٢٩

زياد (القائد البويهى)

(س)

٢٥

سابورين ديشر

٣٣

سبكتين

٣٥

ستاتلي لينبول

١٠٥

سخت كمان

٨٩

سرخاب بن بدر

٨٥، ٨٢، ٧٩

سعد الدولة (كوهرائين)

شحنة بغداد)

١٦٨ / ١١٩

سلاردرد

٤٧، ٤٦

سلجوق بن دقاق

١١١، ١١٠، ١٠٩

سلجوق شاه

٧٧

سليمان بن داود

١٧٤، ١٧٣، ١٢٣، ١٢٢، ١١٩

سليمان شاه

٩٥، ٩٤، ٩٣، ٩٠، ٨٨، ٨٦، ٤٦

السلطان سنجر

٩٦، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٩

١٦٩، ١٥٥، ١٢٠، ١١٦

(ش)

شمس النهار	١٤٨
شيرزاد	٢٢ ، ٢١

(ص)

الصاحب بن عباد	٢٩
صدقة بن دبیس	١١٨
صلاح الدين الايوبي	١٧٨

(ط)

الطائع (الخليفة العباسي)	٢٧ ، ٢٩ ، ٢٠٥
طغرل بن ارسلان	٥٤ ، ١٢٤ ، ١٧٩
طغرل بن السلطان محمد	١١١ ، ١١٤
طغرل بن ميكائيل	٤٢ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٩٦
طغرل بك	٤٢ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٠
	٦٤ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣
	٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١٢٦ ، ١٣٠
	١٣٣
طرانطاي المحمودي	١١٩ ، ١٦٥
طغرل عز الدين حسن	١١٨٢ ، ١٨٣

(ع)

١٦٢ ، ١١٩	عباس الامير
١٨٧	عبد الجبار صالح البغدادي
١١٩	عبد الرحمن طغايرك
١٩	عبد الرحمن بن محمد
١٨٢	عز الدين حسن
٣٥	عزيز (العار)
٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٣ ، ٣١ ، ٢٩ ، ٢٧	عضد الدولة
٩٥	علاء الدين اكسنر
١٨٧	علي بن ابي طالب
٢٠	علي بن بويه
١١٩	علي بن ديبس
١٦٠ ، ١٥٢	علي بن طراد الزينبي
٢٠	علي بن العباس
١٨	علي بن عيسى
١١٠ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٥٥	عماد الدين زنكي
١٦٠ ، ١٥٩	
٨٨	عماد الملك
٨٠	عميد الدولة بن جهير
١٣٣ ، ٧٦ ، ٦٣	عميد الملك الكندري

(غ)

١١٤

غليك

(ف)

٧٧

فاطمة الزهراء

٩٢ ، ٨٩ ، ٨٨

فخر الملك بن نظم الملك

٨٤

فخر الدولة ابا نصر

٣٥

الفراء

١٣٨

فولان

(ق)

٢٦

القادر الخليفة العباسي

٧٦ ، ٧٥ ، ٦٥ ، ٤٦ ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٥٦

القائم بامر الله (الخليفة)

٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ١٤٠ ،

العباسي)

١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥

١٨

القاهر (الخليفة العباسي)

٥٨

قلورد

٧٨ ، ٤٧

قتلمش بن اسرائيل

١٢٥

قتلغ (الطشت دار)

١١١

قراجة الساقبي

١٩٨

تاريخ العراق في العصر السلجوقي

٧٤ ، ٧٢ ، ٦٩ ، ١٦	قريش بن بدران
١٨٤ ، ١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٨١	قزل ارسلان
١٧٩ ، ١٧٨ ، ١٧٧	قطب الدين قيمان

(ك)

١٢٠	ابو الكرم والى بغداد
١٣٨ ، ١٣٧ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٥٩ ، ٤٢	كاليجار، ابو نصر الملك
٣٩	الرحيم
١٥٠	كربوقا
١٤٨ ، ٨٩ ، ٨٣ ، ٧٩	كوهر ايكن

(م)

١٨٦	مؤيد الدين بن القصاب
٧٢	المؤيد في الدين
٦٩	محمد بن حماد
١٨	محمد بن طفج
١٧١ ، ١٦٢ ، ١١٩ ، ٤٩	محمد بن محمود الغزنوي
١٤٨ ، ٩٨ ، ٩٣ ، ٩١ ، ٨٨ ، ٤٦	محمد بن ملكشاه
١٨	محمد بن الياس (ابو علي)
٥٩	محمود بن سينتين

٥١ ، ٥٠ ، ٤٩ ، ٤٥ ، ٣٧	محمود الغزنوي
٩٩ ، ٩٣	محمد بن ملكشاه
٣٩ ، ٢٠	مرداريج بن زياد
١١١ ، ١٠٩ ، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ٩٩	المستترشد (ال خليفة)
١٥٧ ، ١١٧ ، ١١٦ ، ١١٤ ، ١١٣	(العباسي)
١٦٣ ، ١٥٨	
١٥٠ ، ١٤٨ ، ٩٩ ، ٩٣	المسترضي (ال خليفة)
	(العباسي)
١٥٠ ، ١٤٨ ، ٩٩ ، ٩٣	المستظهر (ال خليفة)
	(العباسي)
١٧٣ ، ١٦٧ ، ١٣٣	المستجد (ال خليفة العباسي)
١٤١	المستنصر بالله العباسي
٦١	المستنصر العلوي
١٦٨ ، ١٢٠	مسعود بلال
١٧٤ ، ١٥٨ ، ١٢٤ ، ١٠٨	مسعود بن محمد السلجوقي
	(السلطان)
١٦٥ ، ٥٩	مسعود بن محمود
٩٩ ، ٥٦ ، ٥٢	مسعود بن محمود الغزنوي
٣١ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٧	معز الدولة البويهري
١٤٨ ، ١٤٧ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٨٤ ، ٨٣	المقتدي الخلفية العباسي

المقتضى الخليفة العباسي ١١٨، ١٢٢، ١٣٣، ١٦٤، ١٦٦،

١٦٨، ١٧٤، ١٧٧

مهارش بن المجلي ٧٤

المهلبى

٧٩، ٤٥، ٧٥، ٨٤، ٨٧، ٩٠، ١٢٠،

١٢٩، ١٣٠

موسى بن سلجوق ٥٧، ٥٨

مؤنس الخادم (المظفر) ١٨

المؤيد في الدين (انظر هبة

الله بن موسى بن داود

الشيرازي)

مؤيد الملك ٨٨، ١٢٤، ١٢٥

موسى بيغو ٤٧

ميكائيل ٤٥، ٤٧

(ن)

النار لدين الله (الخليفة ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥،

العباسي) ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨

نجم الدين ايوب ١١٠

نظام الملك / الحسن بن علي ٤٥، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٤، ٨٧،

١٣٥، ١٤٧

(هـ)

هبة الله بن موسى بن ٦٧

عمران

١٠

هر سفند

(ي)

يحيى بن هبيرة (عون الدين ١٦٨، ١٧٥

الوزير العباسي)

٤٩

اليزدي

٢١

ينال كوشه (حاكم واسط)

١٦٧

يوسف الدمشقي

٨٢

يوسف الخوارزمي

الاماكن والبقاع

(١)

١٤ ، ٧٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١١٤ ،	اذربيجان
١٦٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣	
٩	ارك
٩٠	اسبيذروذ
٢٠ ، ٧٧ ، ٨٤ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١١٢ ، ١١٨ ،	اصبهان
١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٧٣ ، ١٨١	
١٨٦	الصين
١٨	افريقيا
١٢٠	الانبار
١٩ ، ٤٠ ، ١٨٦	الاندلس
١٠٤ ، ١٣١	انطاكية
٢١ ، ٢٢ ، ٤٠ ، ٧٦	الاهواز

(ب)

باب البصرة ۱۴۰

باب الشماسية ۶۳، ۲۲

باب الكرخ ۸۳

باب النوبي ۱۲۶، ۷۵

بلبل ۱۱

بلورد ۵۰، ۵۱

البحرين ۴۰

بحر الخزر ۱۹

بست ۵۸

البصرة ۱۲، ۱۴، ۱۵، ۱۸، ۴۰، ۷۴، ۷۶، ۱۰۵

بغداد ۱۲، ۱۸، ۲۱، ۲۲، ۳۳، ۳۴، ۳۶، ۳۸، ۴۱،

۴۲، ۶۰، ۶۳، ۶۴، ۷۰، ۷۱، ۷۵، ۷۶، ۷۷،

۷۹، ۸۳، ۸۴، ۸۵، ۸۶، ۸۹، ۹۰، ۹۱، ۹۳،

۹۹، ۱۰۴، ۱۰۵، ۱۱۱، ۱۱۲

بلا ساعون ۹۴

بلد ۱۲

البندنجين	١١٧
بوشنبخ	٥٨
بيت المقدس	١٣١ ، ٩٢

(ت)

تبريز	١٨٣ ، ١٠٨ ، ٧٧ ، ٧٦
التركستان	٤٧ ، ٤٦
تكريت	١٧٠ ، ١٦٨ ، ١٣٢ ، ١١٠ ، ١٢

(ج)

الجبال	١٢٢ ، ١٠٨ ، ١٠٢ ، ٧١ ، ١٩
الجبل اقليم	٣٧ ، ١٤
جرجان	١٠٨ ، ٥٦ ، ١٩
الجزيرة	١٠٦ ، ١٠٣ ، ٨٩ ، ٨٤ ، ١٥ ، ١٣
جند	٤٧

(ح)

حربي	١٠١
------	-----

حلب	٨٤، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١
الحلة	٦٨، ١٠٥، ١١١، ١١٨، ١١٩، ١٥٢
حلوان	١١، ١٢، ٧٥، ١٣٣
حماة	١٢٩

(خ)

خاتقين	١١١
خراسان	١٩، ٢٤، ٥٠، ٥١، ٥٤، ٥٧، ٥٩، ٧٧، ٨٣
	٨٨، ٩٠، ١٠٢، ١٣٣
خوارزم	٥٦، ٩٥
خوزستان	١٨، ١٠٢، ١١٠، ١١٩، ١٧٣، ١٨٠

(د)

دار الشحنة	١٦٨
دار يمرج	١١٥، ١٥٧
دمشق	٨٧، ١٢٩، ١٣١
داتدا نقان	٥٠، ٥٦
ديار بكر	١٨، ٩٠، ١٠٣
الدليم	١٩

(ر)

الري ١٨، ٢٠، ٤٢، ٥٨، ٦٠، ٧٧، ٧٨، ٨٨، ١١١،
١١٩، ١٢٢، ٣٣٨، ١٨٥

(س)

سجستان ٥٨
سرخس ٥٥
سمرقند ٤٨
سمرقند ٩٥
سنجار ١٠٦، ٦٨
السواد ١٢، ١١

(ش)

الشام ١٤، ١٨، ٤٠، ٦١، ٧٥، ٩٠، ١٣٠، ١٣١
شهرزور قلعة ٩٠
شيراز ٦٧، ٦١

(ط)

الطائف	٩٤
طبرستان	٥٦، ١٩
ط/٢	١/ط
طبرية	١٢٩
طرابلس	١٠٢
طوس	٥١، ٥٠
الطيب ٢	١٢

(ع)

عانة	٧٥
عبادان	١٢
العذيب	١٢، ١١
العراق	٩، ١٣، ١٦، ٢١، ٣٠، ٣٧، ٣٩، ٤٢، ٤٢، ٦٢، ٧١، ٧٤، ٧٦، ٨٠، ٩٤، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢
	١٠٦، ١٠٧، ١١٤، ١٢٠، ١٢١، ١٣١، ١٣٤
العلث	١١
عين تمر	١٤

(غ)

٥٦، ٥٣، ٤٨

غزنة

(ف)

١٤، ١٨، ٣٩، ١٠٢، ١٠٣، ١١٠، ١١٩

فارس

١٢٨

١٥٠

فلسطين

(ق)

١٢

القلاسية

١٢

قلاسية الكوفة

٨٢، ٤٠

القاهرة

١٢٥، ١١٧

قزوين

٦٤

قلعة طبرك

١٢٩

قلعة شيزر

٥٩، ٤٩

قلعة كلانجر

٥٦

قلعة كيكى

١٧٤

قلعة الماهكى

(ك)

٢٠	الكرج
٤	الكرخ
١١٤	كرديستان
١٢٩، ١٠٤، ٩٦	كرمان
٩٤	كشغر
٧٥، ١٥، ١٤، ١٢	الكوفة

(ل)

١٢٩	اللائقية
٣٧	لاهوز
١٨٦، ١٢٧، ٨٤، ٨٢، ٧١، ٤٦، ١٩	ما وراء النهر

(م)

١٦٠، ١١٢	مراغه
١٠١، ٩١، ٩٥، ٥٧، ٥٥	مرو
٦٩، ٦٨، ٦٧، ٦١، ٤٠، ١٨	مصر
٩٤، ٦١	مكة

٩٤	مكران
٨١	ملاذ كر
١٢٩	منيج
٢، ١٤، ١٥، ١٧، ٢٣، ٢٣، ٢٨، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٨٩، ٩٠، ١٠٤، ١٠٦، ١١٧، ١٣٩	الموصل
١٦٠، ١٥٩	
١٠	مملكة اشور

(ن)

٥٠	نسا
٧٢	نبيين
١٣٣، ٦٣	النهرولان نهر
٤٨	نور بخارى
١٨٥، ١٢٦، ٨٨، ٥٤	نيسا بوراه

(هـ)

٥٨	هراة
٥٦، ٧٢، ٧٣، ٩٠، ١٠٢، ١٠٧، ١١١، ١١٢، ١١٤، ١٢١، ١٢٣، ١٢٥، ١٣٣، ١٦٠، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٣، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤	همدان

٥٦ ، ٥٣ ، ٥٢ ، ٤٩ ، ٣٧

الهند

(ج)

١٢ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٤٠ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ١٠٦ ، ١١٧

واسط

١٧٠ ، ١٥٢ ، ١١٩

(د)

٤٠

اليمامة

٩٤

اليمن



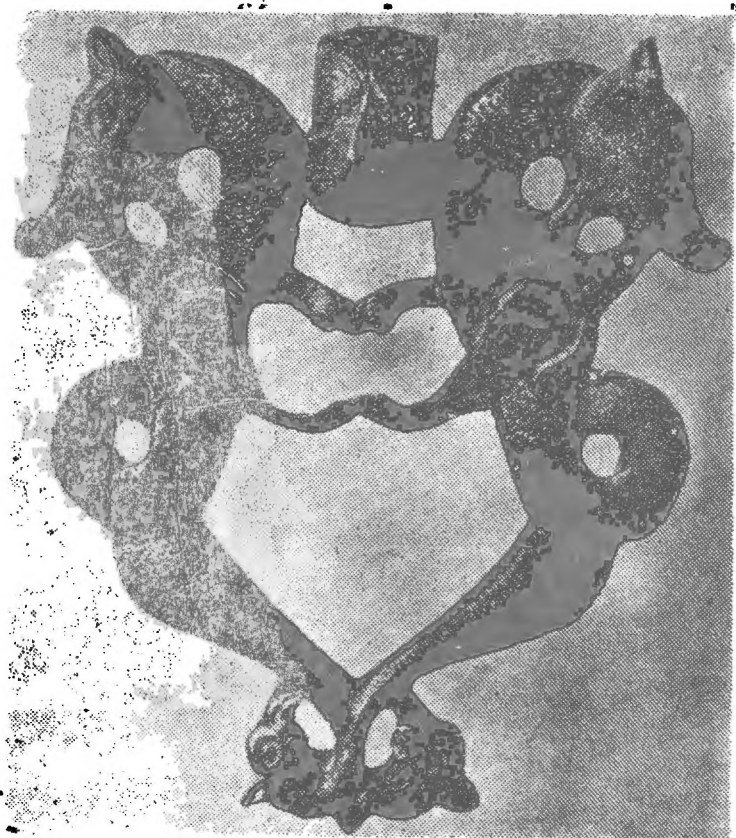
شكل ١:

مطرقة باب من البرونز من العراق في القرن الحادي عشر الميلادي

(في متحف برلين)

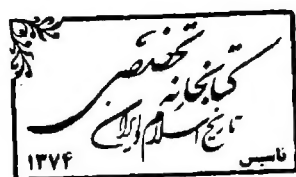
٢١٣

تاريخ العراق في العصر السلجوقي

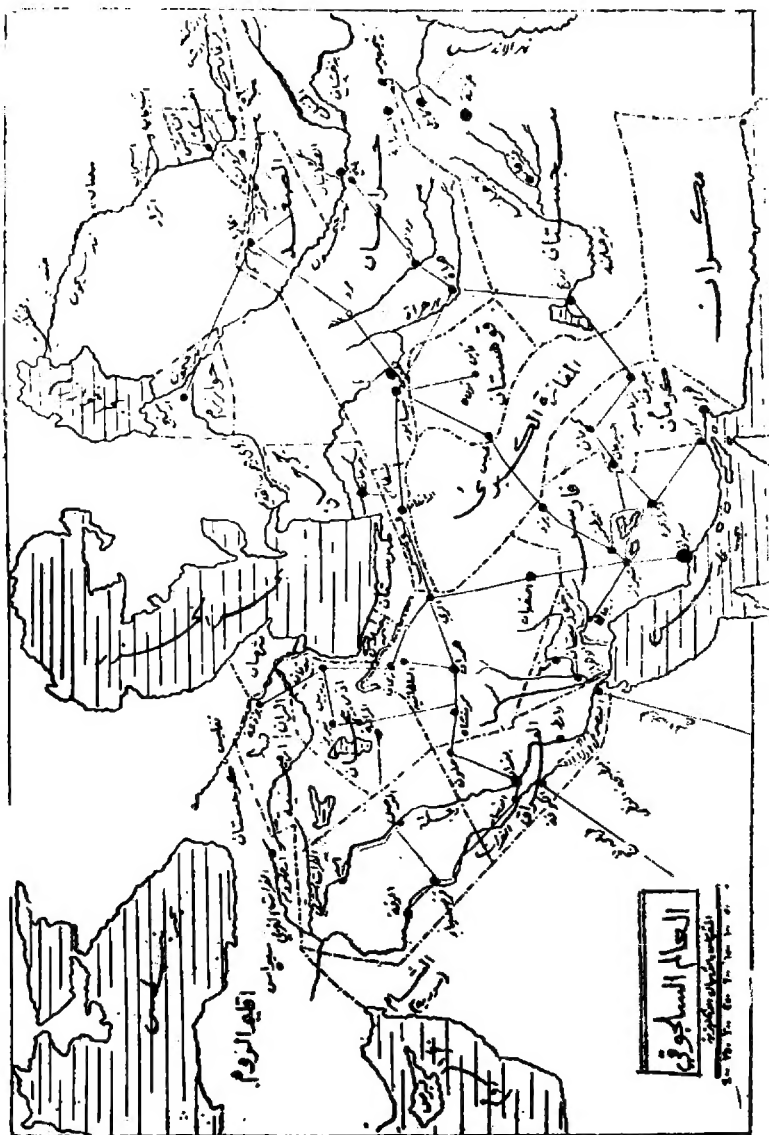


شكل رقم ٢:

منذنة مشهد الشيخ معروف للكرخي في الجانب الغربي من بغداد شيدت زمن الخليفة
الناصر لدين الله سنة ٦١٢هـ



شكل : (٣) العالم السلجوقي في القرن السادس الهجري



شكل ٣ :

العالم السلجوقي في القرن السادس الهجري

المحتوى

٥	مقدمة.....
	الفصل الاول
٧	حالة الخلافة العباسية قبل دخول السلاجقة العراق.....
	افول نجم بني بويه ظهور دولة السلاجقة.
	الفصل الثاني
٤٥	الدولة السلجوقية منذ قيامها الى انفصال سلاجقة العراق
	الفصل الثالث
٩٧	سلاجقة العراق.....
	انتهاء حكم السلاجقة في العراق خلاصة الموضوع
	الفصل الرابع
١٣٣	كفاح الخلفاء العباسيين لاسترداد هبة الخلافة.....



قم الايداع في دار الكتب و الوثائق بغداد (٣٤٠) لسنة ٢٠٠٦



وزارة الثقافة

السعر ٣٥٠٠ ل.ت.م

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

الغلاف: ياسر جبر ياسر